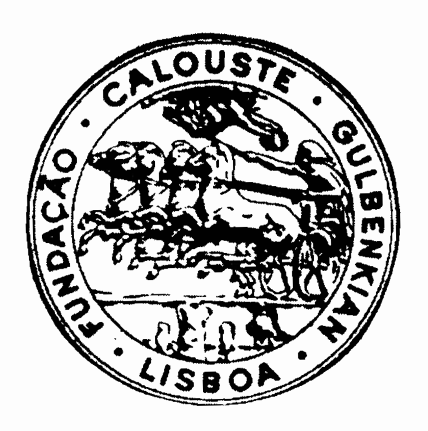
مؤسسة كالوست كولبنكيان الدولية ـ لشبونة

المهندس المعماري شاهي ديركيفوركيان

علاقـــات
هنـدســة الـعـمـارة المسـيحيـة المبكـرة
بين
أرمـيـنـيـا و ســــوريـا





ترجمة عن الأرمنية: د. ألكسندر كشيشيان

عضو جمعية العاديات في حلب

حلب ٢٠٠٢

ACADEMIE DES SCIENCES DE LA REPUBLIQUE D,ARMENIE
INSTITUT DES ARTS

CHAHE DER-KEVORKIAN

Dédié au 1700 éme anniversaire
de l' adoption du christianisme
en Arménie

AFFINITES DE L'ARCHITECTURE PALEOCHRETIENNE D' ARMENIE ET DE SYRIE

Rédacteur en Chef
Docteur en Architecture et Professeur
M.M.Hasratian

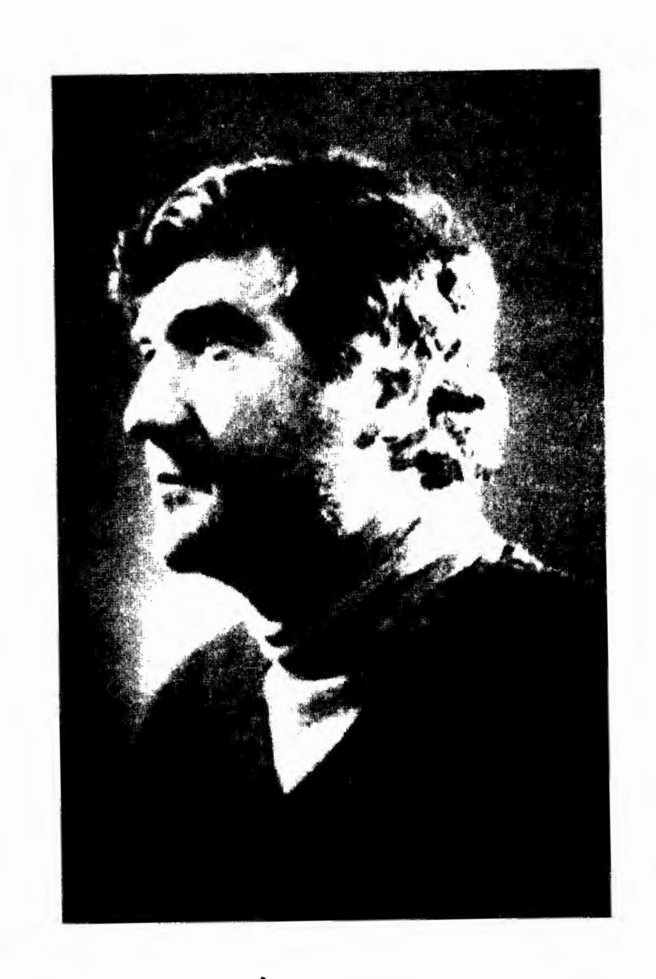
Editions (Guitoutioun) de l'Académie des sciences de la
République d'Arménie
Erevan 2000

ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ ՀԱՆՐԱՊԵՏՈՒԹՅԱՆ
ԳԻՏՈՒԹՅՈՒՆՆԵՐԻ ԱԶԳԱՅԻՆ ԱԿԱԴԵՄԻԱ
ԱՐՎԵՍՏԻ ԻՆՍՏԻՏՈՒՏ

ՇԱՀԵ ՏԵՐ - ԳԵՎՈՐԳՅԱՆ

ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ ԵՒ ՍԻՐԻԱՅԻ ՎԱՂՔՐԻՍՏՈՆԵԱԿԱՆ ՃԱՐՏԱՐԱՊԵՏՈՒԹՅԱՆ ԱՌՆՉՈՒԹՅՈՒՆՆԵՐԸ

ՀՀ ԳԱԱ «Գիտություն» հրատարակչություն
Երևան 2000



م. شاهي ديركيڤوركيان

١٩٤٤ ـ ١٩٩٨

الدراسة مهداة للذكرى

١٧٠٠ عام

(٣٠١ م ـ ٢٠٠١م)

على تنصّر الدولة الأرمنية

سيرة المهندس ـ الباحث شاهي دير كيفوركيان

(١٩٩٤ـ ١٩٩٨)

ولـد الباحـث في حلب وحصل على شهادة الثانوية العامة من الثانوية المركزية الخاصة وسافر إلى أرمينيا السوفياتية في عام ١٩٦٤ وقُبل في كلية هندسة العمارة في يريفان العاصمة وتخرج منها بنجاح في عام ١٩٧٠، وأصبح بعد ذلك معيداً بين عامي ١٩٧١- ١٩٧٦ وجهّـز رسـالة دكـتوراه بإشراف الأكاديمي المرموق البروفيسور فارازتـاد هارتيونـيان تحـت عنوان « علاقات هندسة العمارة المسيحية بين أرمينيا وسوريا ».

يعتـبر بحـث شاهي دير كيفوركيان حيوياً جداً بسبب سيادة آراء غير علمية في المصـادر الاختصاصـية لدى بعض العلماء الأرمن والأجانب طوال حقبة قرن كامل الذين يؤكدون أن العقيدة المسيحية وبالتالي الكنيسة البازيليكية ذات الأبهار الثلاثة دخلتا إلـى أرمينـيا عن طريق المبشرين السريان فقط. وتعتبر أبحاثَ هؤلاء جميعاً أحادية الجانـب لأنهـم لم يدرسوا في الحقيقة سوى أوابد إحدى البلدين، لذلك فمن البديهي ألا يصـلوا إلـى نـتائج علمية دقيقة موثقة في مسألة إلقاء ضوء كاف وغير منحاز على المسألة برمتها.

درس شـاهي ميدانـياً وبشـكل مفصل جداً الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة ـ التي تعود بقدمها إلى الحقبة القروسطية المبكرة ـ من خلال رحلاته العديدة في السبعينات من القرن الماضي وقام بتدوين قياساتها وتنقيب بعض منها بشكل جزئي وجمع حقائق علمية موثقة وغنية جداً.

دعـته كلـية الآثـار الفرنسـية في بيروت للاشتراك في دراسة الأوابد الهيللينية والمسـيحية المبكرة الشهيرة لمعبر الشيخ بركات الوثني وكنيسة كرك بينزة ذات البهو الواحـد (وهـي مـن أولى الكنائس المسيحية) وكنيسة قلب لوزة ذات الأبهاء الثلاثة الشـهيرة. وقـام أيضاً بالتنقيب في هذه المواقع ووضع خرائط لها فنال شهادة من هذا المعهد في نهاية العمل.

تكمن ميزة شاهي ديركيفوركيان ـ مقارنة مع بقية الباحثين ـ أنه درس في آن واحد الأوابد الأرمنية والسورية المسيحية المبكرة، وانطلاقاً من هذه الأبحاث الميدانية المستفيضة أكد على تلك الفكرة أن هندسة الكنائس البازيليكية الأرمنية تشكلت وتطورت بشكل مستقل على قاعدة وتجارب فن البناء الأرمني المحلي الموغل في القدم.

قدم ديركيفوركيان نتائج أبحاثه في ندوات أقيمت في قسم الآداب لأكاديمية العلوم الأرمنية وكلية البوليتكنيك في يريفان.

ودُعي كذلك إلى إيطاليا في عام ١٩٨١ ليحاضر في الندوة العالمية الثالثة المكرسة للفنون الأرمنية، حيث أكد على آرائه حول مسألة العلاقات المعمارية الأرمنية والسورية أمام مجموعة من العلماء المشتركين.

لشاهي دور في الحفاظ على قسم من أسوار مدينة حلب القديمة. قام شاهي كذلك بدراسة الآبدة الموجودة تحت كنيسة الأربعين شهيد الأرمنية في حلب (التي هي من أقدم الكنائس الأرمنية في المهاجر) ونشر مقالاً عنها.

صمم المهندس شاهي ٢٠ مبنىً للسكن في إحدى ضواحي حلب وقام أيضاً بوضع أفكار نظرية وعملية في تحويل البيوت الشعبية السكنية ذات الفناء الداخلي إلى منازل عصرية التي لاقت قبولاً في مدينة حلب.

تعدّ دراسة شاهي ديركيفوركيان فتحاً علمياً في حقل البحث حول فن العمارة الأرمنية وهدية قيّمة في الوقت ذاته بمناسبة اليوبيل ١٧٠٠ عام على تنصّر الدولة الأرمنية.

Chahé Der Kevorkian (1944-1998)

L'architecte Chahé Der Kévorkian est né à Alep et a reçu son éducation primaire dans la même ville à l'école L. Najarian-Calous Gulbenkian.

Il fut reçu à la section d'Architecture de l'Institut Polytechnique de Erevan, qu'il acheva en 1970.

Durant les années 1971-1976 il continua ses études supérieures (aspirantura) pendant lesquelles sous la direction du professeur Varaztad Haroutiounian il rédigea son rapport (adenakhosoutioun) concernant les relations architecturales syro-arméniennes paléochrétiennes. (Sur l'exemple des églises basiliques).

Le thème des études de Chahé Der Kévorkian est très important, puisque déjà il y a un siècle il a été admis par les experts de la littérature spécialisée arménienne ainsi qu'étrangère le point de vue qu'avec l'introduction de la chrétienté en Arménie par les chrétiens assyriens, la forme triangulaire basilique des bâtiments religieux a été aussi introduite en Arménie.

Cependant les auteurs de ce point de vue avaient connu ou étudié personnellement les monuments de l'un ou de l'autre de ces pays, ce qui n'est pas suffisant pour l'éclaircissement exact et impartial de cette question.

Durant les années 1970 et suivantes, durant ses différentes excursions scientifiques, Chahé Der Kévorkian a étudié, d'une façon approfondie, les églises basiliques à nef unique ou à nefs multiples de la période pré-chrétienne, en Syrie, ainsi qu'en Arménie, prenant des mesures et effectuant des fouilles partielles, parvenant ainsi à réunir un riche documentation.

Il fut invité par l'Institut archéologique français de Beyrouth à participer aux études des monuments hellénistiques et pré chrétienne de la région du Nord Syrien, aussi célèbres que le temple païen de Cheïkh Barakat, l'église à nef unique de Kirkbisé (l'une des premières églises chrétiennes) et aussi le basilique célèbre à nefs multiples de Kalb Lozé. Chahé Der Kévorkian dirigea leurs fouilles, les mensurations et leurs travaux de recherches, recevant par là une attestation de reconnaissance de l'Institut sus-mentionné.

L'avantage que possède Chahé Der Kévorkian par rapport aux autres chercheurs dans l'examen de cette question fondamentale, c'est son étude personnelle et minutieuse des monuments arméniens et syriens pré-chrétiens.

Comme résultat de ses recherches, Chahé Der Kévorkian a présenté et établi le point de vue selon lequel l'architecture des églises basiliques d'Arménie a pris forme et s'est développée de façon indépendante sur la base de l'expérience séculaire de l'art architectural local.

Il a eu l'occasion de présenter les résultats de ses recherches par des conférences données durant les séminaires organisés par l'Institut Polytechnique de Erevan.

En 1981, Chahé Der Kévorkian fut invité en Italie pour participer au 3ème séminaire consacré à l'art arménien où il exposa aux auditeurs ses vues sur les relations architecturales syro-arméniennes.

Durant ses travaux dans ses ateliers personnels à Alep, en tant qu'architecte archéologue, il joua un rôle important dans les efforts menés pour empêcher la nouvelle planification de la Place Bab-el-Faraj par la Municipalité d'Alep, qui aurait pour conséquence la destruction de la muraille médiévale de la ville.

Il a étudié et écrit un article concernant les fondements souterrains de l'Eglise des Quarante Martyrs d'Alep, l'une des églises les plus anciennes de la Diaspora arménienne.

Chahé Der Kévorkian a travaillé aussi comme planificateur de plus de vingt immeubles dans les environs de la ville d'Alep.

Il développa aussi des plans et des principes pour leurs applications dans les pays à climat chaud et possédant des cours intérieurs, en vue de permettre leur transformation en lieux d'habitation modernes. Ces plans et ces principes furent appliqués à Alep.

Ce travail de Chahé Der Kévorkian est une importante contribution aux études scientifiques de l'architecture arménienne et un cadeau précieux aux cérémonies marquant le 1700ème anniversaire de l'adoption par l'Arménie de la chrétienté comme religion d'Etat.

المعهد الفرنسي للآثار - بيروت
البعثة الأثرية لشمالي سوريا
- شهادة -

أنا الموقع أدناه مدير البعثة الأثرية لشمالي سوريا التابعة لكلية بيروت الفرنسية للآثار أؤكد أن المهندس

السيد شاهي دير كيفوركيان

اشترك في شهري آب وأيلول من عام ١٩٧٣ كعضو في بعثتي في الأبحاث والتنقيبات في موقع معبد الشيخ بركات وكنيسة كرك بيزة وبازيليك قلب لوزة.

وأكد السيد شاهي دير كيفوركيان أثناء هذه الرحلة أنه إداري ممتاز وله قدرة على التأقلم في الظروف المحلية وهو مهندس صاحب ملكات كبيرة في مسائل التخطيط وتضاريس البلاد. وكباحث علمي يملك أيضاً معلومات متينة حول التطور الاجتماعي والاقتصادي للمناطق الأثرية القديمة التي نقوم بدراستها.

نشكر السيد شاهي دير كيفوركيان لاشتراكه في أبحاثنا ونأمل أنه سيكون بمقدورنا اللجوء إليه أثناء الدراسات الأثرية المستقبلية.

جورج تشالنكو
مدير البعثة الأثرية لشمالي سوريا

بيروت في ١٠ تشرين الأول عام ١٩٧٣

المدخل إلى البحث

ليست مسألة دراسة التأثيرات المعمارية المتبادلة بين أرمينيا والدول الأجنبية شأناً جديداً، لأنها بدأت بالظهور في الحقيقة ابتداءً من أوائل القرن التاسع عشر عندما ركز الأثريون ومؤرخو فن العمارة انتباههم على الشرق والمناطق الجنوبية.

منذ رحلاتهم الأولى إلى أرمينيا قدم العلماء نظريات عديدة حول ظهور وتطور هندسة العمارة الأرمنية التاريخية. واعتبر بعضهم العمارة الأرمنية فرعاً من هندسة العمارة البيزنطية وبدأ بعضهم الآخر، انطلاقاً من المعطيات التاريخية لا الهندسية، بالتفتيش عن التأثيرات الهيللينية ــ الرومانية على هندسة العمارة الأرمنية. علاوة على ذلك هناك باحثون أشاروا إلى تأثير هندسة العمارة العربية ــ الإسلامية على هندسة أرمينيا بين القرنين ٩ – ١٢ م. وبعد تعمقهم في فن العمارة الأرمنية، وسّع بعض من هؤلاء العلماء دائرة هذا التأثير حتى منطقة آسيا الصغرى وبلاد آشور وسوريا وإيران ومنطقة ما بين النهرين وصولاً إلى الهند.

{ L'ancien art chrétien de Syrie } Paris- 1936 p14
J. Strzygovski

توصّلت البعثات العلمية والتنقيبات المنهجية (بعضها يستند على حقائق ومعلومات أكثر جدية وعلمية) إلى معطيات جديدة في فترة لاحقة وتحديداً في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

قدّمت التنقيبات والدراسات التي تمت من قبل (نيكولاي مار) و (طوروس طورامانيان) ومجهودات عدد كبير من الاختصاصيين الآخرين نتائج باهرة في جمع معلومات موثّقة وصياغة نظريات علمية انطلاقاً من هذه الحقائق الجديدة التي أدت لاحقاً إلى بناء وترسيخ أساس متين لاستمرار العلماء الأرمن في أعمالهم التنقيبية والبحث. وبسبب هذه النتائج العلمية التي تحققت في هذه الحقبة الزمنية، تمّ وضع خصائص هندسة العمارة الأرمنية، التي تمتد بين القرنين ٤ –١٩ م، على أسس تاريخية–هندسية اكثر دقة.

بالأرمنية(Nüter Haykakan Djardarabedutyan Badmutyan)
Yerevan – 1942 p.106. Toros Toramanian

(أبحاث في تاريخ هندسة العمارة الأرمنية)

أدت هذه الأبحاث أيضاً إلى تحديد وإبراز علاقات هندسة العمارة الأرمنية بهندسة الدول المجاورة في الحقبة ذاتها. وأصبح بالإمكان تبيان علاقات هندسة العمارة الأرمنية–البيزنطية والأرمنية–السورية من خلال هذه الدراسات التي تم إنجازها من قبل العلماء الأجانب والأرمن.

(Vzaimootnashenia Ranneseredevekovoi Arkhitekturi Armenii i Vizantii) "Istoriko Filologitcheski Journal" Yerevan – 1973 No.4 p.33 – 42 A.L Yacobson

يُعدّ معبد كارني Karni الأبدة الأرمنية الوحيدة التي تأثرت بالفن المعماري اليوناني ــ الروماني التي تعود بقدمها إلى الفترة ما قبل المسيحية، وتعتبر مصدرا مادياً مهماً لتشكيل فكرة جلية حول الفن الهندسي الســائد في تلك الحقبة الزمنية. وتتزايد معلوماتنا حول هندسة عمارة تلك الفترة بسبب الحفريات المنهجية التي تنفّذ في هذا المعبد ومدينتي Armavir و Ardashadالأرمنيتين.

أما ما يخصّ مسألة تأثيرات هندسة العمارة الفارسية على الأرمنية فيجب الاعتراف أنه لم تبقَ مع الأسف أية آبدة دينية قائمة لأنها كانت تبنى بالآجر غير المشوي في تلك الفترة الزمنية.

J. Strzygovski (L'ancien art.......) p. 66-69

ويمكننا أن نأخذ فكرة حول العناصر التزيينية لتلك المعابد الزائلة وذلك من خلال مواضيع الرسوم الموجودة على الأشياء المستعملة في الحياة اليومية. ومن البديهي التفتيش عن أوجه التأثير المتبادل بين ثقافتي البلدين وخاصة في مجال العمارة بسبب الروابط الدينية المشتركة بين فارس وأرمينيا في تلك الحقبة بالإضافة إلى قربهما الجغرافي. إلا أنه لم تبق مع الأسف معطيات علمية جدّية للتأكد من مسألة هذا التأثير المتبادل.

إلتفت العديد من العلماء في القرن العشرين، الذين كانوا يدرسون أوابد الشرق الوسط التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة، إلى مسائل التأثيرات الأرمنية – السورية المتبادلة في مجال العمارة المسيحية المبكرة دون التغاضي عن العلاقات المباشرة أو غير المباشرة مع جيرانهم في آسيا الصغرى وكابادوكيا وجيورجيا وغيرها من البلدان. وهذا الاهتمام مبني طبعاً على بعض الحقائق التاريخية والجغرافية الأولية.

(Early Christian and Byzantine Architecture)
London – 1965 p. 229 – 232 R. Krautheimer

وكان لسوريا دور سياسي واقتصادي كبير بسبب وقوعها في وسط الشرق الأوسط وعلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، وكانت بالتالي همزة الوصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب. وكانت أطماع الدولتين العظميين روما و فارس تتصادم على أرض سوريا. وعندما احتلت هاتان الدولتان سوريا بالتناوب، ابتنى الفاتحون على أرضها عمائر مختلفة كالقلاع والمعابد والمسارح وغيرها. وهنا بالذات جرى « تزاوج » بين ثقافتي هاتين الامبراطوريتين اللتين كانتا قد وصلتا إلى درجة من الكمال في الرقي. وبتماذج أشكال وأساليب هاتين المدرستين الفنيتين، خلقت أوابد جديدة في أشكالها وتصاميمها تتلاءم مع العادات المحلية والذوق العام. وكانت سوريا عرضة لهجمات الغزاة الجنوبيين أيضاً وبالتالي إلى غزواتهم الثقافية، وكان من نتائجها تبلور الوجه الثقافي الخاص والعادات المحلية لمناطق سوريا الجنوبية.

(Ancient Architecture in Syria) Division II
Section A. "Southern Syria" Part 4,
Bosra, p. 236 – 239 H.C. Butler

فتحت الأحداث التاريخية العديدة-التي جرت في الحقبة ما قبل الميلادية-المجال واسعاً أمام سوريا « لهضم » الثقافات المختلفة وملائمتها مع الظروف والعادات والأذواق المحلية وأمّنت لها تجربة كبيرة لخلق أسلوبها المحلي الخاص.

كان تجار الهضبة الأرمنية يسافرون في تلك الفترة نحو الجنوب إلى منطقة ما بين النهرين عن طريق نهري دجلة والفرات مصطحبين معهم منتوجاتهم المحلية ثم يقفلون راجعين إلى بلادهم وهم محملون ببضائع مختلفة. وكانت القوافل التجارية البرية الأرمنية تصل حتى مدينة القدس.

(Relations des armeniens et des Syriens du I-r Siecle avant J.C. au 7-eme Siecle après J.C.) "Armenian Studies" Beyrouth – 1973 P. 126 – 128
P. Pabujian

بدأت العقيدة المسيحية بالانتشار بعد فترة قصيرة من ظهورها. وكان تلاميذ السيد المسيح يزيدون من عدد المؤمنين بالدين الجديد عن طريق مواعظهم والتنقل من بلد إلى آخر. وكانت سوريا تلك التربة الخصبة التي نمت فيها بذور المسيحية وامتدّت بعدئذ نحو الشمال إلى أرمينيا عن طريق الرها. وأعلنت الدولة الأرمنية في عام ٣٠١م أن دين الدولة هو المسيحية أي قبل خمسة وعشرين عاما من قبول الامبراطور قسطنطين المسيحية ديناً للدولة الرومانية في عام ٣٢٥م.

يشير بعض العلماء أنه بدخول الدين المسيحي إلى أرمينيا عن طريق سوريا وصلت أيضاً بعض القوانين الطقسية والتنظيمية الجديدة التي فرضت بالتالي أشكال وتفاصيل المساقط الأولية على الكنائس إلى جانب بعض العناصر الزخرفية على جبهاتها ومداخلها. لذلك ليس مستغرباً أن يلاحظ علماء عديدون وجود شبه بين الأوابد المعمارية المسيحية المبكرة في البلدين ويوحوا بعدئذ بنظرية وجود علاقات معمارية بين عمارتي أرمينيا وسوريا أو على الأصح تأثير العمارة الأولى على الثانية في تلك الحقبة الزمنية بين القرنين ٤-٧ م تحديداً.

للعلماء الأجانب آراء مختلفة حول مسألة التأثير المتبادل لأن بعضاً من هذه الأوابد تتشابه في الحقيقة، إلا أن معظمها تتباين فيما بينها في نواح عديدة. وهناك بعض الباحثين الذين بالغوا في مسألة التأثير المتبادل فوصلوا إلى استنتاجات أدخلتهم في طريق مسدودة فاضطروا على إعادة النظر فيها وحتى نفيها. وهناك علماء آخرون استندوا في أبحاثهم على آراء وأفكار علماء مرموقين التحليلية فتأثروا بها.

من الواضح أن التضارب في الآراء نابع عن تلك الحقيقة أن هؤلاء العلماء كانوا ضليعين في الواقع بهندسة عمارة إحدى البلدين فقط. وانطلاقا من بعض الحقائق التي توصلوا إلى استنتاجها أثناء أبحاثهم ـ التي تشكل أساساً لنظريتهم ـ يعتبرون هذه الاستنتاجات مقنعة وغير قابلة للنقاش ولم يألوا جهداً كافياً مع الأسف لتحليل المسألة

علمياً عن طريق دراسة هندسة العمارة في البلدين ميدانياً والوصول بعدئذ إلى استنتاجات أساسية موثّقة يمكن مقارنتها بعدئذ. لذلك اكتفى هؤلاء العلماء بالمصادر الموجودة حول هندسة العمارة المسيحية المبكرة في البلدين وقارنوا بعض الأوابد المتشابهة فقط دون النفاذ في أسباب وظروف ظهورها.

خلافاً لهؤلاء العلماء سنحت لنا الفرصة المناسبة لدراسة الأوابد السورية والأرمنية التي تم تشييدها في الحقبة المسيحية المبكرة ميدانياً، لذلك نهدف من خلال هذا البحث تبيان هذه المسألة العلمية ضمن حدود إمكانياتنا.

الفصل الأول

آراء العلماء في علاقات هندسة العمارة المسيحية المبكرة بين أرمينيا وسوريا

كان (نيكولاي مار) ذلك العالم الذي خصص لنظرية علاقات هندسة العمارة المسيحية المبكرة الأرمنية والسورية حيّزاً كبيراً وخاصة في بحثه المعنون « بازيليك Yereruk » حيث قام بإجراء مقارنة متأنية حول كنيستين بازيليكيتين هما Yereruk وTekor ــ إلى جانب كنائس بازيليكية أرمنية أخرى ــ مع الكنائس البازيليكية السورية المبكّرة وبذلك ردّ على رأي العلماء الآخرين الذين يؤكدون أن أرمينيا لم تلجأ إلى الاستفادة من الشكل البازيليكي إلا قليلاً مؤكداً في الوقت ذاته أن هذا الشكل لم يكن موجوداً في أرمينيا فحسب، بل كان تصميماً طاغياً أيضاً في حقبة معينة.

N. Marr (Ererukskaya Bazilika) Yerevan - 1968-p29

ويحاول مار تقويم الرأي الخاطئ لبعض العلماء الذين يشيرون أن المهندسين الأرمن لم يقدموا شيئاً جديداً في مجال تطوير الأبنية البازيليكية فحسب، بل ورثوا بكل بساطة التقاليد والتجارب الهيللينية.

بعزله لبازيليك Yereuk عن بقية أنواع البازيليكات الموجودة قرب الحدود البيزنطية ــ حيث السكان المحليون كانوا يدينون بالخلقيدونية التي مالت إليها الكنيسة الجيورجية لاحقاً ــ كان مار يفتش عن ينابيع ظهور هذه الكنائس لا في الغرب (بيزنطة) بل في المناطق الجنوبية والجنوبية ــ الغربية وفي سوريا على وجه الخصوص. وعلى طريق بحثه حول نماذج أولية لكنيسة Yereruk ــ التي يعتبرها أبدة مبنية بين القرنين ٥-٦م ــ يشير مار أن الكنيسة الأرمنية الشرقية كانت على علاقة استثنائية مع الكنيسة السورية. وابتداءً من النصف الثاني للقرن السادس فقط بدأت تصل إلى أرمينيا الشرقية موجات التأثير البيزنطية.

Ibid

وحول كيفية انتقال العقيدة الدينية وأسس وأفكار وجماليات هندسة العمارة من سوريا إلى أرمينيا يجيب مار على هذه التساؤلات بالتسلسل المنطقي التالي قائلاً:

« كانت العقيدة المسيحية في أرمينيا مرتبطة عضوياً مع سوريا في الفترة الأولى لظهورها، لذلك يمكن التخمين أن المعايير الهندسية نابعة من التعاليم والطقوس الكنسية الروحانية ». ويردف بعدئذ قائلاً: « من الشيق والأكثر أهمية طبعاً لو كانت الأوابد السورية القريبة من أرمينيا في نصيبين والرها ــ اللتين انتشرت عن طريقهما العقيدة المسيحية في أرمينيا ــ قائمة حتى هذا اليوم. وإذا اعتبرنا بازيليك Yereruk سفح شـــجرة من حيث النشأة، فبنـــزولنا نحو الجنوب تصبح نصيبين والرها جذع تلك الشجرة ».

Ibid p. 29 - 30

عندما لم يجد هذا العالم جذع الشجرة في هاتين المنطقتين اتجه نحو المنطقة الجنوبية ــ الغربية للبحث عن جذور هندسة العمارة الأرمنية المسيحية فوجد ضالته في المناطق الشمالية ــ الغربية من سوريا وأنطاكيا وتحديداً بين حلب وأفاميا مؤكداً أن خرائب الأوابد التي نحن بصدد دراستها تتوضّع هنا ومنها الأديرة بأعمدتها والأبراج حول جبهاتها. ويتابع قائلاً أن تصاميم الأوابد المعمارية في هذه المناطق ليست مع ذلك متشابهة بسبب الفروقات الكرونولوجية والمستويات المادية المختلفة. ويشبّه مار بازيليك Yereruk ببازيليك الحصنّ من حيث الأروقة ويرى تشابهاً في التصميم مع كنيسة ترمانين التي لا تحتوي على أروقة بل على برجين.

يقارن مار بشكل رئيسي بين (Isavra khoja kalesi) و Yereruk انطلاقاً من التصميم والأروقة والأبراج والجبهة الغربية وغيرها ويجد تشابهاً كبيراً بينهما.

Ibid p. 33

عند بحثه حول التفاصيل التزيينية يركز مار على زخارف الكرمة والأكاليل والأحزمة المحيطة بالشبابيك وغيرها من عناصر الزينة ويعدّد الأوابد السورية التي تحتوي على تفاصيل زخرفية مماثلة.

Ibid p-34

يذكر طوروس طورامانيان في معظم أبحاثه مسألة التأثيرات المعمارية الأجنبية ويقدّم آراء مختلفة في هذا الشأن. وعند حديثه عن تأثّر العمارة الأرمنية بفنون البلاد

الأجنبية، يذكر طورامانيان أنه يمكن رؤية خطوط جلية للفنون السريانية-الكلدانية، إلا أن تأثيرات الفنون الساسانية والسورية غير قوية.

(Badmakan Hay Djardarabedutyun: Tekori Dajar)بالأرمنية
Tiflis – 1911 p-53 Toros Toramanian

(هندسة العمارة التاريخية الأرمنية: كاتدرائية تيكور)

أما ما يخص التأثيرات اليونانية ـــ الرومانية، يؤكد طورامانيان أنها جرت بشكل أساسي من خلال طريقين « بشكل مباشر أو عن طريق سوريا ... وجلبت معها أشكالاً شيقة وجميلة للنمط السوري ».

(Nüter Badmakan Hay Djardarabedutyan Badmutyan)
I, Yerevan – 1942 p 84. T. Toramanian بالأرمنية

(أبحاث حول تاريخ هندسة العمارة الأرمنية التاريخية)

عندما يقوم طورامانيان بالبحث عن ينابيع الشكل الأولّي لكنيسة Tekor وكنائس أرمينيا في العصور المسيحية المبكرة في دراسته المعنونة « كنيسة تيكور » ينطلق من أمرين إثنين: يربط أشكالها وتصاميمها بالأوابد السورية المشابهة لأن سوريا وآسيا الصغرى كانتا منبعي العقيدة المسيحية الأرمنية. أما من ناحية أسلوبها الفني فإنه يربطها بالغرب لأنه يعتبر فرضيته الأولى غير مؤكدة وخاصة أنه لم يجد في سوريا وبلاد ما بين النهرين نماذج من الكنائس الكبيرة التي شيدت حتى القرن الرابع يمكن مقارنتها مع الكنائس الأرمنية القديمة.

T. Toramanian (Badmutyun ...) p 54

لذلك بحث طورامانيان عن ينابيع الكنائس البازيليكية الأرمنية ـــ التي شيدت في العصور المسيحية المبكرة ـــ في تصاميم المعابد الوثنية في أرمينيا لأنها تشبه إلى حد كبير المعابد الوثنية اليونانية.

Ibid p. 74/5

ولمّح وأشار بشكل غير مباشر إلى تلك الفكرة أن تصاميم الكنائس الأرمنية في الحقبة القروسطية المبكّرة تأثرت بأشكال المعابد اليونانية ـــ الرومانية. وكمثال على

ذلك يشير إلى المساقط الأولية لكنيسة Tekorو Mren و Yererukو Kasakh مستثنياً الأقسام التي أضيفت إليها لاحقاً من غرف جانبية وأروقة وغيرها. ويرى أيضاً أن « الأروقة المغطاة حول الكنائس هي من خواص المعابد اليونانية ـــ الرومانية الوثنية وكانت موجودة حول جميع هذه الأوابد تقريباً في الحقبة ما قبل المسيحية ».

Ibid p. 56

ويعتبر طورامانيان أيضاً أنه تمّ ملاءمة المسننات والسواكف وتفاصيل الجبهات التي جاءت من سوريا (أي بالطريق المباشرة) على الكاتدرائيات الأرمنية.

Ibid p. 85

عبّر علماء آخرون بشكل مقتضب أيضاً عن آرائهم حول هندسة العمارة المسيحية المبكرة في كل من أرمينيا وسوريا. ويرى الباحث الأرمني المرموق الأكاديمي Hovanes Orbelli أن النشطاء في الكنيسة الشرقية والميالين للسريان جلبوا معهم أولى أوابد الإبداعات الأدبية الدينية وتصاميم الأوابد المعمارية. ويشير خاصة إلى بازيليك Yereruk أنها الأولى بين الأوابد التي تأثرت بالفن السوري واصفاً إياها أنها آبدة من أصل سوري عليها تأثيرات محلية إلى جانب المقتبسات الإيرانية – الساسانية.

(Armianskoe Iskustvo) I.A. Orbelli
Novi Encyclopeditcheski Slovar, II , Moskva – 1911 p 665

يعتبر (ن. برونوف) أيضاً بازيليك Yereruk أساساً لمقارنة العمارة الأرمنية بالعمارة السورية المسيحية المبكرة. واستناداً إلى أقواله تنتمي أوابد المدرستين الأرمنية والسورية إلى مدرسة هندسة العمارة البيزنطية الشرقية مؤكداً في الوقت ذاته أنه على الرغم من تأثر كنيسة Yereruk بهندسة العمارة الفارسية من بعض النواحي، إلا أن أساس هذه الآبدة سوري انطلاقاً من طريقة نحت الأحجار والطراز العام للبناء. ويستطرد مؤكداً أن أولى تصاميم أوابد القفقاس المبكرة وصلت عن طريق سوريا.

(Otcherki Istorii Arkhitecturii) II, Moscow – Leningrad- 1935 p. 270
H. I. Brynow

يبحث العلاّمة المطران الأرمني Karekin Hovsepiants في مؤلفه: « مواضيع وأبحاث حول تاريخ الفن الأرمني » نواح عديدة في مسألة التأثير المتبادل مع الكنائس المبنية بين القرنين ٤–٧ م، ويضع على رأس هذه المسائـــل دخول التصميم البازيليكي

إلى أرمينيا من منطقة ما بين النهرين وبلاد آشور. أما الشكل المربع المقبّب فقد جاء من إيران. إلا أنه يستطرد قائلاً أن الأرمن لم ينقلوا هذه الأشكال والتصاميم بشكل آلي بل قاموا بتطويرها وخلق تصاميم جديدة.

(Nüter Yev Usumnasiroutyunner Hay Arvesdi Yev Meshakuyti Badmutyan) II, New York p. 29

Karekin Archebiskobos Hovsepiants بالأرمنية

(مواضيع وأبحاث حول تاريخ الفن والثقافة الأرمنيتين)

عبّر العالم (ن. طوكارسكي) عن رأيه أيضاً في مسألة هندسة العمارة الأرمنية والسورية المسيحية المبكّرة. ويرى هذا الباحث المرموق أن « هندسة العمارة الأرمنية المسيحية المبكرة تعرضت لبعض تأثيرات هندسة العمارة السورية في الفترة الأولى لتشكلها. وهذه حالة طبيعية جداً وخاصة أن العقيدة المسيحية وصلت إلى أرمينيا عن طريق سوريا. وبعد تنصّر أرمينيا ترجمت أولى نسخ الكتاب المقدس إلى الأرمنية عن الأصل السرياني، لذلك نرى صورة جميع هذه العوامل معكوسة على الأوابد الدينية الأرمنية ».

N. M. Tokarsky (Arkhitektura Armenii IV - XIV vekov)
Yerevan – 1946

ويردف طوكارسكي قائلاً: « وضعت الكنائس السورية طابعها الخاص على أولى الصروح الدينية في أرمينيا... وقد ابتنى المهندسون في تلك الفترة كنائس بازيليكية تشبه الكنائس السورية بميزاتها، إلا أنها خالية من القباب ».

Ibid p. 49

وكان هذا الباحث يعير أهمية كبيرة لبازيليك Yereruk من الناحية الفنّية، لأنه كان يرى في تفاصيلها المختلفة والعناصر الفنية الإضافية ــ وخاصة وجود البرجين المؤلفين من طابقين والصلبان المتساوية الأضلاع التي يمكن رؤيتها على مداخل الكنيسة إلى جانب التيجان والأرشيترافات ــ تأثير هندسة العمارة السورية.

Ibid p51, 53

يُعتبر A. Yacobson بدوره من هؤلاء العلماء الذين قدّموا إسهامات قيمة حول دراسة علاقات هندسة العمارة الأرمنية بالسورية المسيحية المبكرة. لقد صاغ أفكاره باقتضاب في بحثه حول تاريخ هندسة العمارة الأرمنية تحت عنوان:

(Otcherk Istorii Zodtchestva Armenii V - XVII vekov)
Moskva – Leningrad, 1950

وقد بحث ياكوبسون تلك المسألة بإسهاب أكبر في مقاله « أرمينيا وسوريا » حيث يؤكد أن هذه الناحية لم تدرس بشكل كاف. وباستناده على أبحاث جورج تشالنكو وبتلر الجديدة نسبياً حاول تبيان طبيعة علاقات هندسة العمارة الأرمنية بالسورية التي تعود بقدمها إلى القرنين ٥-٧ م على وجه الخصوص.

(Armenia i Siria: Arkhitekturniye Sapastavlenia " Vizantitcheski Vremenii" Tom – 37, Moskva, 1976 p- 194

وأكد ياكوبسون على صحة نظرية ن. مار قائلاً:« لا يمكننا تصور دخول الدين المسيحي إلى أرمينيا عن طريق سوريا دون ترافق ذلك ببعض تأثيرات أشكال العمارة الدينية السورية على هندسة العمارة المسيحية الأرمنية التي كانت قد بدأت بالتشكّل بين القرنين ٤ـــ٥ م. علاوة على ذلك لا نستثني وجود بنائين سوريين في أرمينيا أيضاً ».

يقف ياكوبسون عند الكنيستين البازيليكيتين Yereruk وTekor قائلاً: « لا يوجد تطابق بين هاتين الكنيستين والكنائس السورية المعاصرة من حيث تصميمها البازيليكي الثلاثي الأبهاء والسقف الخشبي فحسب، بل أيضاً بسبب وجود البرجين على زاويتي كنيسة Yereruk بشكل خاص. ويعتبر ذلك من ميزات هندسة العمارة السورية كرويحة وترماتين وقلب لوزة والبارة وغيرها. وتوجد نماذج مشابهة أيضاً في موقع Binbirkilise في آسيا الصغرى ».

يشير ياكوبسون في الوقت ذاته إلى بعض الفروق الموجودة بين الكنائس البازيليكية الأرمنية والسورية مستطرداً: « إلا أنه على الرغم من ذلك يجب الاعتراف أن المهندسين الأرمن الذين قاموا ببناء كنائس بازيليكية ذات قبو سريري Barrel Vault – ينطلقون من فن هندسة العمارة السورية باقتباسهم التصميم الأصلي للكنائس البازيليكية ». ويقف عند كنيستي Yereruk وTekor أيضاً ويصفهما قائلاً: « لعناصر هاتين الكنيستين الزخرفية نقاط تماس عديدة مع هندسة العمارة السورية المبنية بين

القرنين ٥-٦ م التي تمتاز بشـــكل خـــاص بالأحزمـــة الزخرفية التي تحيط بالمداخل الرئيسة والشبابيك ». ويذكر من جهة أخرى خصوصية الكنيستين الأرمنيتين الزخرفيـــة التي تمتاز بالصرامة والاحتشام والإيجاز. وقـــام بإجـــراء مقارنة عامة في نهاية مقالـــه بين تأثيرات هندسة الأوابد السورية الكبيرة في حقبة تنصّر أرمينيا وبين خصوصية هندسة الكنائس في أرمينيا في الحقبة ذاتها مستنتجاً: « كان المهندسون وعمال البناء الأرمن يتلقون الفن السوري حسب مفهومهم. وعلى الرغم من اطلاعهم الجيد واحترامهم لهذا الفن، إلا أنهم لم يطبقوه كفرض وبعقلية متحجرة، بل اعتبروه نقطة انطلاق في أعمالهم الخلاقة. لذلك تشير جميـــع الحقائق إلى تشكّل مدرسة هندسة أرمنية بمبادئها المعمارية الفنية الخاصة ».

يُعتبر أ. ساهينيان من هؤلاء الاختصاصيين في تاريخ العمارة الأرمنية الذين جهّزوا مادة كبيرة قيّمة حول هندسة العمارة الأرمنية القديمة والمسيحية المبكرة بين القرنين ٤-٦ م. وقد قام بأبحاث جادة حول بعض الأوابد التي تنتمي إلى تلك الحقبة التاريخية كمعبد كارني Karni الوثني وبازيليك كاساخ وكاتدرائية إتشميادزين وغيرها. ويرى أن لشكل الكنائس البازيليكية الأولى ــ من حيث تصميمها الداخلي والمقاييس والأحجام المبنية في وقت مبكر ــ علاقة مباشرة مع فن هندسة العمارة الكلاسيكية أي ما قبل المســـيحية. أما الأقسام التي أضيفت إلى هذه الأبنيـــة البازيليكية لاحقاً ــ وهي الحنيات المضلّعـــة والأروقـــة الخارجيـــة المقنطـــرة والأقسام المعمّدة على المداخل الرئيسية وزخارف السواكف ــ لها علاقة بالفـــن المسيحي المبكـــر حيث تظهـــر بجلاء الحلول الإنشائية للإضافات المعمارية في سوريا كذلك في الأشكال المتطورة للإضافات على الأوابد في منطقة آسيا الصغرى.

A Sahinian (Kasakhi Bazilikayi Djardarabedutyne)
Yerevan – 1955 p 188 بالأرمنية

(هندسة عمارة بازيليك كاساخ)

تلعب كنيسة Yereruk البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة دوراً مرموقاً في مسألة التأثيرات المتبادلة. ويبيّن ساهينيان ذلك على الشكل التالي: « تعكس Yereruk بعض الضوء على ظهور العمارة الوطنية الأرمنية وعلى مسائل عديدة في حقبة تشكلها من

جهة وتساهم من جهة أخرى على تبيان حقيقة العلاقات القائمة بين الشعوب المجاورة والتأثيرات المتبادلة فيما بينها ».

Ibid p-106

وحسب تحليلاته المعمارية تّم خلق هذه البازيليكا بشكل تدريجي بإضافة العناصر إليها مع الوقت لأنه من دونها ينال البناء شكلاً بسيطاً ويبتعد عن تصاميم الأوابد السورية المشابهة (كترمانين وقلب لوزة) التي تحتوي على نواح عامة مباشرة معها. ولخصّ ساهينيان آراءه فيما يخص مسألة التأثيرات المتبادلة قائلاً: « تكمن النواحي العامة في العمارة السورية ـ التي بنيت في الحقبة المسيحية المبكرة ـ في الإضافات التي جاءت بين القرنين ٤-٦م ».

أكد علماء أرمن آخرون مثل (ف.هاروتيونيان) و(أ. يرميان) و(س. مناتساكانيان) و (هـ. خالباخجيان) وغيرهم على هذه النواحي أيضاً.

أما عن آراء العلماء الغربيين حول علاقة العمارة الأرمنية بالسورية في حقبة المسيحية المبكرة، علينا أن نذكر أن (هـ. سترجيكوفسكي) و(هـ. كليوك) ينفردان في استنتاجاتهما حول هذه المسألة عن بقية الباحثين. ويرى الأول منهما مثلاً أن سوريا ـ التي تحتل جغرافياً المنطقة الوسطى للشرق الأوسط ـ تأثرت من جهاتها الأربع ولم تكن مكاناً للخلق والإبداع ، بل كانت محطة لتمرير مختلف الفنون فقط.

(L'ancien art chretien de Syrie) p.167-169. J. Strzygovski

ونشعر من خلال أبحاث هؤلاء العلماء وجود تلك الفكرة أنه إلى جانب التأثير المباشر للعمارة المسيحية المبكرة بشكل عام، فقد كانت هناك بعض تأثيرات الفنون الهيللينية والشرقية في المقام الأول على عمارة أرمينيا المسيحية المبكرة التي وصلت عن طريق سوريا.

أشار كليوك أيضاً إلى أشكال التسقيف في الكنائس المستطيلة في بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط (سوريا بشكل رئيسي) والأبنية الموجودة في البلدان الشرقية في مقالته: « الطريق نحو أوروبا » قائلاً: « كان القبو السريري Barrel Vault موجوداً حتى في الفترة الأولى لانتشار المسيحية في نجود أرمينيا وآسيا الصغرى على الرغم من استبدال السقف الآجرّي بالحجر ».

Ibid. p. 792-797

يؤكد ستر جيكوفسكي على الفكرة ذاتها مستطرداً أن السقوف الخشبية كانت منتشرة في سوريا وآسيا الصغرى ومنطقة ما بين النهرين أي في الأماكن التي دخلت إليها الحضارة الهيللينية. وعلى الرغم من تأثير الحضارة الهيللينية على أرمينيا أيضاً، إلا أن أبنيتها بقيت بقبو سريري لذلك نستنتج أنه كان للهيللينية تأثير بسيط على أوابد أرمينيا.

Ibid p. 381

يرى ستر جيكوفسكي – عند إشارته للقاعات المستطيلة الشكل – أنه ليس لها علاقة بالتقاليد الأرمنية: « إن الشكل البازيليكي ذا الأبهاء الثلاثة هو حصيلة المد الهيلليني. وبسبب عدم تاثر أرمينيا كثيراً بهذه الحضارة الغربية، يمكن الاستنتاج أن هذا التصميم البازيليكي وصل إلى أرمينيا مع العقيدة المسيحية نتيجة توسع الهيللينية ».

Ibid p. 389

عبّـر كليوك عن الفكرة ذاتها في مقـال كتبه حول جيورجيـا وقـارن Bolnis وUrbanis مع العمارة البازيليكية الأرمنية قائلاً: « كانت العقيدة المسيحية سبب ظهور الشكل المستطيل للعمارة في سوريا وبلاد ما بين النهرين الذي سرعان ما تأقلم مع الأشكال الهندسية المحلية ».

Klüg .... p 788 –791

يلتفت ستر جيكوفسكي أيضاً إلى البازيليك Yereruk ذات الأبهاء الثلاثة–التي هي من أهم الأوابد الأرمنية التي يقوم الباحثون بمقارنتها مع أوابد سوريا المسيحية المبكرة المرتبطة بالثقافة الهيللينية في منطقة سوريا الشمالية–ويذكر أن أروقة هذه الكنيسة لا تحمل طابعاً محلياً، بل وصل تصميمها من بلاد سوريا المجاورة حيث يُشاهد هذا التصميم حول أبنيتها المدنية.

Ibid p.401 Strzygovski

ويعقّب هذا العالم على أبراج Yereruk وشبابيكها الكبيرة قائلاً أن: « وجودها في هذه الكنيسة وغيابها قبل ذلك في بقية الأوابد الأرمنية يعطينا أساساً للتخمين أنه تمّ استيرادها من سوريا وآسيا الصغرى. علاوة على ذلك توثّق كتابات يونانية موجودة على هذه الكنيسة على أقوالنا وتؤكدها ».

Ibid p.400

للباحث أ. خجادوريان بعض الدراسات حول الأوابد المعمارية الأرمنية. فإلى جانب الوصف العام للأوابد وتحليلها يشير لمرات عديدة إلى مسألة العلاقات بين هندسة الدول الأجنبية والأرمنية التي تنتمي إلى عصور مختلفة. ويلتفت إلى علاقات هندسة العمارة الأرمنية بالسورية في الحقبة المسيحية المبكرة قائلاً: « تنصّرت أرمينيا عن طريق سوريا لذلك يجب التفتيش في سوريا بالذات عن مصادر وينابيع الإلهام في هندسة العمارة الأرمنية. ولا يعني ذلك طبعاً وجود شبه مباشر بين آبدة وأخرى. لكن أشكال وأنواع وتصاميم وحتى تطور فن العمارة متشابه في هاتين البلدين ». ويرفض هذا العالم الأرمني في الوقت ذاته رأي سترجيكوفسكي ومعاونه كليوك القائل أن الأبنية البازيليكيـــة لم تكن معروفـــة في أرمينيا قبل الحقبة المسيحية بل ظهرت بين القرنين ٥-٦ م فقط ودخلت إلى أرمينيا بتأثيرات من الهندسة السورية. وعند بحثه حول هندسة المدافن في البلدين يستنتج خجادوريـــان أن المدافن الأرمنية المبنية بين القرنين ٤-٦م استعارت وطورت تقليداً كان معروفاً في سوريا في القرن الثاني قبل الميلاد.
(L'architecture armenienne du IV - VII Siecle) Paris – 1971 p.93 A. Khatchadourian

يشير خجادوريان أيضاً أن الأبنية المقبّبة (المدافن بشكل رئيس) كانت شائعة في الإمبراطورية الرومانية في القرن الثاني قبل الميلاد، لذلك « آثرت كل من سوريا وأرمينيا المسيحيتين تبنّي هذا التصميم ».

عند الإشارة إلى مسألة ظهور الكنائس ذات البهو الواحد مع الأروقة في سوريا، يرى خجادوريان تاثير هندسة الأبنية السكنية المباشر عليها ويقارن كنيسة ربيعة السورية بكنيسة Dvin و Tanahad ذات البهو الواحد مؤكداً أن أروقة الكنائس الأرمنية جاءت من الأبنية المدنية أيضاً.

عند دراسته للكنائس ذات الأبهاء الثلاثة، يشير خجادوريان إلى أن البازيليكات الأرمنية تمتاز بأقبيتها السريرية، أما البازيليكات السورية فإنه يعتبرها هيللينية مؤكداً في الوقت ذاته أن الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة في المنطقة الشمالية ــ الشرقية من سوريا لها شبه أكبر بالأوابد الأرمنية في مناطق أخرى من البلاد. ويعتقد أن البازيليكا الأرمنية ــ على الرغم من كونها ذات قبو سريري Barrel Vault ــ تأثرت بالشكل

البازيليكي الهيلليني مستشهداً ببازيليك Yereruk ومقارناً تصميمها مع تصميم بازيليك رويحة. وللتأكيد على الأصل السوري للعناصر المعمارية في بازيليك Yereruk يقوم بمقارنتها مع سلسلة من الأوابد السورية كترمانين والرصافة والبارة وغيرها من الكنائس البازيليكية.

Ibid p.95/96

قام خجادوريان في النهاية بتعميم نتائج أبحاثه قائلاً: « تعتبر العمارة السورية بشكل عام مصدر هندسة العمارة الأرمنية إلا أننا يجب ألا نرى في هندسة المدافن أو الكنائس تماثلاً كاملاً استثنائياً أو تبعية بين آبدة وأخرى انطلاقاً من أشكالها وتصاميمها البازيليكية والتعدد في الحلول الذي جرى بسبب الإضافات. وليس هناك خط تطور مستمر أيضاً لأن الأشكال المستخدمة ومبادئ التصاميم العامة ظهرت في كل مرة انطلاقاً من المعطيات والأحوال المحلية الخاصة ».

Ibid p. 97

يتكلم (R. Krautheimer) في الجزء الخامس من كتابه حول هندسة العمارة الأرمنية واصفاً أنها فن تطور بشكل عام تحت إشراف هندسة العمارة البيزنطية مستثنيا في الوقت ذاته بعض الميزات والحلول التي ظهرت وتطورت في أرمينيا.

(Early Christian and Byzantine Architecture) London – 1965 p. 228, Krautheimer

يربط هذا الباحث ظهور وتطور العمارة الأرمنية ـ التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة ـ بهندسة البلاد المجاورة (الأبنية الدينية بشكل خاص). ويضع هندسة العمارة الأرمنية بشكل عام في وضعية المتأثر والمتلقي مشيراً إلى تأثيرات هندسة العمارة السورية والبيزنطية ومنطقة آسيا الصغرى وكيليكيا وكابادوكيا وشمالي ما بين النهرين وإيران الساسانية والأناضول على الأرمنية. ويعمم في النهاية قائلا أن العمارة الرومانية هي مصدر جميع تلك الأوابد ابتداءً من القرن الثاني قبل الميلاد.

Ibid p. 228 – 230

وكانت بداية هندسة العمارة الأرمنية بين القرنين ٥ - ٦م مرتبطة ـ حسب رأيه ـ مع سوريا لحقبة طويلة. واستشهد ببازيليك Yereruk كمثال رئيس للمقارنة قائلا:

« تذكّرنا بعض عناصر هذه الكنيسة بسوريا بشكل لا لبس فيه ... وخاصة البرجين والغرفتين قرب الحنية والأحزمة الزخرفية حول الشبابيك ». ويرى أن برجي هذه الآبدة الأرمنية هي الأقرب إلى الأبراج السورية من حيث التصميم من تلك الواقعة على أرض الأناضول.

Ibid p 229 - 230

ويحلّل كراوتايمر بناء هذه الكنيسة مشيرا أن هذه المنظومة الجميلة ـ التي شيدت ببلوكات حجرية كبيرة ـ متأثرة بهندسة العمارة في كل من سوريا وكبادوكيا وبالتالي بتقاليد هندسة العمارة الرومانية. وبالمنطق ذاته يقوم ببحث حول كنيسة Tekor ويرى أن لتفاصيل قناطرها الزخرفية ـ التي لها شكل حدوة فرس ـ شبَهٌ كبير بتفاصيل كنائس كابادوكيا. لذلك تدفعه هذه المعطيات للاعتقاد في وجود نشاط معماري ممتد من كبادوكيا باتجاه أرمينيا.

في بحث له أيضا حول المزارات ذكر علاقات هندسة العمارة الأرمنية بالسورية والفلسطينية. وبناءَ على نظريته الرئيسة نتجت الكنائس ذات المسقط الشعاعي عن المزارات. وقد نالت الكنائس البازيليكية أهمية خاصة لدى الامبراطور قسطنطين الذي بنى العديد منها في مدن مشهود لها بالشهادة كالقدس وروما وغيرها.

A. Grabar (Martyrium) Paris - 1946 p.11- 14

يربط هذا الباحث نظريته بأرمينيا على المنطق التالي: « بسبب كون أرمينيا البلد المسيحي الثاني، كان بينها وبين الأرض المقدسة تواصل متعدد الأوجه، لذلك نقلت في الفترة الولى لتنصرها العادات الطقسية وأشكال هندسة العمارة الكنسية من فلسطين. وإن سياسة كريكور المنوِّر ـ الذي اعتبر نفسه أحد الحواريين وأخذ فلسطين مثالا يحتذى ـ تأكيد على ذلك. لذلك يرى Grabar أن نشأة الكنائس الأرمنية الأولى يجب أن تكون مرتبطة بالمزارات مستشهدا بمخطط كاتدرائية إتشميادزين (القرن ٤-٥م) الذي جهزه طورامانيان مؤكدا أنها كانت مزارا قبل ذلك.

Ibid p.187

درس علماء أوروبيون مرموقون أيضا علاقات هندسة العمارة الأرمنية بالسورية مثل(M. Thiery) و(Paulo Cuneo) في سلسلة من الأعمال التي نشرت في القرن الماضي.

1.- J. M. Thiery (L'art arméniénne) Paris - 1987
2.- (L'architectura armena ad IV - XIX Sieclo) Roma - 1988 Paulo Cuneo

ونرى أن هذين العالمين الأوروبيين يركزان أيضا على التأثير المباشر لفن العمارة السـورية علـى البازيليكا الأرمنية Yereruk . وقد بحث علماء عديدون آخرون هذه العلاقات، إلا أنهم كرروا في الحقيقة الآراء والطروحات السابقة التي قمنا بعرضها.

الفصل الثاني

الكنائس البازيليكية السورية في الحقبة المسيحية المبكرة

سنقدم في دراستنا الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة في سوريا وأرمينيا التي تعود بقدمها إلى الحقبة القروسطية المبكرة فقط، لأن معظم العلماء الأرمن والأجانب قدموا دراسات مقارنة حول علاقة هندسة العمارة الأرمنية بالسورية انطلاقاً من هذه الأوابد بالذات. وقد اعتبر الاختصاصيون الغربيون أن الكنائس السورية المقبّبة هي من أصل بيزنطي وأكدوا على هذه الناحية عند بحثهم العلاقات الهندسية الأرمنية ـ البيزنطية ونشروا النتائج في الدوريات الاختصاصية بعد دراسة هذه الأوابد بشكل كاف. وقد أجرى Stepan Mnatsakanian أبحاثاً مقارنة مرموقة في العقود الأخيرة حول مسائل تصميم الأوابد البازيليكية الأرمنية المقبّبة المرفوعة على أربع ركائز والكنائس ذات المسقط المربع والقبة المركزية. وسنعود إلى آراء هذا الباحث الأرمني في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

تشكل الكنائس البازيليكية السورية ـ التي شيدت بين القرنين ٤-٦م وتوضعت بكثافات مختلفة في جميع مناطق البلاد تقريبا ـ رقما مرموقا. ويمكن تصنيفها حسب موقعها الجغرافي إلى أربعة أقسام وهي: جنوبية ووسطى وشرقية وشمالية. ويجب الاعتراف أيضاً أن معظم تلك الكنائس هي في حالة خراب أما القسم الآخر فلا نجد له على أي أثر.

أتيحت لنا في السبعينات من القرن الماضي فرصة لدراسة معظم تلك الكنائس. وبناء على الأبحاث الميدانية التي قمنا بها ـ وبعد الاطلاع على دراسات (هـ. بتلر) و(ج. تشالنكو) ـ سنقوم في هذا الفصل بتحليل الكنائس البازيليكية السابقة الذكر محاولين وضع تصنيف لها وإظهار ميزاتها الهندسية والفنية الأساسية ووصف الكنائس الأكثر بروزاً بشكل مقتضب.

1.- H.C.Butler (Early Churches in Syria) Princeton -- 1929 p.14-17
2.- (Villages antiques de la Syrie du Nord) Paris – 1953 p 16 G. Tchalenko

نجد نظريات عديدة حول نشوء الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة في سوريا. إلا أنه هناك فرضيتان رئيسيتان هما:

أ- احتمال نشوئها من الأبنية الوثنية السورية.

ب- احتمال نشوئها من الدور السكنية.

عند دراسة الكنائس السورية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة نلاحظ عدم وجود تحوّل شديد من شكل إلى آخر. لقد ظهر هذان النموذجان بين القرنين ٤-٦م بأعداد كبيرة وأشكال مختلفة من حيث التصميم والأحجام والقياسات. وظهرت هذه التغييرات بأشكال عديدة، إلا أنها لم تستمرّ. ونلاحظ أن بعض التفاصيل ــ التي هي من خواص الحقبة الممتدة بين القرنين ٤-٧م ــ تختفي من على أوابد القرن الخامس ويعاد استخدامها لاحقاً على بعض الأوابد في القرن السادس. وتتكرر هذه الظاهرة كثيرا في كنائس سوريا ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة التي تنتمي إلى القرنين ٤-٦م مما يسبب حرجاً عند تصنيفها كرونولوجياً لدراسة تطورها اللاحق.

لذلك وللحيلولة دون وقوعنا في متاهات مسدودة عند تصنيفنا لهذه الكنائس، سنقوم بالتركيز على التفاصيل المعمارية بشكل أساسي لإيجاد تعميم حول خواصها الهندسية وتطورها والإشارة إلى تاريخ بنائها ضمن استطاعتنا.

سنصنّف هذه الكنائس انطلاقاً من شكل مساقطها (الحنية والغرف المجاورة لها والنارتكس والرواق المعمّد والمداخل والشبابيك) والبنية الإنشائية (الأعمدة أو الركائز أو أشكال السقوف).

تقع هذه الكنائس بشكل رئيس في المنطقة الجنوبية والشمالية من سوريا ويمكن إيجاد ينابيع هندستها في المنازل السكنية المحلية.

G. Tchalenko p.17

وسنقوم بتبيان هذه الحقيقة في الفصل الرابع من هذا البحث.

يمكن تصنيف هذه الكنائس إلى قسمين رئيسيين انطلاقا من شكل مساقطها وهما:

١-كنائس ذات بهو واحد وحنية مستقيمة.

٢-كنائس ذات بهو واحد وحنية دائرية.

نصادف نماذج من هاتين المجموعتين من الكنائس، التي تنتمي إلى القرنين ٤-٦م، في مناطق سوريا الشمالية والجنوبية كما أشرنا. إلا أن هذه الكنائس تتباين عن بعضها بعضاً بميزات رئيسة وهي:

أ- وجودها وحيدة أو ضمن مجمّع هندسي.

ب- بحلولها الهندسية - المعمارية.

ج- بتفاصيلها الزخرفية وغيرها.

تتمركز الكنائس ذات البهو الواحد والحنية المستقيمة بأعداد أكبر في سوريا الشمالية بسبب تأثرها المباشر على الأرجح بهندسة الدور السكنية. وقد تمّ تشييد معظم هذه الكنائس في هذه الفترة دون أقسام متممة مساعدة داخل مجمعات الأديرة. ويستثنى دير سمعان عن هذه القاعدة حيث تنصهر الكنيسة مع مجمّع الدير الذي تمّ بناؤه في القرن السادس (الذي يحتوي على الفنادق والغرف المساعدة وغيرها). وتسود القاعدة ذاتها في كنيسة براد ذات الحنية المستقيمة.

نرى صورة مغايرة في سوريا الجنوبية حيث نجد جميع هذه الكنائس ذات الحنية المستقيمة ضمن مجمعات الأديرة. وهنا أيضا نستثني تلك الكنيسة المعروفة من قبلنا

والمذكورة في أبحاث بتلر ولا تزال قائمة بحنيتها المستقيمة البارزة نحو الجهة الخارجية والواقفة وحيدة في مجمع منطقة العيون.

ومن كنائس سوريا الجنوبية كنيسة أم الجمال وسامح والأوبري Sameh و Alouberi ودير النصراني وغيرها.

تعدّ كنيسة أم الجمال من أقدم المراكز المسيحية في سوريا الجنوبية حيث نرى كنائس مؤرخة تعود إلى الحقبة الأولى لانتشار العقيدة المسيحية. والكنيسة الشرقية في هذا الموقع أنشئت في عام ٣٥٠م حسب رأي بتلر.

Butler p.17, 18

وينقسم بهو هذه الكنيسة إلى ستة أقسام عن طريق أقواس عرضانية التي تستند على ركائز جدارية داخلية التي بدورها تحمل السقف المستوي المبني بالألواح الحجرية المبسّطة . وتحيط بالحنية غرفتان جانبيتان بشكل متناظر ويحيطهما مع الحنية جدار عام على الجهة الشرقية. ويقع المدخل الرئيس للكنيسة على الجبهة الغربية والنارتكس في مقدمته. ويمتد مجمّع الدير على طول الجبهة الجنوبية من الكنيسة. ويمكن الوصول إلى المدخل الرئيس بعد صعود أربع درجات. وتقع الكنيسة على الجهة الشمالية من المجمّع. وللدير باحة داخلية.

لدير سامح كنيستان، تقع الأولى منهما على الجهة الجنوبية وهي من الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة البسيطة وهي الكنيسة الأخيرة التي شيدت في عام ٦٢٤م حسب كتابة اكتشفت في الموقع.

Ibid p.89

أما الكنيسة الشمالية فهي ذات أبهاء ثلاثة وحنية مستقيمة وغرفة إضافية بارزة إلى الجهة الخارجية من جبهتها الشمالية. وتنقسم قاعة هذه الكنيسة ـ ككنيسة أم الجمال ـ إلى ستة أقسام عن طريق الأقواس العرضانية وهي صفة تمتاز بها جميع الكنائس ذات البهو الواحد السورية الجنوبية. وللكنيسة مدخل واحد على الجبهة الغربية وشباك واحد صغير على الحنية الشرقية.

كنيسة الأوبري ــ على النقيض من الكنيستين السابقتين ــ موجودة في وسط المجمّع وعلى محوره الغربي – الشرقي. إلا أن الحنية فيها شيدت بشكل غير متناظر نسبة إلى البهو وذلك لخلق مساحة مناسبة للغرفة الجنوبية التي يُدخل إليها من البهو. والمدخل الرئيس هو الوحيد على الجبهة الغربية الذي يطل على باحة الدير. وتحتوي الحنية على شباكين صغيرين. وانطلاقا من توضّع الحنية يمكن التأكيد أنه كان لها شأن مهم في تلك الفترة. وتنقسم الكنيسة إلى ثلاثة أقسام عن طريق قوسين عرضانيين. وقوس الحنية أصغر من تلك الموجودة على الجانبين.

تنقسم الكنيسة الموجودة في دير النصراني إلى ثلاثة أقسام أيضا بواسطة قوسين عرضانيين. لقد شيدت الحنية هنا على محور البهو الذي هو أعرض من الحنية. وللكنيسة غرفتان إضافيتان مساعدتان على جبهتيها الشمالية والجنوبية. وتصل مساحة كل غرفة على حدا مساحة الحنية ويمكن الوصول إليهما عن طريق البهو. وإذا نظرنا إلى الكنيسة وهاتين الغرفتين المجاورتين نلاحظ أننا أمام مسقط مربع الشكل يشبه مخطط الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة من الداخل. ويقع مدخل الكنيسة الرئيس على الجبهة الغربية ولا توجد شبابيك على الحنية لأن الكنيسة كانت تضاء على الأرجح من الجهة العليا وذلك باستغلال فارق الارتفاعات بين البهو والغرف المساعدة في الجهة الجنوبية. علاوة على ذلك إن سقف الكنيسة والغرفتين الجانبيتين مستوية لأنها مبنية بالألواح الحجرية.

انطلاقا من تاريخ كنيسة أم الجمال الشرقية وكنيسة جوليانوس يمكننا اعتبار كنائس الأديرة الثلاثة أعلاه أوابد من القرن الخامس. ونظرا لوجود تماثل معماري (أقواس عرضانية وسقوف من الألواح الحجرية وغيرها) بين هاتين الكنيستين وتباين في المخطط–حيث يقصر طول الكنائس وينقص بالتالي عدد الأقواس التي تقسم البهو ويتغيّر توضّع الغرفتين الإضافيتين بالنسبة للحنية. لذلك ليس من الصعب الملاحظة في وجود ميل خاص لإتمام وإيصال مجمّع الدير إلى الكمال. وانطلاقا من ذلك يمكن اعتبار الكنيسة ذات البهو الواحد في دير سامح أبدة بنيت في نهاية القرن الرابع، لأن مسألة الدير على المخطط تمّ حلها ومكان تشييد الكنيسة لا علاقة له بأي تناظر. ومن

تلك الكنائس أيضا الأبدة الموجودة في دير عنزة ذات البهو الواحد وحنية مستقيمة وهي مقسمة إلى أربعة أقسام بواسطة أربعة أقواس عرضانية. ويقع مدخل الكنيسة على القسم الغربي. ونجد شباكا واحدا على حنيتها. ويعتبرها بتلر من منشات بداية القرن الرابع انطلاقا من فنّها المعماري والزخرفي.

Ibid p.91

إن الكنائس ذات الحنية المستقيمة في مجمعات الأديرة في سوريا الشمالية قليلة جداً. وقد سنحت لنا الفرصة لمشاهدة كنيستين فقط أثناء دراستنا الميدانية في عام ١٩٧٢. الأولى منهما في دير سمعان والأخرى في براد. ومن المحتمل وجود كنائس أخرى أيضا إلا أنه لا يمكننا التأكّد من عددها أو أشكالها دون اللجوء إلى التنقيب المنهجي والدراسة المتأنيّة.

يعتبر دير سمعان من أكبر المجمّعات في سوريا الشمالية بل يمكننا الجزم أنه الأكبر. وقد بدأت حركة العمران في هذه المنطقة في منتصف القرن الخامس عندما ــ حسب الروايات التاريخية ــ جاء القديس سمعان كناسك على قمة الجبل ووهب حياته لله تعالى وعقيدته المسيحية. لذلك بنى في هذا الموقع عامودا يصل ارتفاعه إلى ١٩ متراً وقضى عليه الثلاثين السنة المتبقية من حياته دون انقطاع وتوفي في شهر أيلول من عام ٤٥٩ م وسميت التلة بعدئذ بل الناحية كلها باسمه. ويتوضّع دير سمعان الكبير على سفحي التلة من الجهة الجنوبية والجنوبية ــ الغربية وهي مؤلفة من أبنية مختلفة الوظائف.

يتألف الدير الجنوبي لجبل سمعان من كنيسة ذات بهو واحد وحنية مستقيمة وفندقين متشابهين في التصميم وبنائين آخرين استخدما مسكنا للرهبان على الأرجح. وقد بنيت جميع هذه المنشآت حول باحة داخلية عامة. والكنيسة هي عبارة عن قاعة دون تقسيمات. والحنية التي شيدت على محور الكنيسة الرئيس أضيق من البهو. وتوجد غرفتان جانبيتان إلى الجهة الشمالية والجنوبية من الحنية محاطتان بجدار مستقيم على الجهة الشرقية. وللكنيسة رواق على جبهتها الجنوبية.

تعتبر براد أيضا من مجمعات سوريا الشمالية. وتعتبر الكنيسة الكائنة على الجهة الجنوبية ــ الشرقية من هذا المجمّع بسيطة في شكلها مقارنة بدير سمعان . وهنا أيضا نرى تقسيمات في البهو الرئيسي. وتنفصل الحنية عن البهو بقوس ضيق. ويوجد إلى جانبه من الجهة الجنوبية مدخل يربط الحنية بالبهو. ونجد هنا أن مفهوم الغرفة المساعدة قد حُلّ مع مساحة الحنية التي تبرز قليلا نحو الخارج من الجهة الجنوبية. ويمتدّ الرواق على الاتجاه ذاته. وهناك شبابيك على الواجهة الشمالية والجنوبية والشرقية من الكنيسة التي كانت مغطاة بسقف خشبي. وتعتبر هذه الكنيسة من أوابد القرن السادس.

Ibid p. 97

تتألف جميع كنائس سوريا الشمالية ذات البهو الواحد والحنية المستقيمة من قاعة عامة واحدة تكون مرتبطة بشكل عام بالحنية الموجودة على الطرف الشرقي عن طريق الأقواس. وهناك بعض الكنائس التي لها حنيات بارزة جدا على الجهة الخارجية. وقد وجدنا ثلاث كنائس من هذا الطراز في كفر لاب وبرجكة وست الروم. ونلاحظ أن حنية هذه الكنائس أضيق من أبهائها وأقواس حنيتي كنيسة ست الروم وكفر لاب أضيق من عرض الحنيتين. ونلاحظ أن هذه الظاهرة تتكرر في برجكة أيضا. وإلى جانب ذلك تحتوي كل كنيسة فيها على باب واحد على الجبهات الرئيسة الثلاث. وليس هناك تناظر من حيث توضّع الأبواب الجنوبية والشمالية. وتعود هذه الكنائس إلى القرن السادس الميلادي.

وجدنا في سرجيلة بناء مستطيل الشكل ذا حنية بارزة جدا نحو الجهة الخارجية يحتوي على جميع عناصر الكنيسة . ولم نعثر مع ذلك على أي ذكر لهذه الأبدة في المصادر الاختصاصية. وعند بحثنا ميدانيا تأكدنا أن الحنية أضيفت إليها في وقت لاحق. وتقع هذه الكنيسة قرب مجمع مؤلف من فندق وبيوت سكنية ومعصرة زيتون. ويحتمل أن تكون هذه الكنيسة بناءَ سكنيا في بادئ الأمر. وعندما نضع هذه الأوابد المختلفة أمام ناظرينا نخرج بانطباع أنها تشكل ديرا. ولم يبق من حنية الكنيسة سوى

الأساسات وفي بعض الأحيان مقاطع صغيرة من الجدار بارتفاع لا يتجاوز بضعة مداميك.

توجد في سوريا الشمالية سلسلة من الكنائس ذات الحنية المستقيمة وتصاميم وأشكال بسيطة جداً. وينقسم البهو عن الحنية من الجهة الشرقية بأقواس تختلف عن بعضها البعض من حيث مقاييس عرضها. وتنصهر هذه الأقواس في بعض الأمكنة (برج الديروني – القرن السادس) مع عرض البهو. وهي أضيق في مكان اخر مقارنة مع البهو، وتخلق بالنتيجة مساحة تعزل البهو أكثر فأكثر (قصر إبليسو وقصر المدْخر ــ القرن السادس). وتنعزل الحنية في الأبدة الأخيرة عن الغرفتين الجانبيتين عن طريق عامودين. ولهاتين الغرفتين مدخلان من جهة البهو. ولم نعثر في هذه الكنائس على أروقة. ولازالت كنيسة الديروني ــ لحسن الحظ ــ في حالة جيدة. وعلى الرغم من تصميمها البسيط إلا أنها تمتاز بفنها المعماري السوري المميّز كالأحزمة الزخرفية على شبابيكها ومداخلها. ونجد مساقط أكثر بدائية وبساطة في كنائس منطقة سرجبلة،لأن الحنية والبهو منصهران مع بعضهما بعضاً ولا شيء يربط بينهما أو يشير إلى طبيعتها الكنسية سوى ترتيب شبابيكها على الواجهة الشرقية. ويوجد طابق أرضي مطمور تحت تراب هذه الأبدة الذي كان مدفناً على الأرجح. وعثرنا في رويحة أيضا على أوابد ذات طوابق أرضية كان بعضها يستعمل مستودعا والبعض الاخر مدفنا.

يمكن اعتبار كرك بيزة وبنكفور من أبسط الكنائس (القاعات) تصميما باختلاف واحد هو أن لهاتين الكنيستين رواقا على الجهة الجنوبية منهما. وعندما قمنا بالتنقيب في كنيسة كرك بيزة بإشراف جورج تشالنكو في شهر أيلول من عام ١٩٧٣ اكتشفنا غرفة مساعدة (معمودية) قرب حنية الكنيسة على الجهة الجنوبية الشرقية منها. ولهذه الغرفة مدخل صغير باتجاه الحنية. وعثرنا أيضا على جرن للمعمودية في صحن الغرفة الذي يعتبر من أقدم الأجران. ونجد أجرانا أيضا في جبل سمعان وكفر أنطين التي تتشابه في أشكالها وغناها الزخرفي.

يتطابق تصميم كنيسة كرك بيزة بشكل شبه كامل مع تلك الفيلا الموجودة على بعد ثلاثة أمتار إلى الجهة الشرقية منها التي يعود تاريخ بنائها إلى سنة ٣٢١م. وهذا دليل على

تأثير مساقط الأبنية السكنية على الكنائس. وقد أضيف الرواق وغرفة المعمودية إلى الكنيسة في وقت لاحق. وتوجد في وسط الكنيسة البيما على شكل حدوة فرس يصل ارتفاعها إلى نصف متر حيث كان يجلس رجال الدين على طرفيها على مقاعد حجرية أثناء القداس. وقد بدأت البيما والعناصر الزخرفية المسيحية والأواني الحجرية (لحفظ الدهون) وجرن المعمودية بالظهور بعد القرن الخامس فقط. وهذا يعني طبعا أن بناء الكنيسة بدأ يحوز على عناية خاصة من قبل السكان ابتداء من نهاية هذا القرن.

لا ينفصل بهو كنيسة بنكفور (القرن الخامس) عن الحنية بأقواس بل بألواح حجرية تحتوي على زخارف متعددة المواضيع مأخوذة من العقيدة المسيحية.

نرى في منطقة سوريا الشمالية بعض الكنائس ذات الحنية المستقيمة وبروز خارجي لغرفتها الجنوبية – الشرقية الموجودة عند جدارها الجنوبي. ويظهر أن الغاية من ذلك كانت توسيع الغرفة وخاصة أنها كانت تستعمل كمكان للتعميد. ونرى هذا التصميم من الكنائس ذات البهو الواحد في دير سمعان وبراد وسرجبلة وسرقانيا (القرن السادس) ونلاحظ أيضا أن لجميع تلك الكنائس أروقة جنوبية عدا كنيسة سرقانيا.

يتطابق ويتكرر شكل بهو كنيسة سرجبلة (القرن السادس) مع تصميم كنيسة بسيطة تقع على مسافة غير بعيدة عنها. ونلاحظ أن حنيتها تنفصل عن البهو بقوس. ويوجد بابان على الجانبين يؤديان نحو البهو وينصهر مفهوم الغرف المساعدة هنا مع الحنية وينتج عن ذلك مساحة كبيرة تبرز إلى الجهة الخارجية قليلاً عن الجبهة الشمالية والجنوبية بشكل خاص. ونجد هنا مدخلا يفتح نحو الرواق. وقد اكد جورج تشالنكو في أبحاثه أن نهاية هذا الرواق تشكل استمرارية الجدار الغربي.

Tchalenko XIII

إلا أن أبحاثنا الميدانية أكدت على استمرارية الرواق على الجبهة الغربية الذي يصل حتى الجدار الشمالي. وتأكدنا كذلك أن الحنية لم تكن منصهرة مع الجدار وهذا دليل أن الجدار تمّ تشييده في وقت لاحق.

لغرفتي كنيسة براد الجنوبية ــ الغربية وحنيتها ترتيب متناظر بالنسبة للبهو الذي يحيط به جدار عام مستقيم من الجهة الغربية دون بروز عن جدرانه كثيرا.

تمتاز كنيسة كفر فنشاح ذات البهو الواحد بتصميمها الخاص لأن جبهاتها الجنوبية والغربية والشمالية والأروقة التي تحيطها دون انقطاع تشكل تصميما مربع الشكل تقريباً. وتبرز هاتان الغرفتان الجانبيتان للحنية من جهة جدران البهو بشكل رئيس ولا علاقة مباشرة لهما مع الحنية بل تتصلان مع الرواقين الشمالي والجنوبي عن طريق مدخلين. ويشبّه بتلر مسقط الكنيسة بمساقط المعابد الرومانية الوثنية.

Butler ..... p. 151

إننا نتفق مع بتلر مبدئيا، إلا أنه ـ حسب المعايير المنطقية ـ من الصعب رؤية ميل مقصود للتقليد هنا وخاصة أن الكنيسة تعود الى القرن السادس أي الى حقبة دخلت هندسة عمارة الكنائس في طريق تشكلها. وللحنية شباكان. أما الغرفتان المساعدتان فلكل منهما شباك واحد على الجبهة الشرقية. وكان سقف البهو الأوسط ـ كما في كنائس سوريا الشمالية ذات الأبهاء الثلاثة ـ أعلى من سقفي البهوين الجانبيين الذي عن طريقه كانت تتم الإنارة بفتح شبابيك في أعلى الكنيسة.

كنائس ذات بهو واحد وحنية نصف دائرية

للكنائس ذات البهو الواحد والحنية نصف الدائرية صفات متشابهة مع الكنائس ذات البهو الواحد والحنية المستقيمة، إلا أنه مع ذلك توجد بعض نواحي التباين بينها.

تعتبر كنيسة جوليانوس (٣٤٥م) إحدى الكنائس ذات البهو الواحد الموجودة في مجمّع أم الجمال الكبير. ومن المحتمل أن يكون هذا المجمع ديرا. وتحتوي هذه الكنيسة على رواقين يتألفان من طابقين. والبهو مقسم إلى عشرة أقسام بأقواس عرضانية. وقوس الحنية أضيق من بقية الأقواس الداخلية. وتذكرنا هذه الكنيسة ببهو قيسرية شكلاً الوثنية.

9 Ibid p.18

وليست الحنية نصف دائرية حسب رأي بتلر. وتعتبر هذه الكنيسة الأضيق والأطول بين جميع كنائس سوريا ذات البهو الواحد. وتتطابق كنيسة ماسيخوس بدورها

ــ الواقعة في أم الجمال أيضاً ــ معها في هذه المواصفات. ويقارن العلماء هذه الكنيسة و « بازيليك » شكا ومعبد توجا بالأوابد الوثنية.

Ibid p.20

ومن حيث التصميم الداخلي تتكرر في هذه الكنائس أعلاه مقاييس كنيسة جوليانوس. وتوجد غرفتان مساعدتان إلى جانبي الحنية اللتان تحتويان على باب باتجاه البهو. وللغرفتين والحنية جدار مستقيم عام على جهتهاِ الشرقية من الخارج. وهناك احتمال أن تكون هذه الكنيسة إحدى الأبنية في مجمع كبير. ودليلنا على ذلك بقايا ركائز جدارية على جدرانها الجنوبية والشمالية التي تظهر في رسوم بتلر. كذلك نرى على الجهة الغربية منها رواقاً. وانطلاقاً من حلولها الإنشائية ومقاييسها الشبيهة بكنيسة جوليانوس يجب التخمين أن الكنيسة تنتمي إلى القرن الرابع.

يتطابق القسم الشرقي من كنيسة Damit al-Alia مع كنيسة ماسيخوس، إلا أن الغرفتين المجاورتين في الكنيسة الأولى أوسع من غرفتي الكنيسة الثانية. وللغرفة الجنوبية مدخل نحو الحنية كذلك مدخل آخر يؤدي إلى الجهة الخارجية للكنيسة. وتشبه الكنيسة بشكل عام كنيسة توجا من حيث مقاييسها وتصميمها. وتتألف هاتان الغرفتان من طابقين مسقوفين بشرائح حجرية بازلتية على مستوى بهو الكنيسة.

هناك كنيسة أيضاً في الأندرين (المنطقة الشمالية ــ الشرقية من سوريا) تحتوي على غرفتين جانبيتين تبرزان نحو الخارج من الجهة الشمالية والجنوبية. وللغرفتين مدخلان نحو صحن الحنية. وليس البهو مقسماً بالأقواس العرضانية. وكانت الكنيسة مسقوفة بالخشب ولهل مدخل واحد على جبهتها الغربية.

هناك كنيسة أخرى في المنطقة الشمالية من سوريا في موقع يسمى ربيعة (القرن الرابع) التي تتطابق بتصميمها مع الكنائس السابقة.

G. Tchalenko .... XIII. No 13

ونلاحظ أن غرفتي الحنية المجاورتين في هذه الكنيسة بارزتان بشكل كامل نحو الخارج عن الجبهة الشمالية والجنوبية. وللغرفتين مدخلان نحو الحنية. وهناك ممر في

الغرفة الجنوبية نحو غرفة أوسع من المحتمل كانت غرفة المعمودية. وتتكرر هذه الظاهرة كثيراً في كنائس سوريا الشمالية المبنية بين القرنين ٥-٦م. وللكنيسة رواق على جبهتها الجنوبية نلج منه إلى الغرفة الجنوبية عن طريق مدخل ونصل من هذه الغرفة إلى بهو الكنيسة عن طريق مدخلين. ولغرفة المعمودية مدخل خاص على جهتها الغربية كما هو الحال في كنائس سوريا الشمالية التي كانت مسقوفة بالخشب. علاوة على ذلك يحتضن جدار عام الحنية والغرفتين الجانبيتين من الجهة الخارجية. وعلى هذا الشكل تمّ بناء كنيسة Sabha ذات البهو الواحد في المنطقة الجنوبية من سوريا التي لها غرفتان على الجهة الشمالية فقط، وبذلك تشكّل مخطط مربع الشكل.

تمتاز كنيسة بعودة (القرن الرابع) ذات البهو الواحد ببساطة تصميمها. وللكنيسة مساحة نارتكسية مربعة الشكل تقريبا على جبهتها الغربية يمكن الدخول منها إلى الكنيسة. ونرى على جبهة الكنيسة الجنوبية بابين قريبين إلى بعضهما بعضا، إلا أنهما لا يبدوان منعزلين عن الجهة الغربية من الجدار العام. ولمدخلي كنيسة ربيعة ذات البهو الواحد (القرن الرابع) توضّع مشابه أيضاً. ومن ميزات حنيتي بعودة وربيعة أنهما بالكاد تشكلان نصف دائرة كاملة . ومن المحتمل أن أوجه التطابق الموجودة بينهما هي من خواص كنائس سوريا الشمالية ذات البهو الواحد التي شيدت في القرن الرابع. ومن الحيوي أن نذكر أن أقدم كنيسة ذات بهو واحد شيدت في القرن الرابع (٣٤٥م) هي كنيسة جوليانوس في مجمّع أم الجمال في المنطقة الجنوبية من سوريا التي تحتوي على حنية بارزة جداً نحو الخارج وتشكل دائرة شبه كاملة.

لم تكن الكنائس ذات البهو الواحد والحنيات ـــ التي جاء ذكرها في الأعلى ـــ قليلة العدد. ويمكن التأكيد أن كنيسة دير الكهف ذات البهو الواحد تشكل استثناء عن هذه القاعدة،لأن الحنية بيضوية الشكل وهي مغطاة بجدار مضلّع ثلاثي على الجهة الشرقية. ونرى غرفتين إلى جانب الجبهة الغربية يتصلان ببعضهما بعضا بمدخل. وللغرفة الجنوبية مدخل خارجي. أما الغرفة الشمالية فهي على اتصال مع البهو الذي ينقسم إلى أربعة أقسام بواسطة أربعة أقواس عرضانية. وانطلاقا من الطراز الإنشائي يؤكد بتلر أنها كانت معبداً وثنياً تحول إلى كنيسة بين عامي ٣٦٧ – ٣٧٥م.

Butler p.20

لحنية كنيسة Lubben (اسم الكنيسة القديم كان Agraina) البارزة ذات البهو الواحد شكل حدوة فرس من الداخل والخارج. وتوجد على الجهة الغربية من هذه الكنيسة غرفتان جانبيتان ضيقتان شيدتا بشكل متناظر مع البهو وتشكلت في الوسط نتيجة ذلك مساحة نارتكسية أوسع. وهناك مدخلان على الجهة الشرقية من الجبهة الجنوبية وفي وسط الجبهة الغربية لكل من الكنيستين.

لا توجد على الجبهة الغربية لكنيسة أم الجمال الجنوبية – الشرقية أية غرف إضافية إلا أنه توجد مساحة نارتكسية تشكلت من ثلاثة أعمدة وقوس عرضاني في الوسط الذي يقسم البهو إلى قسمين . ومن المحتمل أن سقف الكنيسة كان خشبياً.

Ibid p.43

للمعمودية غرفة جانبية على جبهتها الشمالية – الشرقية وقرب البهو . وفي كنيسة Lubben ذات البهو الواحد غرفة جانبية على الجهة الشمالية – الغربية وغرفة أخرى أكبر مساحة على الجبهة الجنوبية – الغربية. وتقع هاتان الكنيستان في سوريا الجنوبية. ولحنيتهما البارزتين نحو الجهة الخارجية شكل حدوة فرس. وقد شيدت كنيسة Lubben ذات البهو الواحد في وقت متأخر بالنسبة الأولى.

انتشرت ظاهرة الغرفتين المجاورتين البارزتين نحو الخارج وعلى الجهة الغربية من الجبهة الجنوبية والشمالية ــ التي تعود إلى القرنين ٥-٦م ــ في المناطق الغربية لآسيا الصغرى والدول البلقانية. وكانت هاتان الغرفتان تستخدمان كمعمودية أو لخدمة القداس.

من الظواهر المعمارية النادرة في شمال سوريا كنيسة كفير (القرن الخامس) ذات البهو الواحد والحنية البارزة جداً نحو الخارج حيث يرتبط بهوها من جهته الجنوبية - الغربية مع مزار يرتبط بدوره مع الرواق الجنوبي

G. Tchalenko .... XIII, No 7

وتوجد أربعة أعمدة متفرقة على الجهة الخارجية من الحنية. وقد التقينا بمثل هذه الظاهرة في دير سمعان (القرن الخامس) وقلب لوزة (القرن الخامس) ذات الأبهاء الثلاثة. ويجب اعتبار هذه الظاهرة نمطاً بيزنطياً أو رومانيا لا سوريا.

تنتمي الكنيسة الكائنة في نورية (القرن الرابع) إلى هذه الحقبة التاريخية أيضاً. وهي أقدم الكنائس التي تمتاز بحنيتها نصف الدائرية البارزة نحو الجهة الخارجية.

Ibid ..... XIII, No 6

ولهذه الكنيسة مدخلان ورواق محاطة بجدران بارزة نحوالجهة الخارجية من الشرق و الغرب.

هناك أيضاً كنائس بتصاميم بسيطة متشابهة وحنيات نصف دائرية كخرّاب شمس (القرن السادس) ودير الجوّاني وغيرهما التي ليس لها غرف جانبية أو أروقة أو أقسام مساعدة أخرى.

أ- الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة والحنية المستقيمة

تنتشر هذه الكنائس في المنطقة الشمالية من سوريا بين أفاميا وأنطاكيا وحلب، بينما كثافتها أقل في المناطق الجنوبية والشمالية – الشرقية. ونلاحظ أن حنية الكنائس في المنطقة الشمالية والغرفتين المساعدتين إلى جانبيها محاطة بجدار عام واحد. ولم نصادف في هذه المنطقة كنائس ذات أبهاء ثلاثة وحنية مستقيمة شديدة البروز نحو الجهة الخارجية.

لبعض كنائس سوريا الشمالية البازيليكية ذات الحنية المستقيمة نارتكس على الجهة الغربية مثل كنيسة باتر (٤٦٣م) وباقرحا الشرقية (٥٤٦م) وداحس الغربية (القرن السادس) والقديس سرجيوس في دير قيتا (٥٣٧م). لكنيسة دير قيتا معمودية ذات حنية بارزة جداً نحو الجهة الخارجية إلى جانب الغرفة الجنوبية الشرقية المساعدة ولها مدخل من جهة الرواق الجنوبي. ولجميع نارتكسات هذه الكنائس مخرج نحو الغرب عن طريق الرواق – بينما هي مغلقة بجدران على جهتها الشمالية والجنوبية.

لكنيسة بحيو أيضاً رواق على جانبيها الذي ينتهي بغرفة مبنية على الجهة الجنوبية-الشرقية منه (من المحتمل أنها معمودية). وهذه صفة تمتاز بها كنائس القرن السادس. وليس لهذه الغرفة مدخل على الجهة الخارجية لذلك فإن صلتها بالكنيسة مباشرة.

هناك بعض الكنائس المستطيلة التي ليس لها تفاصيل أخرى (نارتكس ورواق) سوى الغرفتين المساعدتين إلى جانبي الحنية. مثالنا على ذلك كنيسة خربة الحصر (٥٠٧م) وتيزين (٥٨٥م) وكسيجبّة الغربية (القرن السادس) ودير قيتا (القرن السادس) وباشمشلي (القرن السادس).

لكنيستي كراتين الجنوبية وفرجة الواقعتين في المنطقة الشمالية – الشرقية من سوريا نمط تطور شيق في تصميمهما ومقاييس جبهتيهما الشرقيتين. ونلاحظ أن حنيتي هاتين الكنيستين المستقيمتين يتطابق عرضاهما مع البهوين الأوسطين كما هو الحال في

جميع الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة والحنية المستقيمة. ففي كنيسة كراتين مثلاً نلاحظ كأن حنية جديدة شيدت على جبهتها الشرقية وهي أضيق من الأصلية وتنفصل عنها بقوس عرضاني. وتؤكد الغرفتان المساعدتان - اللتان تبرزان على طول الجدار الشمالي ولا تملكان أبواباً - على انتماء هذه الكنيسة إلى القرن السادس. وينقسم بهو الكنيسة إلى ثلاثة أقسام عن طريق زوجين من الركائز. وتنتمي الكنيسة الكبيرة ذات الأبهاء الثلاثة إلى النصف الثاني من القرن السادس، أما الكنيسة الصغيرة ذات البهو الواحد الكائنة إلى مقربة منها فيجب اعتبارها من أوابد الحقبة الأبكر.

لكنيستي باموقا (٦٠٠م) وباشمشلي (القرن السادس) تصميم ومقاييس مشابهة،لأن الأبهاء الثلاثة في كلتي الكنيستين تشكلت عن طريق الركائز. والاختلاف الرئيس في التصميم هو وجود الرواق أمام الجبهة الجنوبية لكنيسة باموقا. وتبرز معمودية مربعة الشكل على زاويتها الجنوبية - الشرقية التي يدخل إليها من الجهة الغربية.

تعدّ كنيسة Al - ouberi ذات الحنية المستقيمة الكائنة في سوريا الجنوبية من الأمثلة الشيقة لأن الحنية بنيت على الاتجاه العرضاني للأبدة، أما البهو فإنه مقسّم إلى ثلاثة أقسام بمساعدة قوسين يستندان على الجدار الغربي والتيجان الجدارية للحنية. وانصهرت الغرفتان المساعدتان بشكل شبه كامل مع مساحة البهوين الجانبين.

تعود معظم هذه الكنائس ذات الحنية المستقيمة المذكورة أعلاه إلى القرن السادس. وتعدّ باتر (٤٦٣م) أقدم كنيسة وباموقا آخر كنيسة شيدت في عام (٦٠٠م). وكانت جميع هذه الكنائس مسقوفة بالخشب عدا سقف الحنية الذي بني بالألواح الحجرية المستوية في بعض الأحيان كما في كنيسة باقرحا الشرقية.

ب - الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة والحنية نصف الدائرية

يمكن تصنيف هذه الكنائس إلى أربع مجموعات حسب ميزات مساقطها وهي:

A- كنائس تحتوي على غرفتين إلى جانبي الحنية. وهذه المجموعة من الكنائس هي الأكثر عدداً وانتشاراً بين الكنائس السورية التي شيدت بين القرنين الرابع والسابع ميلادي.

وتنقسم هذه المجموعة الرئيسة بدورهـــا إلى أربع مجموعات ثانوية وهي:

١- الحنية والغرفتان المجاورتان محاطة بجدار عام واحد. وهذه المجموعة هي السائدة
٢- بروز الحنية والغرفتين المجاورتين نحو الجهة الشرقية.
٣- بروز الحنية بشدة نحو الجهة الشرقية
٤- بروز الغرف المساعدة على زوايا الكنيسة الأربع. وتعتبر كنيسة دير الصليب المثال الوحيد لهذه المجموعة.

B- كنائس بازيليكية ذات حنية بارزة جدا لا تحتوي على غرفتين جانبيتين ونجدها متوضعة بشكل أساس في سوريا الجنوبية.

C- كنائس ذات نارتكس على جبهتها الغربية. ويشاهد في بعض الأحيان غرفة واحدة إلى جانبي النارتكس الشمالي والجنوبي.

D- كنائس ذات أبهاء ثلاثة تحتوي على أروقة.

تنقسم جميع مجموعات هذه الكنائس إلى قسمين من حيث مساقطها وفنّها المعماري:

أ- كنائس ذات أبهاء ثلاثة عن طريق صفين من الأعمدة الاسطوانية (الدائرية المقطع)

ب- كنائس ذات أبهاء ثلاثة بمساعدة صفين من الركائز.

لهاتين المجموعتين من الكنائس بعض أوجه الشبه في أشكالهما ومقاييسهما المعمارية. وتحمل الأعمدة الدائرية أقواساً قصيرة باتجاه طولاني، بينما تحمل الركائز أقواساً أطول نسبياً. ويُحمل صف الأقواس بمساعدة الجدارين الطولانيين الذين يرتفعان عن البهوين الجانبيين فيُبرزان البهو الأوسط (أي لها مقطع بازيليكي). ولإنارة الكنيسة كانوا يفتحون بعض الشبابيك في القسم العلوي لهذين الجدارين (عدد متساوٍ من الشبابيك على الجبهة الشمالية والجنوبية). وكان سقف البهو الأوسط والبهوين الجانبيين من الخشب بشكل عام، وهي ظاهرة تمتاز بها كنائس سوريا الشمالية والشمالية – الشرقية.

نجد في سوريا الجنوبية أوابد ذات حلول هندسية مختلفة من حيث مساقطها ومقاييسها وطرقها الإنشائية ولا نرى هنا كنائس بازيليكية ذات أبهاء ثلاثة بأعمدة دائرية الشكل لأن الركائز هي العنصر الإنشائي السائد داخل هذه الأوابد. وعلى

النقيض من ركائز الكنائس في سوريا الشمالية، فإنها تقترب إلى الشكل المربع دائما بينما ركائز سوريا الشمالية ممطوطة عرضانياً حيث نصادف أيضا كنائس ذات أبهاء ثلاثة بركائز مصلّبة الشكل.

تحتوي كنائس سوريا الجنوبية على أقواس شيدت بشكل طولاني وعرضاني. وحسب تصميمها العام – وإلى جانب التصاميم الطولانية – نجد أيضا كنائس بمساقط عرضانية قريبة إلى شكل المربع.

هناك بعض الاستثناءات البسيطة أيضاً بين مجموعات الكنائس الثانوية. ونرى مثلاً ميزات مجموعتين أو ثلاث مجموعات من الكنائس منعكسة في عدد من الكنائس.

تنتمي إلى مجموعة (A-1) تلك الكنائس المستطيلة ذات الأبهاء الثلاثة التي يحيط حنيتها وغرفتيها المجاورتين جدار عام ولا تحتوي على رواق أو نارتكس أو غرف على جبهتها الغربية. ومن هذه المجموعة نذكر كنيسة دير سيتا (القرن الخامس) ودير بترسة (أواخر القرن الخامس) والكنيسة الغربية لدير سمعان (القرن الخامس) وكالوتا الشرقية (٤٩٢م) وخربة الخطيب (القرن الخامس) وبردقلي الجنوبية(القرن السادس) ودانا الشمالية (القرن الخامس – ٤٨٣م) وسرجبلة (القرن الخامس) وكنائس بازيليكية ذات أبهاء ثلاثة اخرى تقع في المنطقة الشمالية من سوريا.

وهذه الكنائس مقسمة إلى أبهاء ثلاثة بصفين من الأعمدة الدائرية الشكل وينتمي معظمها إلى القرن الخامس. ويمكن اعتبار الغرفة الثانية البارزة نحو الجهة الخارجية على الطرف الشرقي من الغرفة الجانبية الشمالية – الشرقية لكنيسة دير سمعان استثناءَ التي من المحتمل أضيفت إلى الآبدة في القرن السادس. أما الغرفة الشمالية – الشرقية لكنيسة كالوتا فإنها ممطوطة نحو الشمال. ولجميع هذه الكنائس – دون استثناء – مدخلان، الأول منهما على الجهة الجنوبية والثاني على الجهة الغربية. ولبعض الكنائس بابان على جبهتها الشمالية وباب واحد فقط في كنائس أخرى.

استخدمت الركائز المصلبة والأعمدة الدائرية في الكنيسة التي شيدت في القرن السادس المرقمة من قبل بتلر (No-1). وهناك احتمال كبير أن سقفها كان خشبياً.

تعتبر كنيسة Nimreh ذات ركائز وأقواس عرضانية كما في بازيليك تفقا ذات الأبهاء الثلاثة. وهذا النظام العمراني صفة مميزة للكنائس التي بنيت في فترات مبكرة.

وحسب مخطط بتلر كان البهوان الجانبيان مؤلفين من طابقين وكان السقف مبنياً بالألواح الحجرية المستوية. وتعتبر هذه الكنيسة من أوابد القرن الرابع.

Butler p.24

لا وجود للنارتكس والغرف المساعدة كذلك للأروقة على الجهة الغربية في عدد كبير من الكنائس ذات الركائز أيضاً. ونذكر منها كنيسة براد الشمالية (٥٦١م) وفدرة (القرن الخامس) والأندرين الجنوبية (٥٢٨م) وغيرها من الكنائس.

تدخل في مجموعة (A-2)كنائس سوريا الشمالية ككنيسة فافرتين (٣٧٢م) وبابسقا (٤٠١م) والقديس بولس في باصوفان (٤٩١م) وقوقنايا الشرقية وبانقوسا الجنوبية (القرن السادس) وترمانين (القرن السادس). وتقع حنيتا كنيستي فافرتين وباصوفان ضمن الجدار الشرقي العام. أما الكنائس الأخرى فإنها تلامس هذا الجدار فقط.

وتحتوي جميع هذه الكنائس على صفوف من الأعمدة الدائرية وهي مسقوفة بالخشب. ولكنيسة بانقوسا- عدا الغرفتين المساعدتين إلى جانبي الحنية- نارتكس على جبهتها الغربية مغلق من الجهة الشمالية والجنوبية. وتعتبر كنيسة فافرتين- استناداً إلى بتلر- أقدم كنيسة في منطقة سوريا الشمالية ويعود تاريخ بنائها إلى عام ٣٧٢م.

Ibid ......p. 25

والكنيسة في حال خراب تام عدا حنيتها. وكانت في حال أفضل في عام ١٩٠٠ لأن بتلر كان قد رأى كتابة على ساكف المدخل الشرقي للجبهة الجنوبية من الكنيسة وعليها تاريخ بنائها.

Ibid P.34

واستناداً إليه أيضا كان هناك لا اقل عن سبع كنائس تحمل تاريخ ٣٧٢م.

Ibid p.25

هناك ثلاث كنائس بمساقط مشابهة للكنائس السابقة في منطقة سوريا الشمالية - الشرقية وهي ذات أبهاء ثلاثة تقع في منطقة الجاز (٣٨٣-٣٩٥م) و(٤٢٩-٤٣٠م) وكنيسة القديس ستيفان في كراتين (٥٠٥ م) والأندرين (٥٦٠م). ونرى في مخطط بتلر حول كنيسة الجاز البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة حنية نصف دائرية غير كاملة وعلى جهتها الغربية هناك ثلاثة أقواس داخلية وركائز مربعة الشكل تحمل أقواساً طولانية.

Ibid p.40

تُعدّ كراتين أكبر كنائس سوريا. واستناداً إلى أبحاث بتلـــر الميدانية يصل طولها إلى ٦٠ متراً وعرضها إلى ٢٦ متراً وتضاهي في مساحتها مقاييس كنيسة الحصن الموجودة في البارة في منطقة سوريا الشمالية. وللحنية الواقعة بين الغرفتين المساعدتين الجانبيتين على الجهة الشرقية من الكنيسة بروز كبير نحو الجهة الخارجية. وتتقسم هاتان الغرفتان إلى قسمين بمساعدة الأقواس العرضانية. وللكنيسة نارتكس على الجهة الغربية وغرفتين إلى جانبيه. وللنارتكس عامودان دائريان يحملان ثلاثة أقواس مع الركائز الجدارية. وللغرفتين مدخلان مقوسان. أما ركائز البهو فإنها مستطيلة الشكل وأصغر نسبياً. لذلك يمكن التخمين أن سقف الكنيسة كان خشبياً. ولم يبق من الكنيسة سوى القليل، لأنها مطمورة تحت الأكوام الترابية كما هو الحال أيضاً مع جميع أوابد المنطقة. وقد شيدت هذه الكنيسة في عام ٥٠٥م حسب كتابة عثر عليها في الموقع.

Ibid p. 158

كانت الأندرين من أكبر المراكز المسيحية في المنطقة الشمالية-الشرقية من سوريا بسبب وجود حوالي عشر كنائس كبيرة وصغيرة في مساحة لا تتعدى الكيلومتر ونصف. إلا أن جميعها في حال خراب كامل الآن ومطمورة تحت رمال الصحراء.

ويظهر أن المعطيات الأثرية كانت أكثر عند زيارة بتلـــر لها قبل مائة عام،لأنه تمكن في ذلك الوقت من قياس أكبر الكنائس في المنطقة التي كانت مقاطع ركائزها الداخلية كبيرة وممطوطة بشكل طولاني - حسب مخططه الشيق. والغرفتان المساعدتان إلى جانبي الحنية نصف الدائرية غُطيتا بقبتين من الآجـــر المشوي على شكل أنصاف القبب. ويقع النارتكس في وسط الجبهة الجنوبية للكنيسة وتوجد غرفتـــان إلى جانبيه. وللنارتكس مدخل مركزي مرتبط بالبهو الرئيسي بواسطة قوس عرضاني قصير نسبياً مقارنة مع عرض البهو الرئيس وهو على اتصال أيضاً بالغرفتين الجانبيتين اللتين بدورهما مرتبطتين بالأقواس مع البهويـــن الجانبيين. ويعود تاريخ هذه الكنيسة إلى عام (٥٦٠م).

تمتاز مجموعة (A-3) أن حنيتها والغرفتين الجانبيتين مغطاة بجدار عام أدى إلى تشكّل فراغات مثلثية الشكل تخدم كمخبأ على الأرجح. ويظهر ذلك مثلاً في كنيسة بولس وموسى (٤١٨م) الكائنة في دير قيتا، حيث نلاحظ وجود ممرين من الغرفتين الجانبيتين نحو هذه الفراغات. وساهمت هذه الفراغات إلى جانب ذلك في تخفيف الحمل على العقد الإنشائية. وإلى هذه المجموعة تنتمي أيضاً كنيسة بانقوسا الشمالية (القرن الرابع) ورويحا الجنوبية (القرن الرابع) والحصن الجنوبية (القرن السادس). ويذكّرنا مسقط هذه الكنيسة الأخيرة بالبازيليكات الرومانية بفارق وحيد وهو وجود الترانسبت Transept أمام الحنية بدلاً من الغرفتين الجانبيتين الذي يبرز إلى الخارج من الجهتين الشمالية والجنوبية. ومثالنا على ذلك كنيسة الحصن الجنوبية.

هناك بعض الكنائس البازيليكية ذات الحنية نصف الدائرية البارزة جداً نحو الجهة الخارجية في منطقة سوريا الشمالية نذكر منها كنيسة القديس سمعان (القرن الخامس) وقلب لوزة (القرن الخامس) ودير الصليب (القرن ٥-٦م).

يتشكل مجمّع كنيسة سمعان من أربع كنائس بازيليكية ذات أبهاء ثلاثة مبنية حول مساحة مثمنة الشكل. والبازيليك الشرقية منها هي الكنيسة الرئيسة ونجدها منحرفة قليلاً عن محور شرق ــ غرب نحو محور شمال ــ شرق نظراً للبازيليكات الأخرى. وقد درس هذه الكنيسة وهذا المجمع علماء مرموقون من أمثال فوكيه وبتلر وقام تشالنكو

لعقود عديدة ـ ابتداءً من ثلاثينيات القرن العشرين ـ بإجراء دراسة متأنية حولها وتحضير مقاييسها الدقيقة واقترح بعض المساقط بالنسبة لها.

(Villages Antiques de la Syrie du Nord) II Paris – 1953 G.Tchalenko

ولهذه الكنائس البازيليكية الأربعة صفوف من الأعمدة الدائرية وكانت مسقوفة بالخشب. وينصبّ الاهتمام الأكبر على تصميم الكنيسة الشرقية لأن البهوين الجانبيين والحنية الرئيسة تبرز بشكل كبير جداً على الجهة الشرقية ما يقارب حجم نصف دائرة. لذلك يمكن اعتبار هذه الكنيسة ذات حنيات ثلاث. وقد أنشئت الغرفتان الجانبيتان هنا أمام الحنيتين الجانبيتين اللتين تبرزان بشكل ملحوظ نحو الواجهتين الشمالية والجنوبية. وإذا قارنا كنيسة الحص الجنوبية ـ بسبب شكل مسقطها ووجود مساحة ترانسبتية ـ بالأبنية البازيليكية الرومانية، فإننا نلاحظ أن هذه الصفات والميزات ظاهرة بشكل بيّن على كنيسة القديس سمعان. وليس من الصعب التأكد ميدانياً أن مجمّع سمعان شيد انطلاقاً من المبادئ والعناصر الفنّية المعمارية الشرقية والمحلية والغربية المختلفة. ونرى مثلاً وجود بعض التفاصيل التي هي من ميزات القرن الرابـــع وعناصر أخرى تمّ تطبيقها بكثرة في كنائس المناطق المجاورة التي شيدت بين القرنين الخامس والسادس ميلادي.

يظهر أن تصميم القسم الشرقي لكنيسة القديس سمعان بثلاث حنيات كان ظاهرة معروفة في سوريا، إلا أنها نفّذت في عدد قليل جداً من الكنائس. فعلى سبيل المثال إن حنيات كنيسة أندرين الكبيرة ـ دلاً من انفتاحها المباشر على البهوين الجانبيين ـ تبرز إلى الجهة الخارجية عن الغرفتين الجانبيتين. وتتكرر هذه الحقيقة في مزار سيرجيوس الكائن في الرصافة (القرن السادس) وكنيسة بعلبك (٥٥٤م). وعلى الرغم أن الحنيات الثلاث في هاتين الكنيستين لم تبرز كثيراً نحو الجهة الخارجية،إلا أنها تنفتح نحو البهو الأوسط والبهوين الجانبيين.

لجدار حنية كنيسة سمعان الخارجي تصميم فريد في هندسة عمارة الكنائس السورية. ونجد على الجدار ستة أعمدة على كل طابق محملة على قواعد جدارية بارزة عن الحنية تحمل تيجاناً كورنثية. ونجد شبابيك كبيرة تنتهي بنصف دائرة بين أعمدة

الطابق الأول. ونجد التصميم ذاته لكن باختلافات بسيطة في المقاييس على الجهة الخارجية لحنية كنيسة قلب لوزة البارزة التي بنيت بعد فترة قصيرة من كنيسة سمعان. وهذا الحل في تصميم الحنية ليس من ميزات هندسة العمارة السورية الأصلية، بل هو حصيلة التأثير الغربي (الروماني).

تُعدّ كنيسة سمعان – مقارنة مع باقي الكنائس السورية الشمالية وكنيسة قلب لوزة – من الكنائس المحفوظة بشكل جيد. وقد زرت هذا المكان لأول مرة في عام ١٩٧٢ واشتركت في عام ١٩٧٣ كعضو في بعثة جورج تشالنكو الأثرية حيث قمنا بدراسة الآبدة طوال شهر كامل.

G. Tchalenko … II, Table XVII – XI

للكنيسة بهو مستطيل ممطوط الشكل. وقد شيّدت غرفة على كل زاوية من زواياها الأربع. والبهو مقسم إلى ثلاثة أبهاء بواسطة زوجين من الركائز الطولانية الثخينة التي تحمل الأقواس التي توصل الركائز بعضها بعضاً. وتوجد مساحة بين الغرفة الجنوبية – الشرقية والشمالية – الشرقية لذلك تشكلت أمام الحنية مساحة كبيرة تساعد رجال الدين للقيام بواجباتهم الدينية. ولا نرى حلاً مماثلاً في بقية الكنائس السورية سوى في كنيسة الأندرين الجنوبية. ويبدو أن ذلك ناتج عن تأثير هندسة العمارة البيزنطية.

تنصهر في كنيسة قلب لوزة وتتوحّد تصاميم وتفاصيل هندسة الكنائس السورية الشمالية التي تعود إلى الحقبة بين القرنين ٤–٥م. ويمكن اعتبار هذه الكنيسة وكنيسة القديس سمعان من أهم كنائس مدرسة العمارة السورية.

وضع فن عمارة الجبهة الغربية لكنيسة قلب لوزة طابعه الخاص على سلسلة من الكنائس السورية ذات الأبهاء الثلاثة كترمانين والحصن ودير الصليب وغيرها. وهناك مدخل مقنْطَر في وسط الجبهة الجنوبية أنشئت على جانبيه غرفتان مساعدتان على شكل برجين. وبسبب وجود زوج من الشبابيك على جبهتهما الغربية يخال للمرء أنهما ذات ثلاثة طوابق. وتوجد بين كل زوج من الشبابيك أعمدة كورنثية صغيرة وبسيطة جداً. وللشباكين على الطابق الأول حزام تزييني مقوّس كشبابيك الطابق الثاني. وهذه

من الظواهر النادرة في الكنائس السورية. ولا توجد اليوم في القسم الداخلي لهذين البرجين سقوف بين الطوابق بسبب استخدام درجات خشبية على ما يبدو. ويتساوى مستوى أرضية الطابق الثالث مع سقف البهوين الجانبيين. ويبرز هذا السقف نحو الجهة الخارجية قليلاً على طول الحزام الذي يلّف كامل محيط الكنيسة مضفياً عليها جمالاً فنّياً أخّاذاً.

كانــت توجــد علــى الطــابــق الثالــث والنارتكس مصطبــة لها مدخــل نحو البرجيــن. وقــد فتحت ثلاثــة شبابيك نصف دائرية من هذه المصطبة (لازال بعض بقايــاهــا مــاثلاً أمام الأعين) نحو البهــو الأوسط للكنيسة. ونرى على القسم العلوي للبهــو الأوسط وعلى الفرونتون - المشكّل بسقف خشبي جملوني – شبابيــك مشابهة إلا أنها أصغر مساحة.

مدخل الكنيسة الغربي- كما في رويحة - متوّج بفتحة نصف دائرية Lünette. وللمدخل وهذه الفتحة أحزمة زخرفية التي هي الأغنى والأجمل على المدخل المركزي للجبهة الجنوبية. وكان للكنيسة بابان على جبهتها الشمالية وثلاثة أبواب على جبهتها الجنوبية. وقد شيدت جميع هذه المداخل كأبواب احتفالية. ويتصل الباب الشرقي الكائن على الجبهة الجنوبية بشكل مباشر مع الغرفة الجنوبية ــ الشرقية. وتتكرر هذه الظاهرة كثيراً على الكنائس السورية ذات الركائز التي بنيت بين القرنين ٥-٦م. وليس من الصعب الملاحظة أن هذه المداخل الرئيسة كانت مغطاة بمظلات خشبية بسبب وجود فتحات على القسم العلوي منها.

كان بمقدور الجبهة الغربية أن تبقى سالمة – (تضرّرت أكثر من بقية الجدران) – إنْ كان البرجان على علاقة إنشائية مباشرة مع الجدار الغربي للكنيسة. وبسبب غياب هذه العلاقة إنهدمت معظم أقسام الجبهة الغربية مع القوس – التي لا صلة إنشائية لها مع الجدار – لعدم تحمّلها لتأثيرات القوى الأفقية. وعلى النقيض من ذلك فإن البهو الجنوبي – الذي يعدّ استثناء بين كنائس سوريا الشمالية ذات الأبهاء الثلاثة والمغطّى بألواح حجرية مستوية – بقي قائماً بشكل كامل تقريباً، بينما إنهدم البهو الشمالي الذي كان سقفه خشبياً.

يمكننا الاستنتاج من كل ذلك أن جميع الأوابد التي أنشئت بجدار واحد دون استعمال أية مادة ملاطية، كان من الحيوي جداً إيجاد تناغم وظيفي بين جميع الجدران لمقاومة القوى الأفقية المدمّرة. ولقوى السقف الحجري العامودية تأثير كبير على متانة البناء، بينما هذه القوى ضعيفة جداً في السقوف الخشبية. لذلك فإن الكنائس الأخرى – التي تمتاز بتصميم مماثل – لم تحول دون انهدام سقوفها الخشبية ولا جداريها الشمالي والجنوبي الطولانيين.

توجد في سوريا الشمالية – الشرقية، حسب مخطط بيتر غروسمان، كنيسة ذات حنية ثلاثية المسقط بارزة جداً نحو الجهة الخارجية. ولهذه الكنيسة (كنيسة أندرين رقم ٥) – التي تعود بقدمها إلى القرن السادس – غرفتان إضافيتان على الجهة الغربية من جبهتها الشمالية تشكلان بيت الدرج من المحتمل للصعود إلى المصطبة الموجودة على الطابق الثاني من النارتكس. ونرى ذلك في قلب لوزة أيضاً، لذلك فإن هذا الوصل بين الغرفتين المجاورتين وشكل صياغة المسقط – كما رأينا سابقاً – هو من خصائص الكنائس البيزنطية التي تعود إلى الحقبة الممتدة بين القرنين ٥-٦م.

يقع مجمّع دير الصليب في الجهة الغربية من منطقة سوريا الوسطى. ونجد على الجهة الغربية لهذا المجمع كنيسة فريدة في شكلها (٦٠٤ – ٦٠٥م) وهي ذات أبهاء ثلاثة عن طريق ركائز ولها حنية بارزة جداً نحو الجهة الخارجية على شكل مضلّع خماسي ولا تحتوي على غرف جانبية أو نارتكس أو رواق، بل الأبدة – على العكس – مستطيلة الشكل.

ويذكّرنا ترتيب مداخلها بترتيب مداخل كنيسة تقع إلى الجهة الغربية منها. وتعتبر كنيسة دير الصليب ظاهرة فريدة في هندسة الكنائس القروسطية المبكرة بسبب تصميم مسقطها وأبعادها وعناصرها الأخرى.

I. Mattern (Villes Mortes de Haute Syrie) Beyrouth – 1944 p. 151 – 156

ومسقط كنيسة الصليب مربع الشكل شيد على Modül معين حيث الوحدة المستخدمة فيها تعادل مقطع الأعمدة الدائرية أي ٧٥سم. وتتطابق الكنيسة بتصميمها ومسطّحها مع كنيسة طفقة ذات الركائز التي تقع في المنطقة الجنوبية من سوريا.

ظهرت في الكنيسة الرئيسة لدير الصليب – بسبب تأصّل ورسوخ الطقوس الدينية المسيحية – بعض الأقسام الجديدة على المسقط التي تضفي على الآبدة شكلاً غنياً وجميلاً. ولحنيتها نصف الدائرية والبارزة بشكل كامل نحو الجهة الخارجية للجبهة الشرقية ثلاثة شبابيك يمكن اعتبارها الأوسع بين جميع الكنائس التي شيدت في تلك الحقبة في سوريا. وهناك أربعة شبابيك مشابهة على كل من الجبهتين الجانبيتين. ويسيطر النارتكس على الجبهة الغربية وعلى قاعة الكنيسة عرضانياً. وهذه الكنيسة ذات أبهاء ثلاثة. ونجد إلى الجهة الشمالية من النارتكس غرفة المعمودية المربعة وعلى الجهة الشمالية أيضاً غرفة مشابهة استخدمت على الأرجح كبيت درج للصعود إلى الطابق الثاني.

توجد أيضاً غرفتان مساعدتان على الجهة الشرقية من الكنيسة. وعلى النقيض من الكنائس الأخرى ليست هاتان الغرفتان على تماس مباشر مع الحنية. وهذه الحنية تنفصل عن هاتين الغرفتين بالبهوين الجانبيين الذين يحتويان على باب على الجهة الشرقية. وهذه أيضاً ظاهرة فريدة في هندسة كنائس سوريا في الحقبة القروسطية المبكرة. وأمام الحنية وعلى المحور المركزي توجد شاهدة تحتوي على أربع فتحات مربعة الشكل لتركيب المظلة الخشبية الجملونية الشكل. وقد شيدت الجدران المزدوجة للكنيسة دون ملاط وبأحجار صغيرة نسبياً. وانطلاقاً من هذا المبدأ الهندسي أيضاً شيدت الكنيسة البازيليكية الشرقية ذات الركائز التي تعود إلى القرن السابع. وبعد مقارنة مساقط وأشكال الكنائس السورية القروسطية المبكرة، يمكن الاستنتاج أن الكنيسة الرئيسة لدير الصليب بنيت في أواخر القرن السادس أو في أوائل القرن السابع.

عدد الكنائس البازيليكية في المجموعة (B) أقل من تلك الكائنة في منطقة سوريا الجنوبية، إلا أن للكنائس البازيليكية هنا حلولاً معمارية وتصميمية أكثر تنوعاً. وتعد كنيسة تفقا البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة فريدة انطلاقاً من هذا المعنى. وللكنيسة مسقط مربع الشكل ينقسم إلى أبهاء ثلاثة عن طريق صفين من الركائز. والبهو الأوسط أوسع بكثير عن البهوين الجانبيين. وهنا أيضاً تمّ تشييد الأقواس عرضانياً كما في الكنائس السورية ذات البهو الواحد المبكرة جداً. ويعتقد بتلر أن هذه الكنيسة هي أقدم بازيليك

بين "السلالة المسيحية". ومخطط الكنيسة بيضوي الشكل وهو من الظواهر الاستثنائية في سوريا. وهناك غرفة إلى الجانب الشمالي – الغربي من الكنيسة تنقسم إلى قسمين بواسطة قوس عرضاني وهي على اتصال مع البهو الشمالي عن طريق مدخل.

لكنيسة أم الجمال الجنوبية – الغربية (القرن السادس) ثلاثة أبهاء متساوية الأعراض. وتبرز حنيتها نصف الدائرية بشدة نحو الشرق. ومن النواحي المميزة لهذه الأبدة – كما في كنيستي دير الصليب الرئيسة والغربية – أن لكل بهو جانبي مدخلاً نحو الجهة الشرقية.

تنفرد كنيستا دير الجوّاني والعيون في هندسة عمارتهما المسيحية القروسطية المبكرة بين كنائس سوريا وبعض الدول المجاورة. ومن الصعوبة بمكان الجزم إنْ كانت هاتان الكنيستان البازيليكيتان ذات بهو واحد أو أبهاء عديدة. ففي كلتي الحالتين تبرز الحنيتان عن الجهة الشرقية لذلك تهددان مفهوم القاعة ذات البهو.

لكنيسة دير الجواني مثلاً (القرن السادس) مصلّى يُقسم إلى خمسة أبهاء بواسطة أربعة أقواس عرضانية. والبهو المركزي هو الأعرض وينتهي بحنية في الجهة الشرقية على شكل حدوة فرس بارزة نحو الجهة الخارجية. وأضيفت إلى الجهة الجنوبية – الغربية من الكنيسة قاعة وهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام لمساعدة قوسين عرضانيين تستخدم كنارتكس.

ينقسم بهو كنيسة العيون بشكل مماثل إلى أربعة أقسام وتبرز الحنية نصف الدائرية إلى الجهة الخارجية من البهو الأوسع. و إلى جانبيها غرفتان للخدمة (هذا استثناء في هذه المجموعة من الكنائس). وكانت هاتان الكنيستان مسقوفتين بألواح حجرية.

لكنيستي أم الجمال أيضاً حنيتان بارزتان نحو الجهة الخارجية كما في الكنيسة الشمالية الكائنة في هذه المنطقة. والأولى منهما ذات أبهاء ثلاثة وإلى الجهة الجنوبية منها كنيستان ذات بهو واحد. والبهو الأوسط في الكنيسة ذات الأبهاء الثلاثة أوسع من البهوين الجانبيين. كذلك هو الحال مع الكنيسة الشمالية. ويقدم بتلر مخططاً لسقوفها الخشبية.

Butler ….. p. 204/5

وهناك كنيسة أخرى بركائز وحنية على شكل حدوة فرس في دير أم الكودين (القرن الخامس) أيضاً التي تحتوي على غرفة في الجهة الشمالية – الغربية ونارتكس على الجبهة الغربية.

بدأ تشييد النارتكسات في كنائس سوريا البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة في القرن الخامس بشكل رئيس. وهذه الكنائس منتشرة في المناطق الشمالية والشمالية – الشرقية من البلاد، بينما عدد هذا النموذج من الكنائس أقل في المنطقة الجنوبية. ولم يكن تشييد النارتكس حكراً على نظام الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة – حسب اعتقادنا – بل نراها أيضاً في الكنائس البازيليكية ذات الأعمدة الدائرية أو الركائز. وتظهر هذه النارتكسات على الجهة الغربية من الكنائس لكن ببعض الاختلافات الإنشائية والمساحية.

تنقسم هذه النارتكسات إلى مجموعتين رئيستين حسب حلولها المعمارية وهما:

أ.- يظهر النارتكس على الجهة الغربية بشكل أساسي كصف من الأقواس التي ترتكز على الأعمدة ولا توجد غرف مساعدة إلى جانبيه من الجهة الشمالية والجنوبية. ومثالنا على هذه المجموعة كنيسة خرّاب شمس (القرن الخامس) والقديس سيرجيوس في دير قيتا (القرن السادس) وكنيسة العذراء مريم في الشيخ سليمان (النصف الأول من القرن الخامس) وباتر (٤٦٣م) وباقرحا الشرقية (٥٤٦م) وسيروس (النصف الثاني من القرن الخامس) وكاتدرائية براد (النصف الثاني من القرن الرابع) وغيرها. وهناك نارتكسات بحلول معمارية مماثلة في بعض كنائس منطقة سوريا الجنوبية كأم الجمال وكلاوديانوس ونومريانوس (النصف الثاني من القرن السادس) وغيرها. وتشكل النارتكسات ذات صف من الأعمدة المقنطرة على الجبهة الغربية ومغلقة في بعض الأحيان من جهتها الشمالية والجنوبية بالجدران استمرار لجداري الكنيسة الطولانيين. وتنحرف هذه الجدران قليـــلاً في بعض الأحيان أو تبنى مداخل مقبّبة أو مستطيلة الشكل على هذين الاتجاهين عوضاً عن الجدران. ومثالنا على ذلك نارتكسات كنيسة سيروس وأم الجمال وخرّاب شمس ونومر يانوس. ويرتبط النارتكس في بعض كنائس مجموعة (أ) بالمدخل الوحيد المؤدي إلى البهو الأوسط. ونشاهد في بعض الأحيان الأخرى مداخل تؤدي إلى الأبهاء الثلاثة عن طريق النارتكسات.

ب.- يتحقق النارتكس على الجهة الغربية بشكل رئيس في مجموعة هذه الكنائس بالجدران المغلقة أو أروقة مقنطرة محمولة على صف من الأعمدة.

تنقسم هذه النارتكسات بدورها إلى قسمين هما:

١.- نارتكسات ذات غرفة واحدة إلى كل من جانبيها الشمالي والجنوبي.

٢.- توجد بعض الكنائس التي ينصهر النارتكس فيها مع هاتين الغرفتين الجانبيتين اللتين هما على اتصال مع البهوين الجانبيين.

وتمتاز بعض الكنائس في منطقة سوريا الشمالية بهذا التصميم كقلب لوزة وترمانين ورويحة والحصن وغيرها. ولكنيسة الحصن (القرن الخامس) - التي هي أكبركنائس البارة - أبعاد تقترب إلى البازيليكات الرومانية. وتوجد على الجبهة الشرقية وعلى طرفي الحنية الشمالية والجنوبية غرفتان مزدوجتان. كذلك نجد على الجبهة الغربية وعلى جبهتي النارتكس الشمالية والجنوبية غرفتين مزدوجتين. والغرف الموجودة على الأطراف هي أوسع من الأخرى وأكثر بروزاً نحو الجهة الخارجية.

G. Tchalenko .... II, Pl, XII, No-1

وبسبب هذه الغرف تكون الجبهة الغربية مشكلة إما من الجدران أو الأروقة المقنطرة المحمولة على صف من الأعمدة. ومن المحتمل أن الغرفتين الكائنتين إلى جانبي النارتكس كانتا برجية الشكل وبحجم طابقين أو ثلاثة طوابق من الداخل كما في بعض الكنائس التي لها مسقط مماثل كقلب لوزة وترمانين ورويحة. والكنيسة الآن في حالة دمار، إلا أن جميع عناصرها لا تزال منثورة حولها بشكل كامل تقريباً. وتمتاز هذه الكنيسة بتعدد مداخلها أيضاً. فنرى مثلاً أن لها ثلاثة أبواب على جهتها الغربية وأربعة أبواب على الجهة الشمالية وثلاثة أبواب على الجهة الجنوبية. وتوجد أروقة على الجهة الشمالية والجنوبية منها وبين الغرفتين البارزتين نحو الجهة الخارجية. والمسافة الكائنة بين الأعمدة تتكرر تقريباً مع مسافة الأعمدة الموجودة في الأبهاء الثلاثة، لذلك - وانطلاقاً من المسقط الناتج - نحصل على انطباع أن الكنيسة ذات خمسة أبهاء.

لجبهة كنيسة قلب لوزة وترمانين ورويحة الغربية بعض التماثل المبدئي في مسألة الحلول المساحية التي تظهر في كل كنيسة بنسب وأشكال تعبيرية مختلفة. وللكنائس الثلاث غرفتان إلى جانبي النارتكس ترتفعان على شكل أبراج وتُغطّى أحياناً بسقف جملوني (ترمانين ورويحة) وأحياناً أخرى بسقف هرمي رباعي (قلب لوزة). وقد قدم ده فوكيه مخطط هذه الكنيسة الأخيرة لأول مرة حيث نرى أن سقف الأبراج جملوني الشكل وتمتاز جبهتها الغربية بالفرونتون المثلث الشكل. ويقدم تشالنكو مخططاً يؤكد فيه أن السقف كان هرمي الشكل. ويبدو لي أنه الاحتمال الأصّح. ويرتبط النارتكس – الموجود بين البرجين وعلى وسط محور الكنيسة الطولاني – مع الخارج بقوس طويل يُعدّ الأكبر بين جميع الأقواس. وتلعب هذه الأقواس– إلى جانب البرجين الكائنين على جانبي الكنيسة – دوراً محورياً في تصميم الجبهة الغربية للكنيسة مساحيا. وتستخدم سقوف النارتكسات في هذه الأوابد الثلاث كمصطبة. ومن هنا وعلى الجدار الغربي للبهو الأوسط فُتحت ثلاثة شبابيك تساعد على إضاءة الكنيسة من الداخل وتسمح أيضاً على الرؤية والاستماع إلى الطقوس الدينية من المصطبة التي يمكن الصعود إليها عن طريق البرجين الجانبيين من خلال مداخل. (هناك بعض بقايا المداخل في كنيسة قلب لوزة).

يمكن الدخول إلى الكنيسة من النارنكس عن طريق المدخل المركزي الوحيد الذي نرى على ساكفه فتحة على شكل حدوة فرس Lünette (رويحة) أو على شكل نصف دائرة (ترمانين وقلب لوزة) التي تضفي على مداخلها الغربية الرئيسة جمالا خاصا وتساعد في الوقت ذاته على الإضاءة الداخلية وتسهم في توزيع تأثيرات القوى الشاقولية للجدار الغربي في البهو الرئيس على جانبي المدخل وتخفيف وظيفة الساكف على المدخل. وهنال شباك واحد إلى كل من جانبي هذه المداخل.

إلى جانب أوجه الشبه الرئيسة في المساقط التي جاء ذكرها، هناك بعض الاختلافات على الجبهات الشرقية لكنيسة ترمانين وقلب لوزة ورويحة من حيث شكل وعدد وترتيب الشبابيك وغيرها من العناصر الإنشائية.

توجد فتحات كبيرة تؤدي إلى داخل الكنيسة من مصطبة الجدار الغربي للبهو الأوسط. وتقسم هذه الفتحات إلى ثلاثة أقسام مستطيلة بواسطة عمودين كورنثيين. ويمرّ فوق الحزام جسر نجد فوقه وعلى الطابق الثالث ثلاثة شبابيك مستطيلة وإلى الأعلى

منها شباك على كل طابق ينتهي بحنية. ونرى في وسط الفرونتون صليباً موضوعاً داخل حلقة يوجد إلى جانبيها شباكان ينتهيان بحنية. وإذا اعتبرنا مخطط ده فوكيه صحيحاً ينتج لدينا أن الجبهة الغربية لكنيسة ترمانين تشكل منظومة مركّبة بسبب أشكال الفتحات ومقاييسها.

يختلف الوضع في كنيسة قلب لوزة بسبب وجود زوج من الشبابيك المتشابهة في الشكل والقياس على كل طابق على المحور المركزي للبرجين. وتفترق هذه الشبابيك عن بعضها بعضاً بأعمدة جدارية على الطابق الثاني والثالث من الأبراج. ونجد على الطابق الأول حزاماً نافراً يلف الشباكين ابتداءً من القوسين نزولاً حتى القسم السفلي منهما ويستمر أفقياً على الجانبين. ويوجد نقش عامود بين الشباكين الموجودين على الجهة الجنوبية – الغربية الذي يعتقد أنه عامود القديس سمعان.

G. Tchalenko ……… p.136

وللشبابيك الثلاثة المفتوحة من المصطبة نحو البهو الأوسط أعراض متشابهة تقريباً وحنية كما في الشبابيك الأخرى. ومن الجبهة المثلثية وعلى المحور المركزي تمّ فتح شبابيك أصغر ذات حنية. ويُعدّ تصميم الجبهة الغربية لكنيسة قلب لوزة وتفاصيل الحلول الفنية والمقاييس والتناظر الواضح أحسن مثال على منجزات هندسة الكنائس السورية.

تختلف الحلول الفنّية – التي طبقت على الجبهة الغربية لكنيسة بينروس في رويحة – بسلسلة من المسائل عن كنيستي قلب لوزة وترمانين لأن البرجين في رويحة ذات طابقين ويمرّ حزام نافر خارجي يحيط الكنيسة من كل الجهات على مستوى سقف الطابق الأول ويرتفع بعد ذلك ثلاثة مداميك فوق قوس النارتكس وينخفض بعدها. وللبرجين على الجهة الغربية من الطابق الأول شباك بالتصميم ذاته كما على المدخل الرئيسي. وهناك مداخل مقنطرة أيضاً على الجبهتين الشمالية والجنوبية. وهكذا يمكن التأكيد أن الطابقين الأولين ينصهران مساحياً مع النارتكس كذلك مع المساحة الخارجية.

ولقوس النارتكس عرض مماثل لقوس البهو الأوسط الذي هو أقل ارتفاعاً نسبيا مقارنة مع ارتفاع قوس الحنية. ولكل من البرجين شباك طويل على الطابق الثاني

ينتهيان بحنية على جبهتي البرجين متوّجتين بالأحزمة حتى بداية الأقواس، التي تنحرف أفقياً قليلاً. وهناك ثلاثة شبابيك قريبة من بعضها بعضا على الجدار الغربي للبهو الأوسط تُوّجت بدورها بالأحزمة الزخرفية. ويمكن التأكيد أن الشكل الممطوط هو من ميزات هندسة عمارة رويحة التي تظهر خاصة في ارتفاع ومقاييس أقواسها وأبراجها وشبابيكها. وتمتاز الأبراج – كما في ترمانين – أنها جملونية الشكل.

عندما نمعن النظر في مخطط بتلر وماترن من جهة البهو الأوسط، نرى أن الزوجين من الركائز – اللتين تقسمان الكنيسة إلى ثلاثة أبهاء – لها شكل حرف T. وكانت هناك أقواس عرضانية بين هذين الصفين من الركائز. وأما الزوج الواحد من الركائز الموجود على كل صف – كما في جميع الكنائس – فإنه يحمل أقواسا طويلة باتجاه طولاني (٩ أمتار) ترتكز على ركائز البهو الجدارية. ويتساوى القوسان العرضانيان بطولهما مع عرض البهو الأوسط، لكنهما مرتفعان وينطلقان من نهاية الأقواس العرضانية تقريباً. والإثنان يحملان جدارين عرضانيين ينتهيان بإفريز خاص في السقوف الجملونية.

زرت في عام ١٩٧٢ كنيسة بيزوس في رويحة التي كانت في حالة خراب شبه كامل. وكان القسم الشمالي – الغربي من الكنيسة في حالة أفضل نسبياً حيث كان لا يزال أحد الأقواس العرضانية باقياً. وكان القسم الشرقي والجنوبي – الشرقي من الكنيسة مسكوناً من الداخل أما المساحة المتبقية من الكنيسة فقد كانت تستخدم كباحة. ومن المحتمل جداً أن هذه التغييرات جرت في العقود الأخيرة وكانت السبب في تنظيف الكنيسة وظهور شكلها الأصلي. ومن المحتمل أن قسم الكنيسة الداخلي كان مطمورا تحت كومة من الأحجار في بداية القرن العشرين أثناء دراسات بتلر وماترن الميدانية، لذلك لم تكن لديهما إمكانية رؤية ووصف الشكل الأصلي لقواعد الركائز بدقة. وانطلاقاً من القسم الظاهر للقوس الطولاني الشمالي – الغربي، قرّر هذان الباحثان أن قواعد الركائز لها شكل حرف T . ومن هنا ظهر مخطط القسم الداخلي للكنيسة والقوسان العرضانيان اللذان يتجهان من صف إلى آخر عرضانيا بالنسبة للبهو الأوسط. لذلك فإن الحقائق الجديدة التي قمنا بجمعها ميدانياً تسمح لنا بالشك في صحة ذلك المخطط. وقد تأكدنا شخصياً أن الركائز لم تكن على هيئة حرف T بل هي مصلبة انطلاقا من

الركيزة الشمالية – الشرقية، لذلك اضطررنا للقيام بدراسة متأنية ودقيقة على الركيزة الوحيدة الباقية على الجهة الشمالية – الغربية التي تبدو ظاهريا كحرف T.

بعد التحري استنتجنا أنه في الفترة الأولى لبناء الكنيسة لم يرَ المهندس أو المعماريون حاجة في إسناد الأقواس الطولانية على ركائز مصلبة أو على شكل حرف T بل جهزوا تصميما بسيطاً خاصا تتميّز به كنائس المنطقة الشمالية من سوريا وبعض المناطق الأخرى وذلك ببناء ركائز مستطيلة تصل أبعادها هنا إلى ٤٥سم×١٣٥سم. ومن المحتمل جداً أن المرحلة الأولى من العمل بدأت بإنشاء الركائز، وبعد ذلك فقط وضعوا الأقواس العرضانية على تيجانها. ويمكن التخمين أن المهندس شعر بأن القوس الذي يصل سماكته إلى ٤٥ سم وطوله إلى ٩ أمتار ويستند على ركيزة يصل عرضها إلى ٤٥ سم وطولها ١٣٥ سم لا يمكنه مقاومة القوى الدافعة الناتجة عن السقف، لذلك قام بتعزيز الركائز الموجودة في وسط البهو المركزي بزيادة ساق على كل منها بقياس ٤٥×٤٥ سم. ويظهر ذلك بشكل جلي على الركيزة الشمالية الغربية، حيث نرى بوضوح أن ذلك الساق ليس متصلاً عضويا وبشكل مباشر مع الركيزة المستطيلة ابتداءً من القسم السفلي لهذه الركيزة وحتى تاجها ومنه حتى ارتفاع مترين. ويساعد هذا الساق المضاف على تحييد وإزالة هذه القوى الدافعة نحو البهو الأوسط. ونظرا لتعرّض الأقواس بدورها للقوى الدافعة نحو الجهة المعاكسة، أضاف المعماري إلى الركائز ساقاً على جهة البهوين الجانبيين بقياس ٤٥×٤٥ سم الذي استمر بالصعود حتى تاج الركيزة الأساسية. وسبب عدم استمرار هذا الساق أكثر من ذلك هو اختفاء القوى الناتجة عن سقف البهو الأوسط بسبب تأثير سقف البهو الجانبي أيضاً. وعن طريق هذا السقف تمتد القوى الدافعة أيضاً على الجدار الخارجي الطولاني الذي يصل سماكته إلى ٤٥ سم . ويتأكد من هذه الإضافات على الركائز من تلك الحقيقة أن تيجان الركائز المستطيلة لا تتصهر عضوياً مع نقطة الالتقاء بالتاج الرئيس. وهكذا يظهر من نتائج دراستنا الميدانية أن شكل الركائز الأوّلي كان مستطيلاً والنهائي أضحى مصلّباً. ونستثني هنا وجود أقواس عرضانية لأن الجدران العرضانية فوقها لم يكن باستطاعتها تحمّل تأثيرات قوى الدفع الأفقية من جهة وستزيد هذه الجدران في الوقت ذاته من درجة الثقل على الأقواس الطولانية للبهو الأوسط التي – كما ذكرنا سابقاً – لم يكن

باستطاعة البنائين الاعتماد عليها إنشائياً بسبب سماكتها غير الكبيرة وامتدادها الكبير. ولم نعثر أثناء بحثنا على دلائل حول وجودها. ويمكن القول أن بتلر وماترن لا يقدمان أيضاً معطيات أكيدة حول وجود الأقواس العرضانية. وحتى وإنْ قبلنا بوجودها فعلياً، يحصل لدينا أن الأقواس العرضانية في هندسة الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة في سوريا الشمالية موجودة هنا حصراً في كنيسة بيزوس في رويحة ذات الأبهاء الثلاثة بمساعدة الركائز. ويمكننا التأكيد أيضاً أن وجود هذه الأقواس دليل على خطأ معماري من قبل المهندسين والبنائين لأن هذا المسطّح الإنشائي المفترض ــ الذي نشأ بسبب إشراك الأقواس الطولانية والعرضانية ــ لا يتطابق مع مسطح الكنيسة الخارجي ومقاييسه وشروط العمارة والبناء المتبع في ذلك المكان والزمان.

نرى تغييرات إنشائية مشابهة أيضاً في كنيسة سيرجيوس (الرصافة). وتشكل ركائز هذه الكنيسة ــ كرويحة ــ شكلاً مصلّباً. والساقان الموجودان على جانبي البهو الأوسط والبهوين الجانبيين ــ وهما أيضاً من الإضافات على الكنيسة ــ أرفع (٤٥× ٤٥) سم وتعادل سماكتهما سماكة الجدار الخارجي الطولاني للكنيسة. وكان لركائز هذه الكنيسة شكل مستطيل عند مباشرة البناء، وكانت أسمك من الجدران الخارجية (٨٠ سم تقريباً) ويصل طولها إلى مترين. وكان طول الأقواس العرضانية يصل إلى عشرة أمتار. وعلى النقيض من الكنائس الأخرى – حيث أنشئت الأقواس بصف واحد من الأحجار – فقد شُيّد هنا قوس بصفين من الأحجار فنتج عن ذلك في الواقع قوس مزدوج بسبب طبيعة الحجر في هذه المنطقة التي هي رملية المنشأ تتعرض للتفتت بسهولة لذلك لا يمكن تحضير بلوكات كبيرة منها. ويظهر أن المعماريين لم يتمكنوا من تعزيز الأقواس الطولانية بسبب وضعها الإنشائي الضعيف، لذلك قاموا بإضافة أجنحة مساعدة على الركائز الرئيسة على طرفي البهو الأوسط والبهوين الجانبيين بشكل متناظر لإزالة أو تخفيف تأثير القوى الأفقية الضاغطة على الأقواس الطولانية عن طريق السقف. ويبدو لي أن الكنيسة تعرضت لهزات أرضية عديدة بعد إكمال بنائها، مما أدى إلى ظهور شوائب إنشائية جديدة في الأقواس الطولانية فقرر هؤلاء تعزيز تلك الأقواس بشكل نهائي عن طريق تقصير مسارها وذلك بوضع ثلاثة أعمدة بين ركيزتين مصلّبتي الشكل. وتحمل هذه الأعمدة أقواساً أصغر وهي مغطاة بجدار ابتداءً من سفحها

وحتى وسط الأقواس. ومن المحتمل أن هذا التغيير جرى في النصف الثاني من القرن السادس، لأن طراز الأعمدة الكورنثي هنا كان معروفاً في المنطقة الشمالية – الشرقية من سوريا في تلك الحقبة الزمنية. (مثال آخر تيجان قصر ابن وردان عام ٥٦٤م).

أما بالنسبة لشكل الكنيسة الخارجي فمن الصعوبة بمكان الجزم إنْ كانت الغرفتان المبنيتان على جانبي النارتكس على الجهة الغربية للكنيسة برجية الشكل أم لا، لأن تلك الجبهة مطمورة كاملة تحت كومة من الأحجار والأتربة. إلا أنه يمكننا التأكيد – انطلاقاً من المسقط فقط – أن الفتحات الكائنة باتجاه البهوين الجانبيين هي كبيرة جداً لدرجة انصهارها مساحياً مع هذين البهوين الجانبيين. ولكاتدرائية الأندرين الكبيرة مسقط مماثل حيث تنصهر الغرفتان مع النارتكس عدا البهوين الجانبيين. ويجب التأكيد أيضاً أن هذه الوحدة في مساحة الغرفتين والنارتكس كانت موجودة أيضاً في كنيسة بيزوس في رويحة، كذلك في كنيسة الأندرين الجنوبية (٥٢٨م) وكاتدرائية القديس ستيفانوس في كراتين وسلسلة أخرى من الكنائس.

ليس عدد الكنائس التي تنتمي إلى المجموعة (D) كبيراً. وإن الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة– التي تحتوي على رواق – منتشرة بشكل رئيس في المنطقة الشمالية من سوريا ولانجد لها أثراً في المنطقة الجنوبية والشمالية – الشرقية من البلاد.

ترجع الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة والحنية نصف الدائرية والرواق إلى الحقبة الممتدة بين القرنين ٤–٦ م. ومن الصعوبة بمكان التأكيد إنْ كانت تلك الأروقة – التي شيدت حول كنائس القرن الرابع – أقساماً أضيفت إليها فيما بعد بين القرنين ٥–٦م أم شيدت أثناء بناء الكنيسة مباشرة. وقد انهدمت الجدران الطولانية لجميع تلك الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة والأروقة، لذلك لم نتمكن من إيجاد حتى على بقايا سقوف الأروقة على الجدران والوصول بالتالي إلى استنتاج حول تاريخ إنشائها.

لمسقط كنيسة سرجلاّ تصميم متميز لأن الغرفتين إلى جانبي الحنية ضيّقتان وطويلتان وتبرزان بشدة نحو الجهة الشمالية والجنوبية. وقد تمّ إضافة غرفتين إلى الجهة الغربية منهما، لذلك اقترب مسقط الكنيسة إلى الشكل المربع وكأنه بذلك أصبح مثالاً يحتذى للتصميم المتميّز لمسقط كنيسة كفر فنجة ذات البهو الواحد وبين الكنائس

المماثلة التي تعود إلى القرن السادس. ويعتقد بتلر من شكل ساكف المدخل أن الكنيسة بنيت في أواسط القرن الرابع.

Butler p.27

وانطلاقاً من ذلك يُرجع تاريخ البازيليكيتين ذات الأبهاء الثلاثة في برج حيدر الغربية وكنيسة الحصّ إلى منتصف القرن الرابع.

Ibid p.37

والغرفة الجنوبية – الشرقية إلى جانب حنية كنيسة برج حيدر تمّ ترميمها لاحقاً وتوسيعها نحو الجهة الجنوبية وبناء حنية نصف دائرية على الجهة الشرقية منها.

Ibid p.32

وتبرز كنيسة خربة الحص في هذه المجموعة أيضاً. وإلى الجهة الجنوبية من الغرفة الجانبية وعلى الجهة الجنوبية – الشرقية من الحنية هناك غرفة أخرى متجهة نحو الجهة الخارجية. ويوجد رواق على كل من جبهتي الكنيستين الغربيتين. وانطلاقاً من تأكيدات بتلر أن الإضافة على الجهة الجنوبية – الشرقية لبرج حيدر تمّت بعد بناء الكنيسة، فمن المنطقي أن يشكل الرواقان قسماً من الإضافات المختلفة، لأنه لا معنى للرواقين دون وجود هاتين الغرفتين. وهذا هو الحال أيضاً في جميع الكنائس السورية الأخرى التي تحتوي على أروقة. وبالمنطق ذاته يمكن الوصول إلى استنتاج مماثل حول كنيسة الحص. وإذا أخذنا تأكيدات بتلر حول كنيستي سرجلاّ وبرج حيدر ذات الأبهاء الثلاثة خاصة كأساس، ينشأ لدينا أنه تمّ بناؤها بعد ١٠ – ٢٠ سنة عن أقدم كنيسة وتحديداً فافرتين التي شيدت في سوريا الشمالية في عام ٣٧٢م.

في البارة كنيستان برواق لكل منهما وهما كنيسة الحصن (من القرن الخامس) والكنيسة الثانية (من القرن السادس).

G. Tchalenko ....II, PI, XII No –3

يبدأ الرواق الجنوبي هنا من الغرفة البارزة على الجهة الجنوبية للنارتكس. وجدار الكنيسة- يمتدّ نحو الجنوب وبعد دورانه حول الكنيسة يتصل الرواق بالغرفة الجنوبية الكائنة قرب النارتكس ويخلق هنا بالذات باحة داخلية.

توجد في براد أيضاً كنيستان ذات أروقة. ويُعدّ بازيليك جوليانوس (٣٩٩-٤٠٢م) الأهم بينهما حيث تمّ بناء كنيسة صغيرة على طرفها الشمالي - الشرقي في القرن الخامس. ويوجد على جبهتها الغربية رواق يبدأ من الجهة الجنوبية - الشرقية من الغرفة الثانوية الصغيرة البارزة نحو الجهة الخارجية. ومن المحتمل أن الكنيسة كانت بسيطة الشكل أي لها حنية وغرفتان إلى جوارها. وقد تمّ ضمّ الكنيسة الصغيرة إليها مع الغرفة الكائنة قرب البهو الجنوبي والنارتكس والسور في الجهة الجنوبية التي عن طريقها تشكلت باحة داخلية في القرن الخامس.

تنقسم كنيسة براد الشمالية (٥٦١م) - على النقيض من جميع كنائس هذه المجموعة - إلى أبهاء ثلاثة لا عن طريق صفين من الأعمدة الدائرية، بل بمساعدة أربعة ركائز مصلّبة الشكل. واستناداً إلى تشالنكو لا يبدأ رواق الكنيسة الجنوبي من جدار أو غرفة على الجبهة ذاتها، بل يتصل بسور البهو الداخلي من الجهة الجنوبية بعد دورانه على الجانبين.

Ibid, PI, XI – No,4

وتعدّ هذه الناحية استثناء في تصميم مسقط الكنائس السورية المحاطة بالأروقة. وهذا يعني أن الرواق والسور الخارجي تمّ إضافتهما بعد بناء الكنيسة بوقت قصير لأن الرواق لا يرتبط عضوياً مع الكنيسة. وكانت هناك في الحقيقة غرفة بارزة على الجبهة الجنوبية لم يلاحظها تشالنكو بسبب الدمار الكامل لهذه الجبهة المطمورة تحت كومة من الأحجار. ونعتقد أن التخمين الثاني هو الأقرب إلى الحقيقة لأن الكنيسة كانت خربة كاملة أثناء بحثنا الميداني ضمن البعثة الفرنسية في عام ١٩٧٢الذلك لم يكن باستطاعتنا تقديم نتائج محددة.

يصل عدد مجموعات الكنائس السورية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة - كما رأينا - إلى رقم مرموق من حيث تصاميم مساقطها. وقد تمّ بناء الكنائس البازيلكية

ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة في الحقبة التاريخية ذاتها تقريباً أي ابتداءً من منتصف القرن الرابع. ويظهر أيضاً أن الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد بوشر بالتعبّد فيها قبل عقد أو عقدين من ذلك التاريخ لأن الامبراطورية الرومانية لم تكن قد صدّقت بعد على مسقط الكنائس التي سيباشر باستخدامها إلى جانب الكنائس ذات البهو الواحد.

إذا برّرنا ظهور الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد في فترة أبكر من القرن الرابع بالعدد غير الكبير للمؤمنين المسيحيين، إلا أنه لا يمكننا اللجوء إلى المنطق ذاته حول وجودها بين القرنين ٥-٦م ــ وخاصة أن السكان كانوا قد ابتنوا كنائس بازيليكية ذات أبهاء ثلاثة في كل مكان لتلبية المتطلبات الروحية بسبب زيادة عدد المؤمنين. لذلك نعتقد أن معظم الكنائس ذات البهو الواحد - التي تعود إلى القرنين ٥-٦م. كانت تقوم بمهمة تكميلية وذلك بتشييدها إلى جانب كنيستين أو ثلاث كنائس بازيليكية ذات أبهاء ثلاثة كما في براد وديرسمعان وخراب شمس وأم الجمال وغيرها. وهناك بعض الكنائس ذات البهو الواحد بنيت في موقع سكاني صغير أو هي وحيدة بشكل كامل كما في ست الروم والديروني وغيرهما شُيّدت تيمناً بذكرى أحد القديسين.

لا نرى قاعدة متّبعة في مسألة وجود غرفة أو غرفتين إلى جانبي الحنية في الكنائس ذات البهو الواحد، لأننا نلاحظ أن الغرف الشرقية في بعض منها لا وجود لها أصلاً. وقد شيدت هذه الكنائس في الحقبة الممتدة بين القرنين ٥-٦م. ونرى في هذه الفترة أيضاً كنائس ذات بهو واحد تحتوي على غرفة أو غرفتين جانبيتين.

نعود إلى الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة ونؤكد أن هناك بعض الكنائس القليلة العدد في المنطقة الجنوبية من سوريا التي تحتوي على غرف إلى جانبي الحنية ككنيسة أم الجمال وتفقا وديروني وأم الكودين وغيرها. بينما لجميع الكنائس السورية ذات الأبهاء الثلاثة الباقية - كقاعدة عامة - غرفتين إلى جانبي الحنية. وتشكل كنيسة منبج فقط - التي يعود تاريخ بنائها إلى القرن السادس - استثناء لأنه تمّ تبديل الغرفتين الجانبيتين فأضحت تبدو كأنها كنيسة ذات ثلاث حنيات من الداخل. وهذه طبعاً ليست ظاهرة تتميز بها هندسة الكنائس السورية.

للكنائس البازيليكية السورية ذات الأبهاء الثلاثة حلاّن من حيث تصميمها المساحي:

١.- كنائس ذات أبهاء ثلاثة يعلو فيها البهو الأوسط عن البهوين الجانبيين (أي لها مقطع بازيليكي) مما يتيح المجال على إنارة الكنيسة عن طريق الشبابيك المفتوحة على الجدارين الطولانيين. وكانت هذه الكنائس مغطاة بجملون خشبي يستند طرفاه على الجدار الكائن على صفّي البهو الأوسط من جهة وعلى جدار الكنيسة الطولاني من جهة أخرى. أما النارتكس والرواق والغرفتان الجانبيتان في هذه الكنائس البازيليكية فإنها تلعب دوراً متمماً ومساعداً فقط. وتتوضّع هذه الكنائس بشكل عام في منطقةسوريا الشمالية وكان لها أثر فعّال على هندسة عمارة الكنائس في المنطقة الشمالية – الشرقية.

٢.- كنائس ذات أبهاء ثلاثة حيث البهو الأوسط والبهوين الجانبيين مغطاة بسقف مصنوع من الألواح الحجرية المستوية موضوعة على مستوى واحد. وتدخل كنائس سوريا الجنوبية بشكل رئيس في هذه الفئة. ولكن هناك بعض الكنائس التي تشكل استثناءً. فنرى مثلاً أن سقف كنيسة أم الجمال ذات الأبهاء الثلاثة – على الرغم من عدم ارتفاع البهو الأوسط عن البهوين الجانبيين بشكل ملموس – فإنه يُعتقد أن الكنيسة تنتمي إلى هذا الطراز على الرغم من تغطيتها بجملون خشبي.

تلعب المداخل والأعمدة والأفاريز وبعض العناصر الإنشائية الأخرى دوراً محورياً في تشكل هندسة الكنائس السورية المبكرة. ففي بعض هذه الأبنية المختلفة التصاميم، تلعب المداخل دوراً وظيفياً رئيساً، إلا أنها – انطلاقاً من قياساتها وتوضّعها – تحتل مكانة مهمة في مسألة تشكل جبهات هذه الأبنية فنياً. ولا تستثنى هذه الميزة عن الكنائس السورية في الحقبة القروسطية المبكرة.

على الرغم من استحالة تعداد الأشكال المختلفة لمداخل الكنائس السورية المبنية بين القرنين ٤–٧ م بسبب التباين الشديد في تصاميمها وطريقة إنشائها، إلا أنه مع ذلك يمكننا تصنيفها إلى بعض الفئات.

يجب أن نذكر أولاً أن لأبواب الجبهات الغربية والجنوبية والشمالية شكل مستطيل في جميع الكنائس. ويتفرّع عن هذه المجموعة شكل آخر يحتوي على فتحة نصف دائرية Lünette أو على شكل شبابيك تنتهي بنصف دائرة كما في دار قيتا ومعمودية باقرحا وغيرهما.

شيدت المداخل بشكل عام بقطعتين كاملتين من الحجر توضع فوقهما قطعة أخرى تشكل النجفة. ونادراً ما بنيت هذه الأبواب بأحجار صغيرة مرصوفة. ويُحاط المدخل بشريط زخرفي يكون إما نافراً جداً أو غائراً مقارنة بسطح الجدار. ويمتد إفريز المدخل من الساكف إلى الحجرتين الجانبيتين للمدخل اللتين تحملان الساكف. وينتهي الإفريز في بعض الأحيان بزخرف قرن ثور مفتول الذي يعتبر من العناصر التزيينية التي تتميز بها هندسة العمارة السورية. ويلقى شكل الدوائر الثلاث انتشاراً كبيراً أيضاً في تصاميم النجفات الفنّية. ونلاحظ أن الدائرتين الجانبيتين أصغر من تلك الموجودة في وسط النجفة التي تحتوي على صليب متساوي الأضلاع محاط بزخارف نباتية وهندسية. وهناك بعض الكنائس المبكرة جداً التي تحتوي على دائرة واحدة على كل من طرفي مداخلها.

يصل عرض الأحزمة الزخرفية على المداخل بين ٢٥ – ٨٠ سم. وهناك أحزمة زخرفية أضيق التي هي من ميزات الكنائس المبكرة جداً وتتألف من الفاكهة والأشجار المختلفة. ونجد في وسط النجفة صليباً متساوي الأضلاع أو صليبين في بعض الأحيان وثلاثة صلبان في أمكنة أخرى. ونجد في بعض الأحيان – وخاصة في كنائس المنطقة الجنوبية من سوريا – وروداً كل واحدة منها مؤلفة من ٤ – ٥ وريقات عوضاً عن الفواكه. ونادراً نجد على زوايا الصليب المتساوي الأضلاع زخرف طائر (حمامة على الأرجح) - وأغصان أشجار بين منقاريه. ولا يُستثنى زخرف الكرمة في هذه المجموعة الذي يترافق مع عنقود العنب في معظم الأحيان. وهناك أنواع عديدة من الأحزمة التي تحتوي على أشكال هندسية كالأقواس القصيرة والمثلثات والحبال والحلقات الثلاث والبيوض وغيرها من الأشكال التترينية التي توضع على أحزمة الكنائس المختلفة بترتيبات ونسب متباينة.

نجد في كنائس سوريا الشمالية مداخل (قلب لوزة) صممت للدخول إلى الكنيسة في أيام الاحتفالات الكبيرة. وقد غطيت سقوفها بجملونات مصنوعة من الخشب أو بألواح حجرية مستوية. وتستند هذه السقوف على الجدران ومن جهة أخرى على الحوامل التي ترتكز على عامودين مرفوعين أمام المدخل. وتدخل معظم الكتابات اليونانية المنقوشة على النجفات ضمن العناصر الفنّية وبالتالي في التصميم الزخرفي. ونصادف أعداداً أكبر من هذه النجفات في المنطقة الشمالية – الشرقية من سوريا وخاصة في الأندرين وقصر ابن وردان.

تلعب الشبابيك أيضاً دوراً كبيراً في هندسة الكنائس السورية. أما من الناحية الوظيفية فلها مهمة واحدة وهي إضاءة الكنيسة بالنور الطبيعي قدر الإمكان. وهذه ميزة خاصة في جميع الكنائس البازيليكية السورية تقريباً، وذلك لتأمين الإضاءة اللازمة والجو الاحتفالي أثناء الطقوس الدينية. وهذا هو السبب الرئيس لوجود هذا العدد الكبير من الشبابيك على جبهات الكنائس السورية البازيليكية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة. عدا ذلك كان ترتيبها على هذه الجبهات لغايات تصميمية وفنية في الوقت ذاته.

أوجبت الحاجة الماسة لإضاءة الكنائس السورية على فتح الشبابيك على جبهات الكنائس الأربع. ونرى أن المهندس السوري وضع عدداً متساوياً من الشبابيك على جبهتي الكنيسة الشمالية والجنوبية.

من المعلوم أن الضوء المتسرّب من خلال تلك الشبابيك الكائنة على جبهات الكنيسة المختلفة أثناء ساعات النهار يساعد على الشعور بمساحة الكنيسة الداخلية. ويبدو أيضاً أنه كان ينشأ جو من الحميمية بسبب هذه الإضاءة الطبيعية القوية في قاعات الصلاة التي تعتبر ظاهرة مميزة وشائعة في كنائس سوريا التي شيدت في العصور المسيحية المبكرة.

تنقسم أشكال الشبابيك في الكنائس السورية إلى نوعين وهما:

١.- شبابيك مستطيلة الشكل

٢.- شبابيك مستطيلة الشكل تنتهي بنصف دائرة

لجمال الجبهات الفنّي علاقة مباشرة مع عدد الشبابيك وقياساتها وأشكالها وتوضّعها وأحزمتها الزخرفية التي إما تلّف الشبابيك المستطيلة – وخاصة على جبهتي الآبدة الجنوبية والشمالية – من كل جوانبها أو تستمر على الشبابيك الأخرى للكنيسة وفي بعض الحالات تلف كامل محيط الآبدة. وهناك بعض الكنائس السورية البسيطة التي تمتاز بقلة عدد شبابيكها وأحزمتها الزخرفية. وتصل قياسات الشبابيك وسطياً إلى ١× ١,٥ متراً. وهناك بعض الكنائس التي تحتوي على شبابيك أوسع كما في الرصافة وبانقوسا ولكن أكبر الشبابيك نجدها في منطقة سوريا الوسطى وتحديداً في الكنيسة البازيليكية الغربية ذات الأبهاء الثلاثة في دير الصليب، حيث تصل قياسات شبابيكها إلى ٢,٥×٢,٠٠ متراً التي تتساوى مع عرض وارتفاع مدخل الكنيسة.

عدا المداخل والشبابيك وبقية التفاصيل الأخرى تضفي بعض العناصر المعمارية الأخرى على شكل الكنائس غنىً ومنها ظفر حجري بارز يحدّد بداية البهوين الجانبيين والبهو الأوسط وقواعد بأفاريز غائرة وكورنيشات وجبهات مثلثية وغيرها من التفاصيل.

للأعمدة والركائز في الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة دور حيوي في هندسة الكنائس الداخلية بسبب شكلها وأنواع تيجانها. وتلعب الحنية أيضاً دوراً رئيساً بسبب شكلها المقوّس وقياساتها والعناصر الزخرفية التي تلف قوسها.

تتألف سلسلة الأعمدة الداخلية بشكل رئيس من أعمدة دائرية المقطع، لكن هناك أعمدة مضلّعة في بعض الأمكنة. ومثالنا على ذلك كنيسة صوغانة وتقلا ذات الأبهاء الثلاثة.

أما أنواع التيجان الموجودة في سوريا فهي عديدة كالدورية والهونية والتوسكانية والكورنثية. وجميع هذه الأنواع تأتي بتحويرات مختلفة وتحمل روح الفن الهيلليني والشرقي، إلا أنه تمّ « هضمها » وتطويرها كتصميم سوري خاص. ولا مجال في هذا البحث في تقديم تصنيف خاص لتلك التحويرات المختلفة ودراستها، لأن ذلك يتطلب منا بحثاً خاصاً. لنذكر هنا فقط أن التيجان التي تنتمي إلى النظام الدوري والتوسكاني والهوني بسيطة في أشكالها بشكل عام. أما التيجان الكورنثية – فإلى جانب بعض الأمثلة البسيطة – هناك أنواع غنية جداً في أشكالها ومنحوتة بشكل بديع وتحتوي في معظم الأحيان على أوراق الخرشوف وتكوّن أشكالاً مركّبة. ونجد هذه الأنواع الأخيرة في جميع مناطق سوريا على الرغم من تنوّع الحجر المستعمل كالبازلت والصخر الرملي أو الحواري. ونرى بعض الكنائس التي استخدمت فيها أكثر من نظام واحد من التيجان على أعمدتها الداخلية. وهناك بعض الحالات (كنيسة باقرحا الشرقية مثلاً) حيث وضع المعمار السوري أوراق الخرشوف على التيجان باتجاه الحنية عمداً.

تستند الأقواس في الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة على ركائز مستطيلة أو مصلّبة الشكل وتتطابق أشكال تيجانها مع أشكال الركائز من حيث تصاميمها وقياساتها.

تحتوي مناطق سوريا العديدة على أنواع مختلفة من الأحجار الطبيعية. وتكثر أحجار البازلت مثلاً في المناطق الجنوبية من سوريا لأنها منطقة بركانية، لذلك تشكل هذه الأحجار المادة الإنشائية الأولية الرئيسة التي تمّ استخدامها كبلوكات صغيرة أو متوسطة الحجم وأشكال منتظمة. ومن ميزات أوابد سوريا الجنوبية أنها مبنية بجدران مزدوجة من الأحجار البازلتية المجلية. وهناك بعض الأوابد التي شيدت بجدران ثلاثية الطبقات. وكان البناؤون يضيفون مادة الكلس كملاط بين الجدار الخارجي والجدار الداخلي. وقد عمل بناؤو هذه المنطقة بشكل متأنٍ للحفاظ على الشكل الأفقي للمداميك التي تتباين ارتفاعاتها في معظم الأحيان وسطياً بين ٢٠ – ٢٥ سم وفي بعض الأحيان بين ٣٠ – ٢٠٠ سم. وهذا القياس الأخير نادر الوجود. وقد ترك البناؤون الوجه الداخلي دون جلي واستعملوا أكبر البلوكات كسواكف للمداخل الرئيسة. وبسبب قساوة الحجر البازلتي نقشت الزخارف والتفاصيل المعمارية الأخرى بشكل سطحي في جميع كنائس هذه المنطقة تقريباً. وعلى الرغم من بساطتها، إلا أنها تمتاز بوضوحها وأشكالها الجميلة المعبّرة. ولا نلتقي إلا نادراً بتفاصيل تمتاز بأشكالها الفنية مساحياً كالتيجان والأرشيترافات والأفاريز والأحزمة التزيينية. ومثالنا على ذلك كاتدرائيتي قنوات وبصرى. وقد تمّ تغطية سقوف كنائس سوريا الجنوبية وأبنيتها السكنية بألواح حجرية مستوية عدا بعضها التي غطيت بالخشب. وهذه الطريقة الإنشائية وضعت طابعها على أشكال وأحجام الكنائس التي هي في الواقع أكثر انخفاضاً في هذه المنطقة مقارنة مع مناطق سوريا الأخرى.

تعتبر سوريا الشمالية منطقة كلسية واحدة حيث استخدم الحجر الجيري على نطاق واسع في جميع الأبنية أكان ذلك في العصور الكلاسيكية أم في الحقبة المسيحية. ويعتبر هذا الحجر أكثر طواعية وعملياً وملائماً لظروف البناء بسبب ليونته مقارنة مع البازلت. وقد شيدت الأوابد ما قبل المسيحية (كمعبد الشيخ بركات الوثني) بجدران مزدوجة وأحجار منتظمة ومداميك متساوية الأبعاد. ونلاحظ أنه بعد كل حجرتين وضع

البنّاء بلوكاً عرضانياً من الحجر لتعزيز المداميك ببعضها بعضاً أولاً والجدار المزدوج ثانياً. وتوجد في هذه المنطقة أيضاً معابد وثنية ذات جدار واحد في دير مشمش وباقرحا ورويحة ومدافن تعود إلى القرن الثاني. وقد جرى بناء جدران مزدوجة أو مفردة بأحجار غير منتظمة في الفترة الوثنية دون استخدام أية مادة ملاطية كما هو الحال مثلاً في مدفن باموقا الذي يعود بناؤه إلى القرن الثاني. وقد تمّ استعمال المادة الملاطية بين الجدران في حالات قليلة ككنيسة كرك بيزة وباريشا الشمالية وغيرهما. وقد استمر بناء الجدران على هذا النمط في الفترة ما بعد المسيحية المبكرة وخاصة عند بناء منازل للطبقة الفقيرة التي لاقت انتشاراً بعد فترة حتى في هندسة الكنائس مع وجود بعض الفوارق الإنشائية. ومثالنا على ذلك كنيسة داحس الكبرى حيث وجدنا أن هناك مشاركة بين بناء المداميك بالملاط ودونه. وقد جرى بعد حقبة زمنية غير طويلة تنوّع في هندسة الكنائس. والقاسم المشترك الرئيس مع ذلك هو أنها شيدت بجدار واحد دون استعمال مواد ملاطية. وإلى جانب ذلك نجد على جدران الكنائس البازيليكية – التي شيدت بين القرنين ٤–٧ م ـ بلوكات مختلفة الأحجام وضعت معاً دون ترتيب ونظام معين ولم يحتفظ البناؤون على أفقية المداميك التي تستمر على كامل محيط الآبدة، لذلك فإن الرباط بين المداميك يكون ضعيفا وتظهر الشقوق الشاقولية نتيجة ذلك. وهناك حقائق عديدة مشابهة في أوابد سوريا الشمالية التي تنتمي إلى العصور المسيحية المبكرة. وللحصول على جدران سميكة عند بناء بعض الكنائس، فقد تمّ رفع جدران مزدوجة ببلوكات حجرية كبيرة دون استعمال الملاط كما في أبنية الحقبة ما قبل المسيحية. وهذه الجدران مرتبطة ببعضها بعضاً بواسطة الأحجار الموضوعة عرضانياً.

نلاحظ رصفاً استثنائياً لأحجار الجدران المزدوجة في كنيسة مار تقلا البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة التي تقع على تلة صغيرة تبعد حوالي كيلو مترين إلى الجهة الجنوبية – الشرقية من قلعة سمعان. وقد أنشئت جدرانها الطولانية وخاصة جدران الغرفة الجنوبية – الشرقية للحنية بصفين من الأحجار والقسم الملامس للبّ الجدار من الجهة الداخلية منحوت على شكل إسفين كما هو الحال في أوابد أرمينيا ويُعرف هذا الرصف باسم Medis.

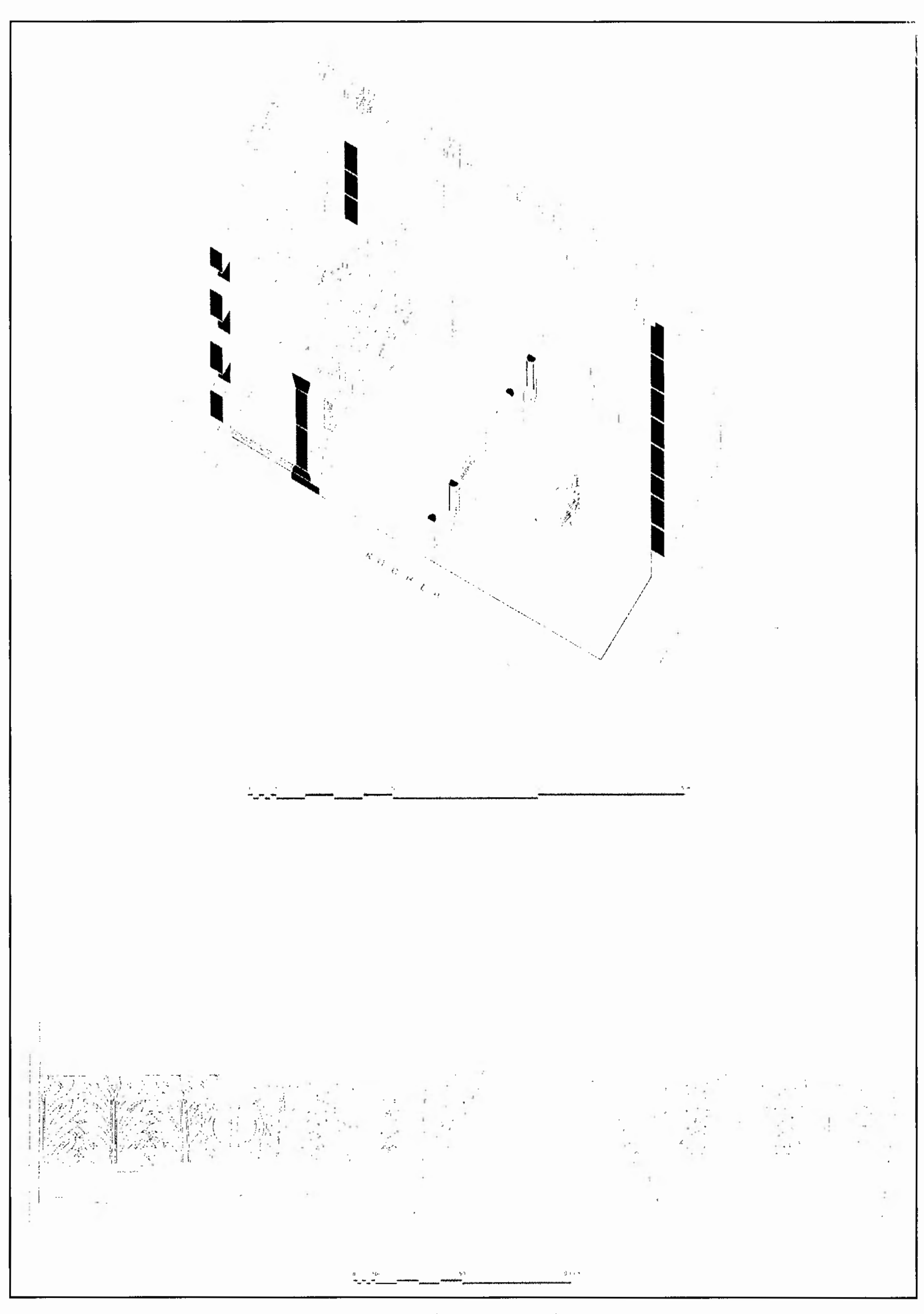
يمكن رؤية جدران مفردة ومزدوجة ومداميك مرتبة في كنائس سوريا الشمالية وبشكل رئيس تلك المسنودة على الأعمدة والركائز كذلك على أقواس الحنيات. وقد أظهر المعماريون في هذه الحال مسؤولية ودقة كبيرتين للوصول إلى الكمال الإنشائي.

على الرغم من الطابع الصحراوي لمنطقة سوريا الشمالية – الشرقية وخلوها من الأحجار، إلا أننا نشاهد استعمال الحجر الجيري والبازلتي في كنائس هذه المنطقة. وبسبب وجودهم في هذه المنطقة تمكن البناؤون المحليون من إشراك الآجر المشوي مع أنواع مختلفة من الأحجار التي كانت تستورد من المنطقتين الشمالية والجنوبية إلى جانب بعض الأشكال المعمارية في هاتين المنطقتين.

تمّ استخدام حجر البازلت في أساسات كنائس هذه المنطقة بارتفاع بضعة مداميك ورفعت الجدران بعدئذ بالأجر المشوي وبعد ذلك تمّ وضع ثلاثة مداميك أخرى من البازلت وهكذا حتى إتمام البناء. وقد لجأ البناؤون إلى هذه الطريقة لتقنين كمية المواد الإنشائية المستوردة. و أجمل مثال على ذلك كنيسة قصر ابن وردان المقببّة (٥٦٤ م). وقد استعمل البناؤون مادة الكلس ملاطاً في صف هذه المداميك المتناوبة.

هناك كنائس في الأندرين وكراتين بنيت جدرانها المزدوجة بحجر البازلت فقط دون استعمال الآجر. ويمكن اعتبار هذه الكنائس ذات طبقات ثلاث من الجدران بسبب ملئ الفراغ الواسع بين جدرانها بالحجارة والآجر المكسّر. وعلى الرغم من ذلك يضفى على الجدار الثالث وظيفة الحمل أيضاً. ومن هذا المنطق نجد بعض الشبه بينها وبين طريقة صف الأحجار في أرمينيا التي تسمى Medis كما ذكرنا سابقاً.

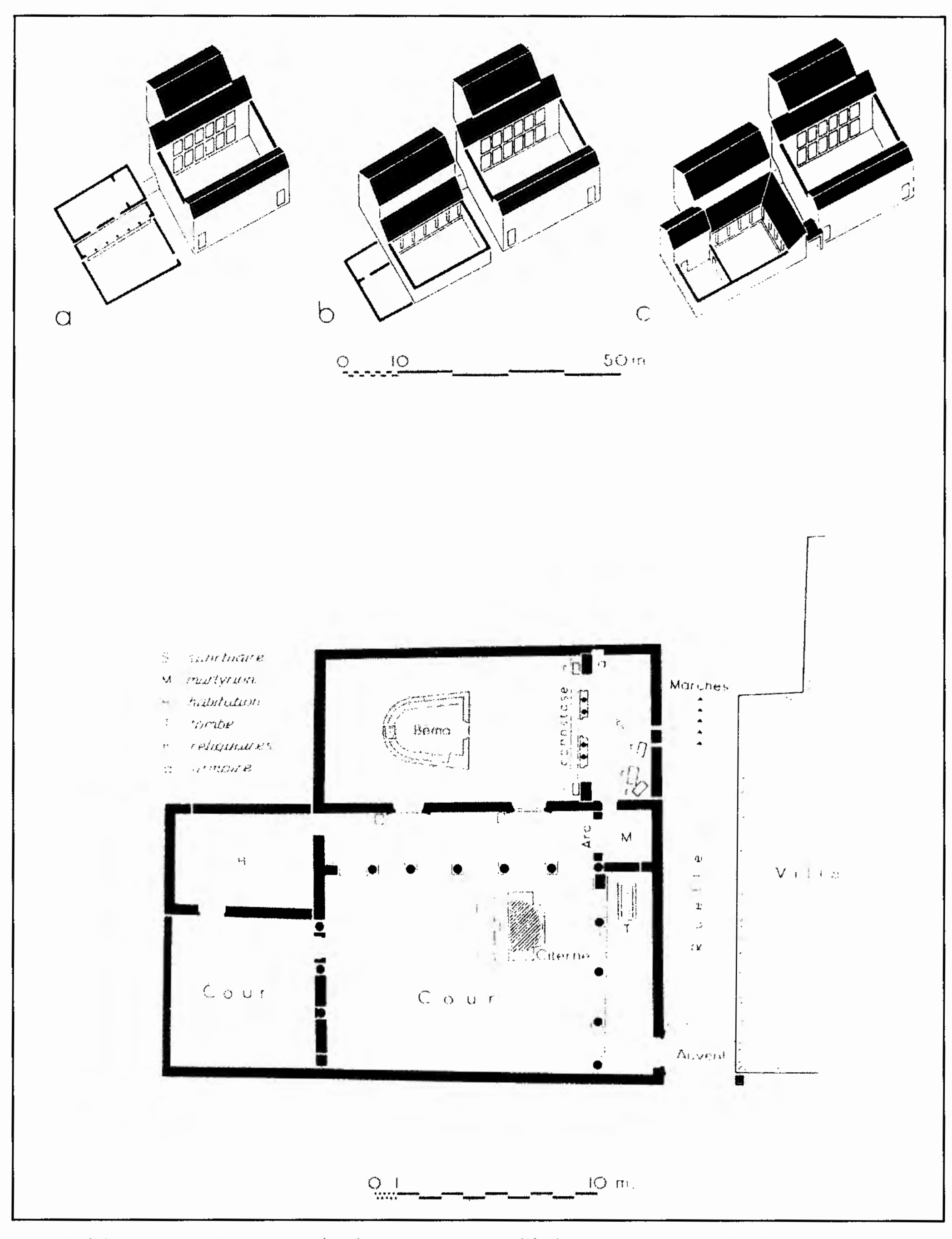
وصفنا في هذا الفصل أنواع تصاميم ومساقط الكنائس السورية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة بخطوطها العامة مؤكدين على خصوصياتها، وقدمنا بعض ميزاتها المعمارية والإنشائية التي هي من الأهمية بمكان لتبيان علاقات هندسة العمارة الأرمنية مع السورية بين القرنين ٤–٧ م.



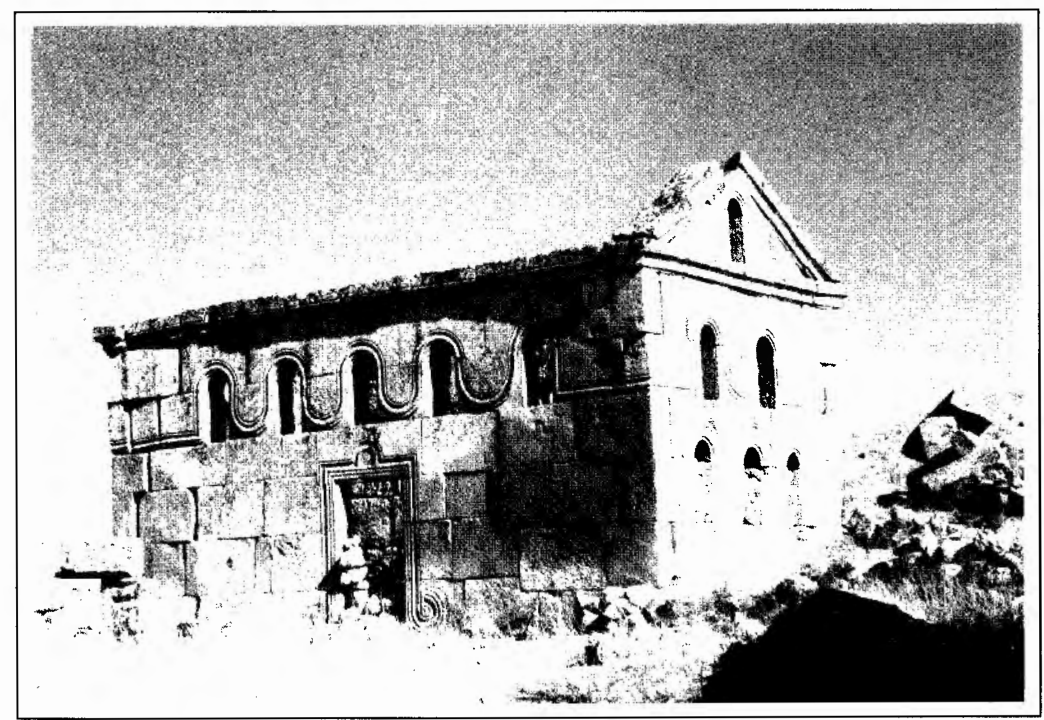
I - كنيسة كرك بيزة (القرن الرابع) مقطع محوري و تاج الحنية .



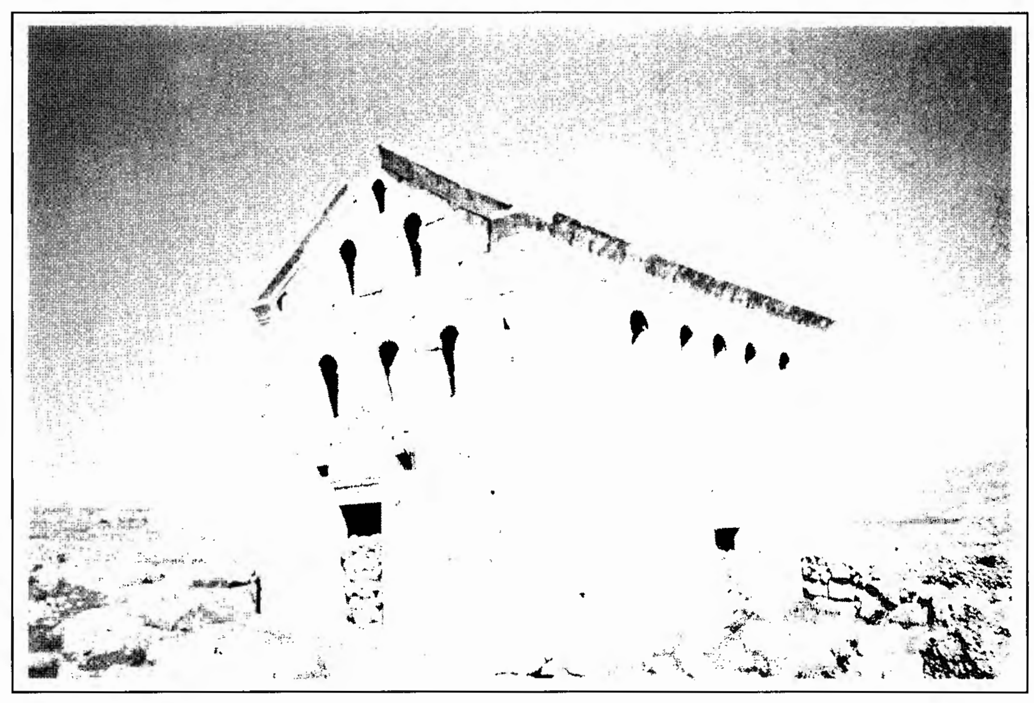
II – كرك بيزة – الجبهة الجنوبية و الحنية .



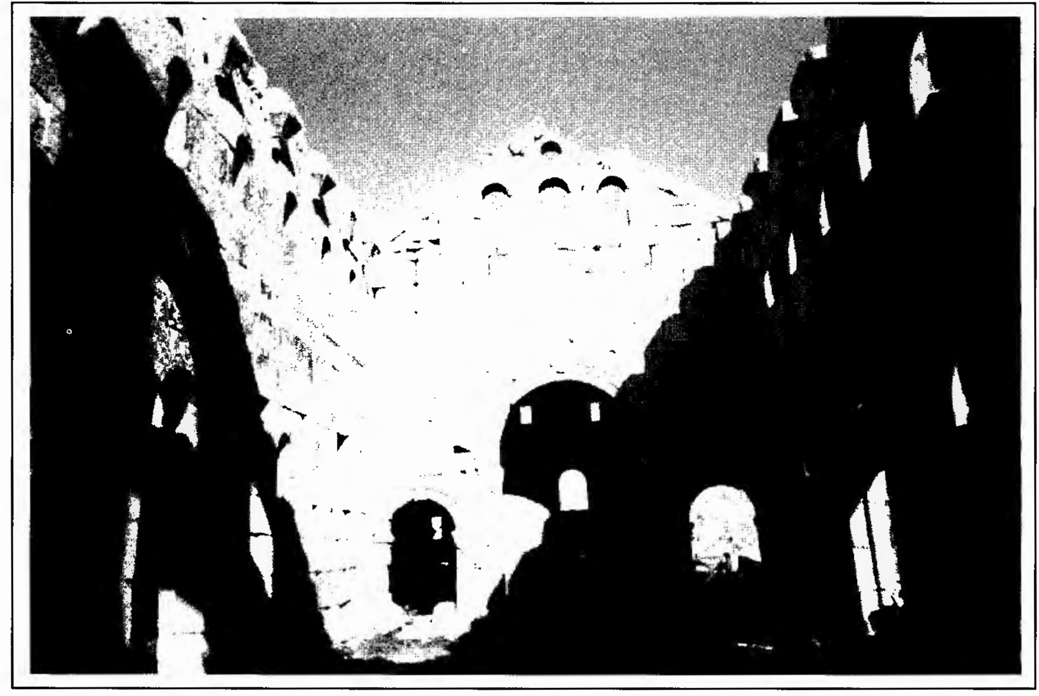
III - كرك بيزة (a) في القرن الثالث (b) في القرن الرابع (c) في القرن الخامس ومخطط المجّمع في القرن السادس.



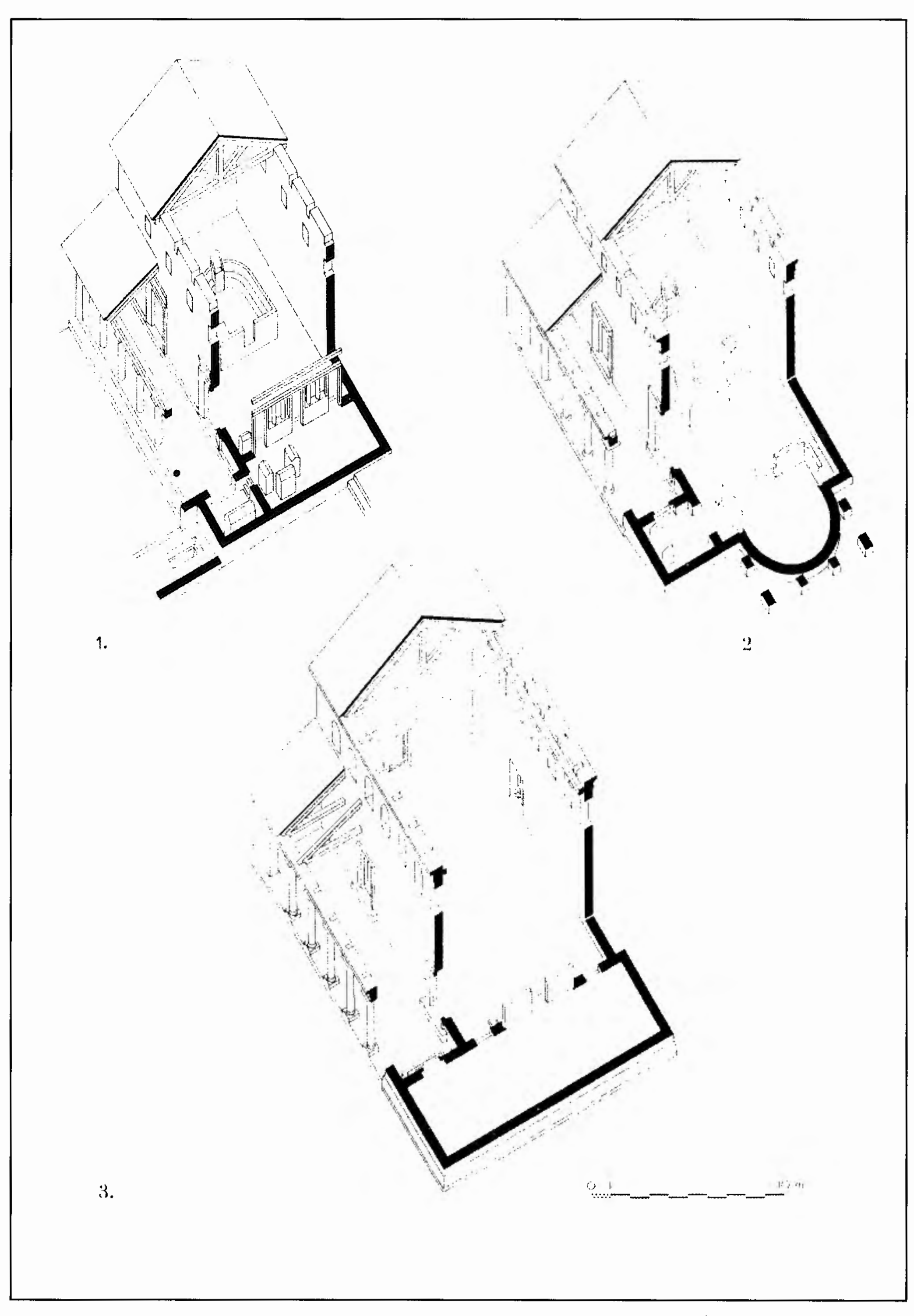
IV - كنيسة الديروني (القرن السادس) و الجبهة الغربية و مظهرها من الزاوية الشمالية -الشرقية .



٧- كنيسة ست الروم (القرن السادس) منظر المجمّع من الجهة الجنوبية و الكنيسة ذات البهو الواحد من الجهة الجنوبية - الشرقية .



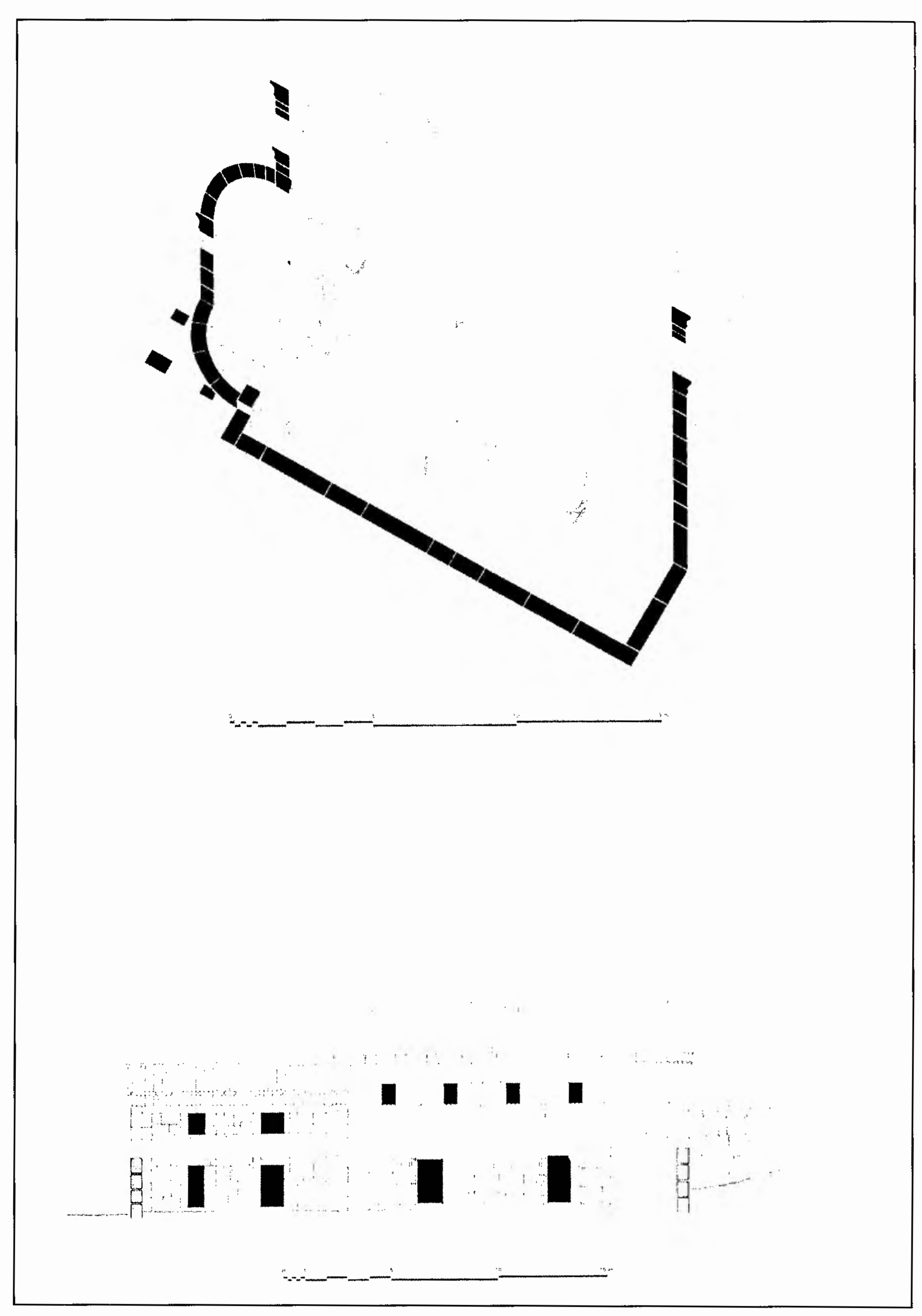
VI – دير سمعان (القرن السادس) الكنيسة ذات البهو الواحد في الدير الجنوبي من الجهة الشمالية – الشرقية و الداخل .



VII - أشكال الكنائس ذات البهو الواحد (١) كرك بيزة (٢) كفير (٣) سرجبلة .



VIII - كنيسة فافرتين (القرن السادس) من الجهة الجنوبية - الشرقية و حنيتها .

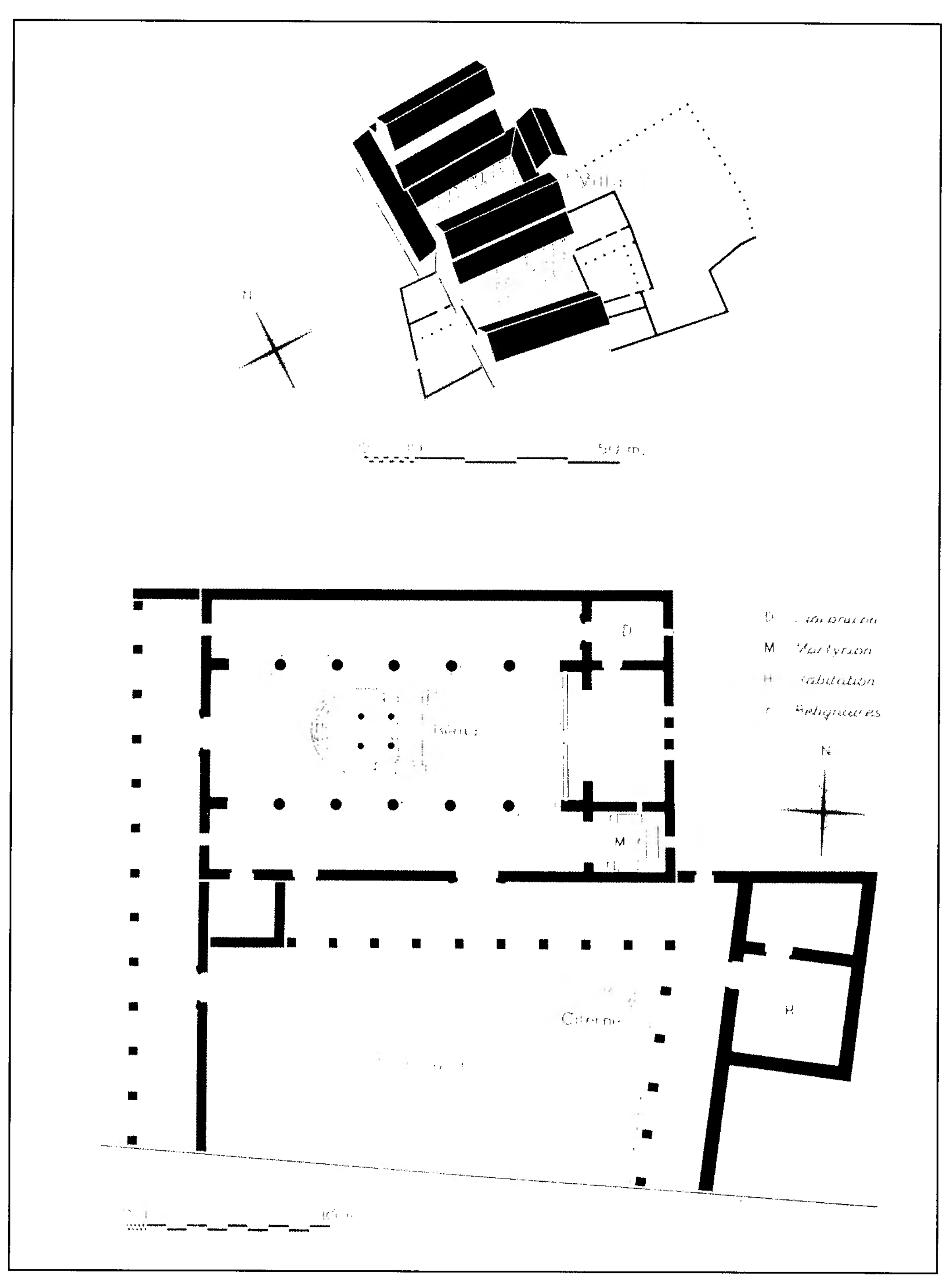


IX - كنيسة كفير (القرن الخامس) مقطع محوري و مخطط إعادة إنشاء الجبهة الجنوبية

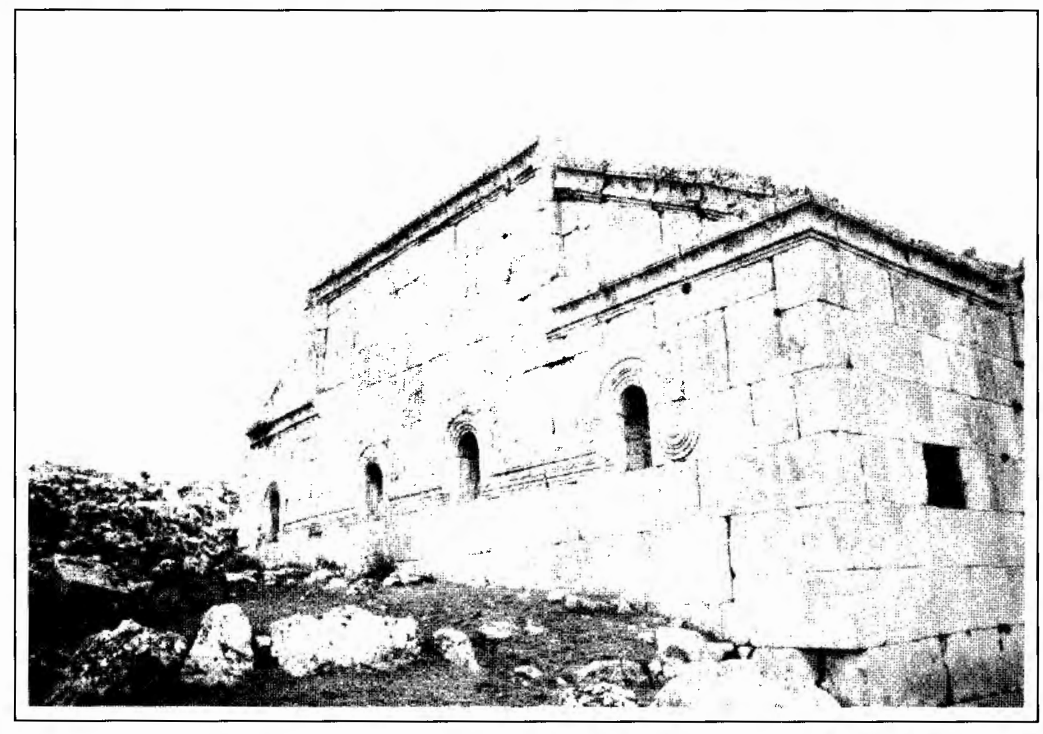
Reconstruction



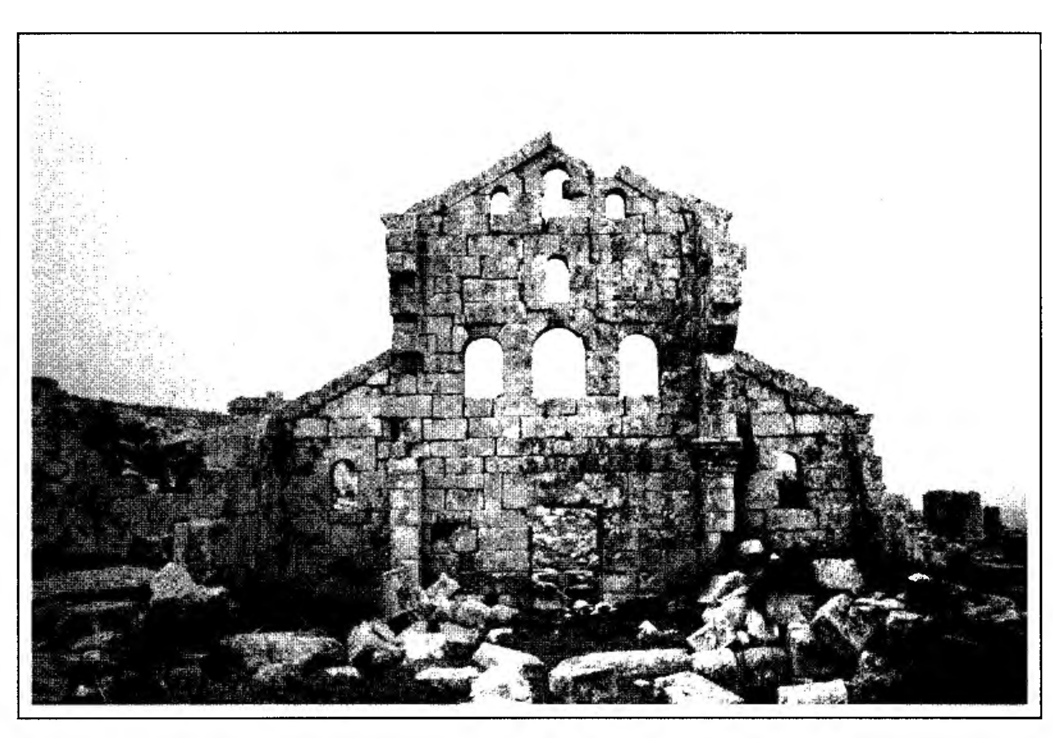
X - كنيسة بابسقا (القرن الخامس) - المدخل الرئيس .



XI - كنيسة بحيو (القرن الخامس) - إعادة إنشاء المجمّع الغربي و المخطط .



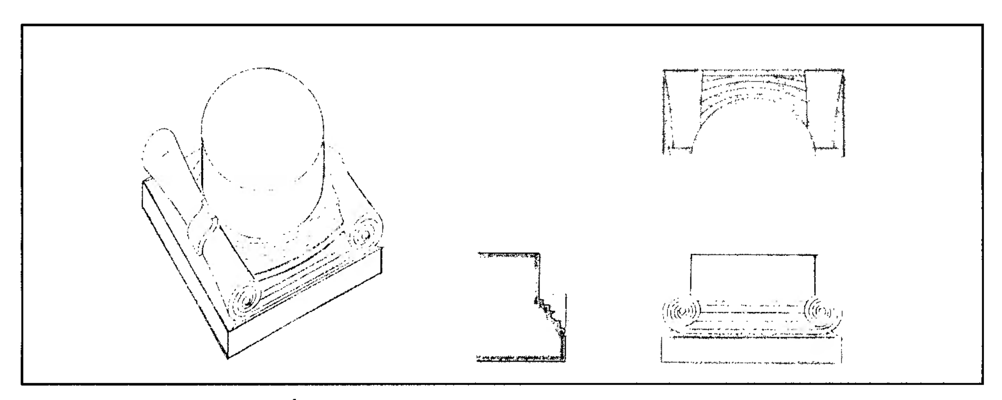
XII – كنيسة باقرحا الشرقية (٥٤٦ م) . المنظر من الجهة الجنوبية – الغربية و جبهتها الشرقية .



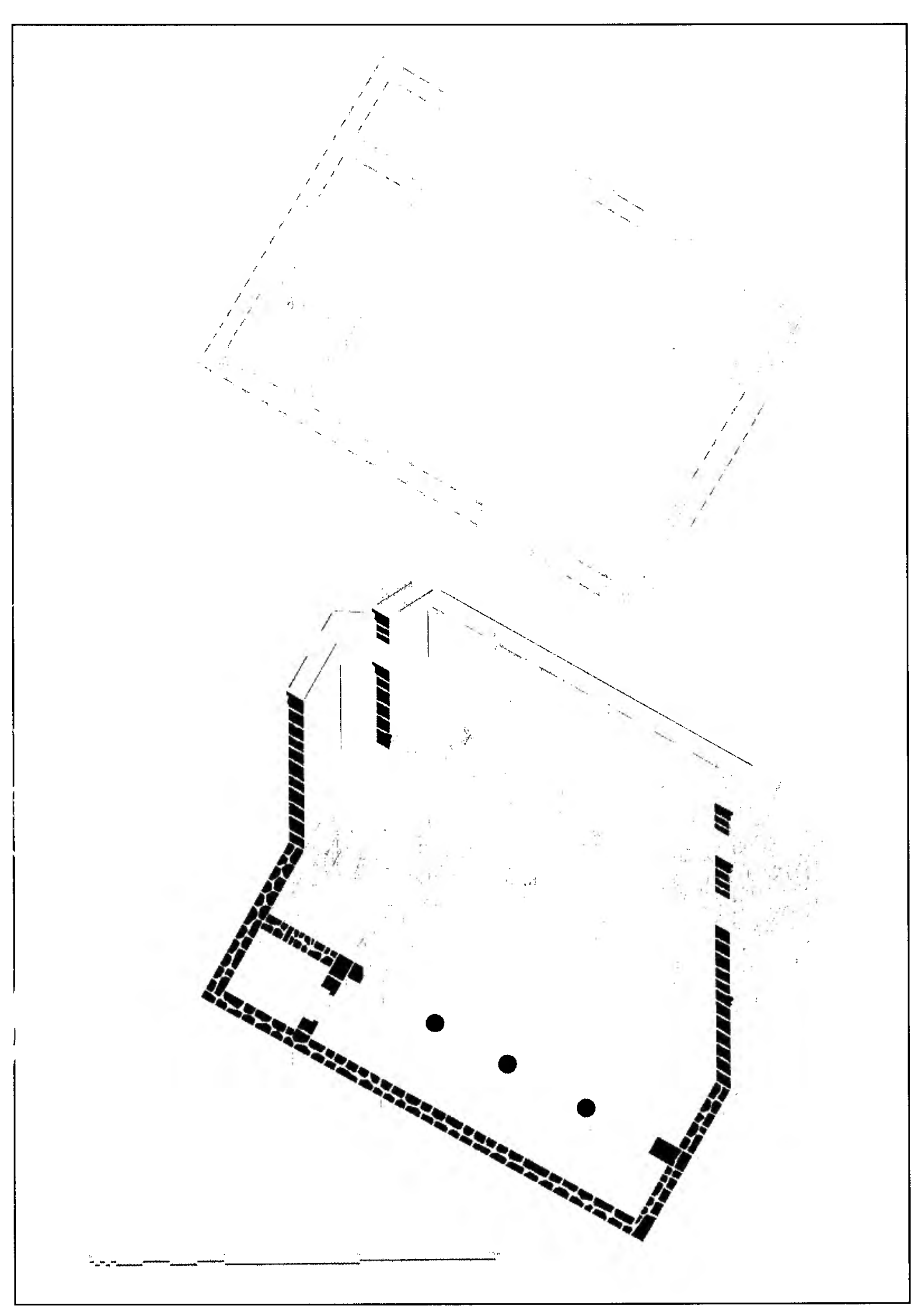
XIII - كنيسة باقرحا الشرقية من الداخل و مدخلها الرئيس الغربي .



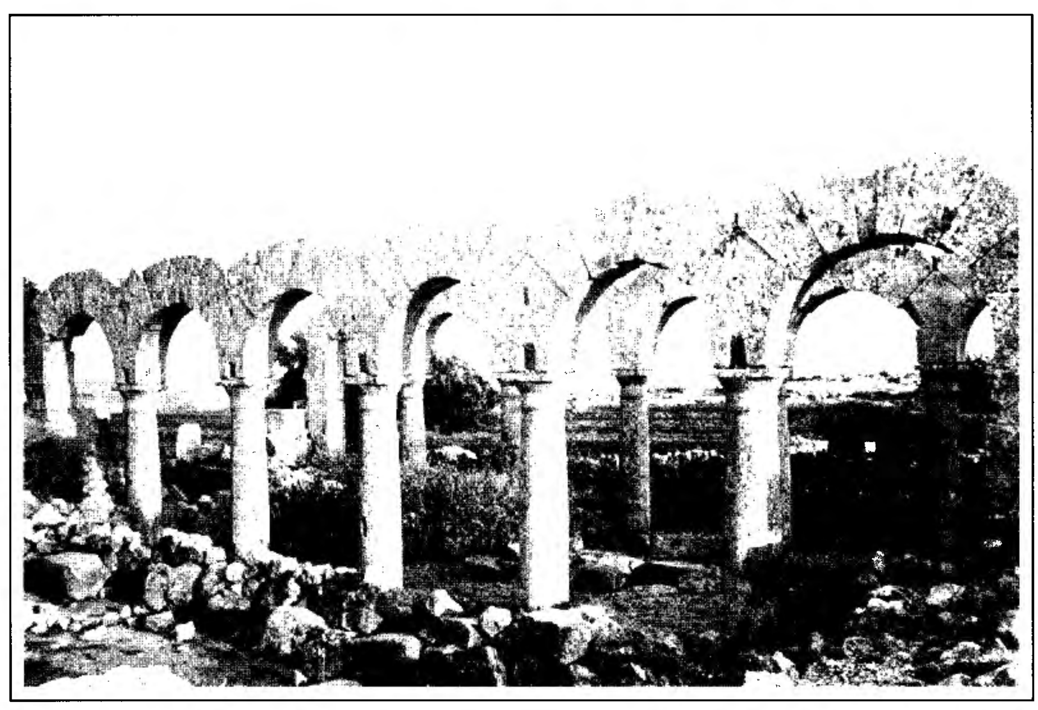
XIII - كنيسة باقرحا الشرقية من الداخل و مدخلها الرئيس الغربي .



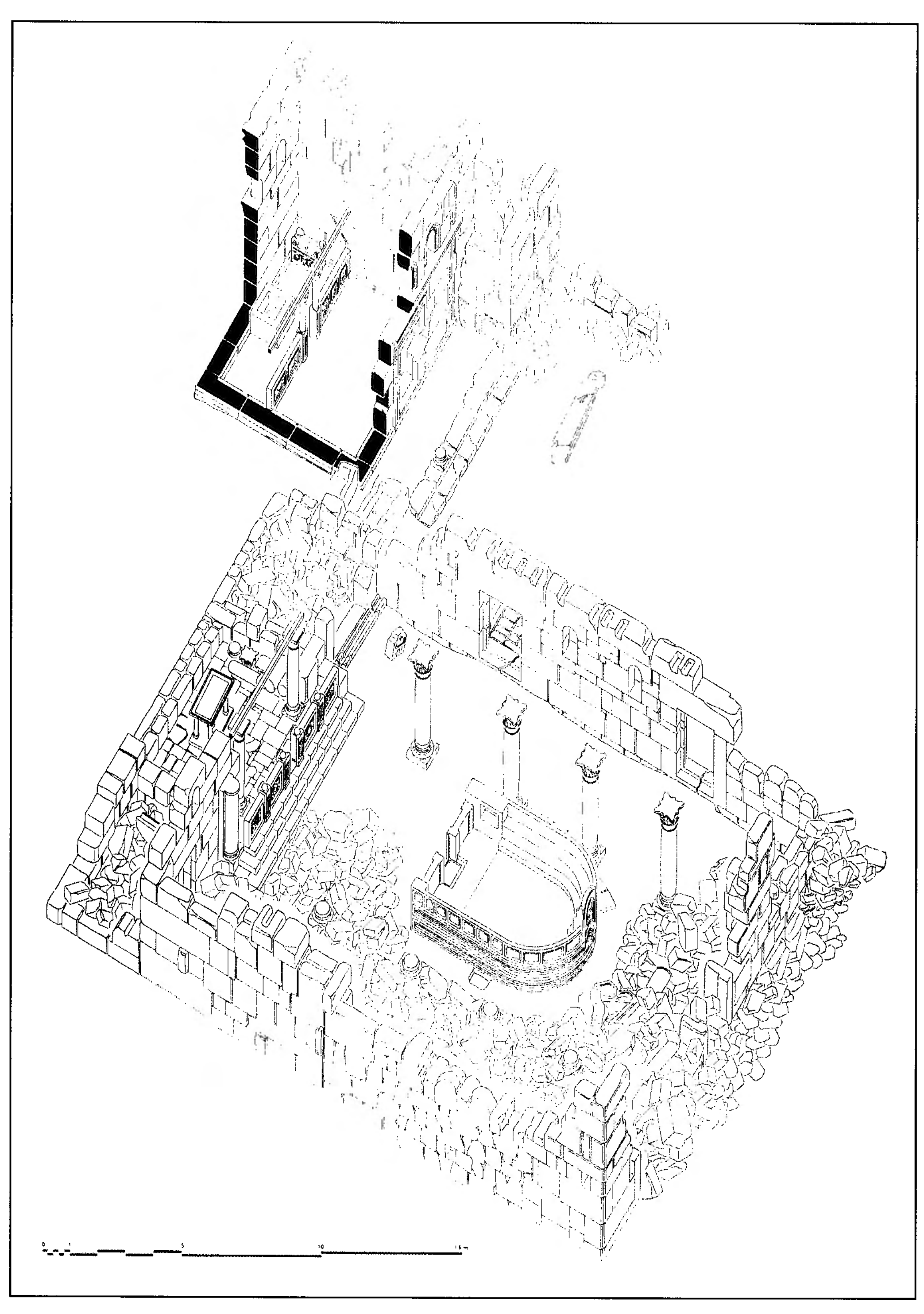
XIV - باقرحا الشرقية - المسقط و تاج سلسلة الأقواس .



XV – كنيسة بعودة (٣٩٢ م) المسقط و إعادةالإنشاء .



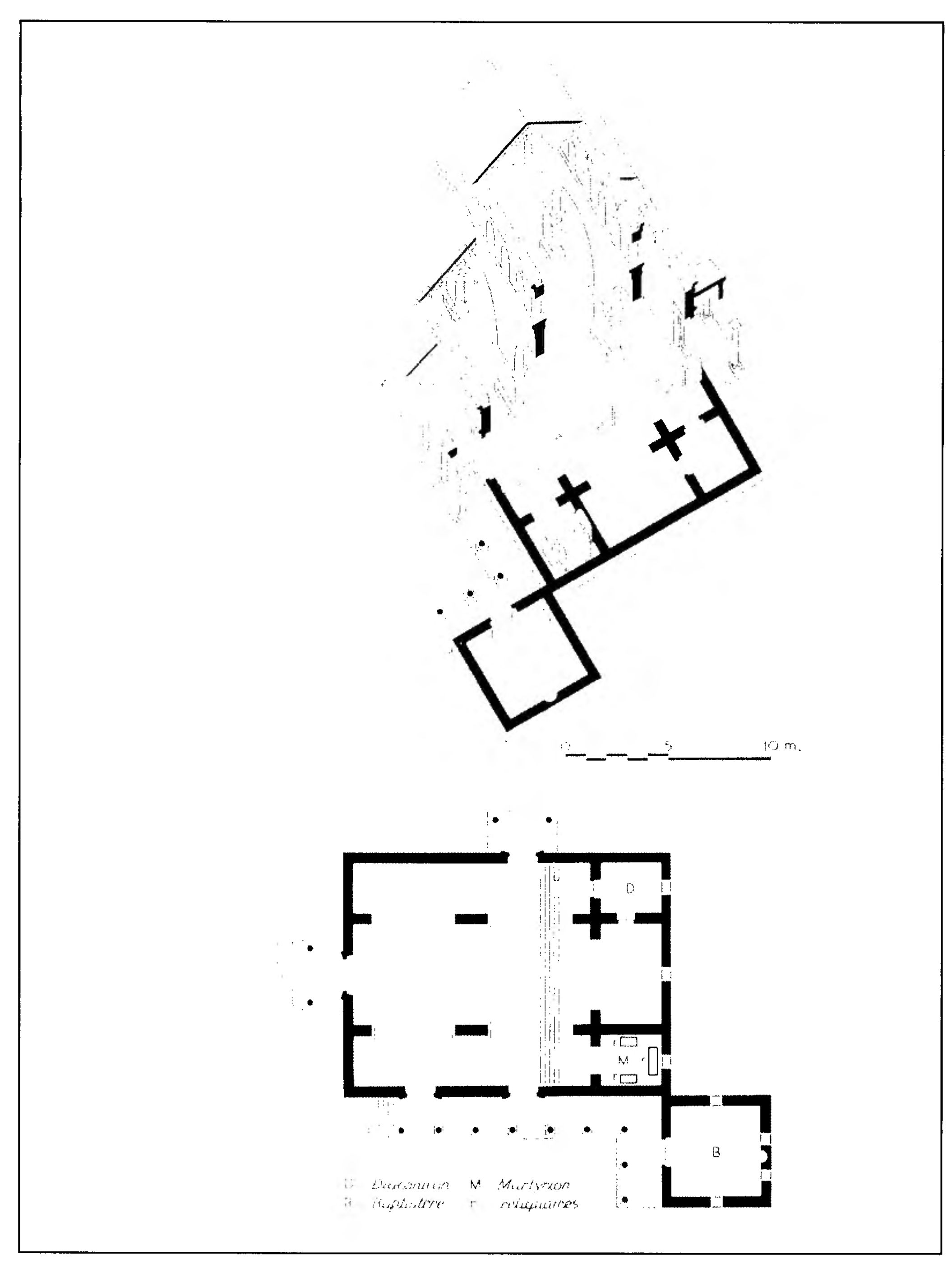
XVI - كنيسة برج حيدر (القرن الرابع) - البهو الأوسط ووضعها الحالي .



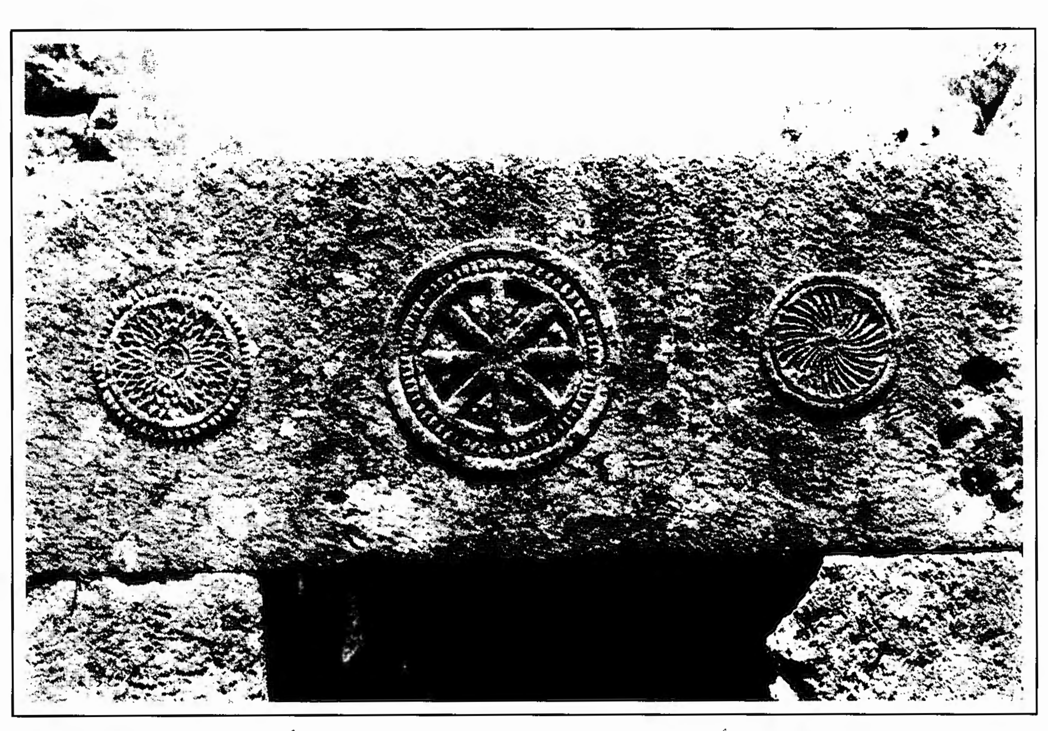
XVII - كنيسة داحس (القرن الخامس) - الشكل العام .



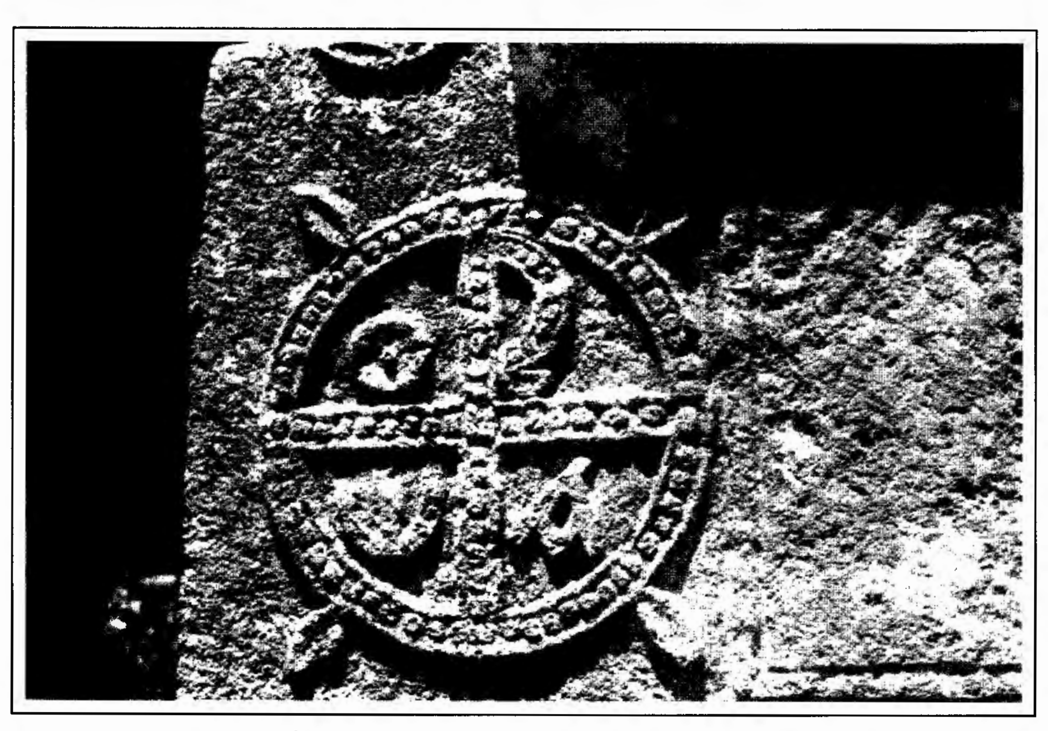
XVIII - داحس و المعمودية من الجهة الجنوبية - الغربية و قسم من المداخل الغربي الرئيس .



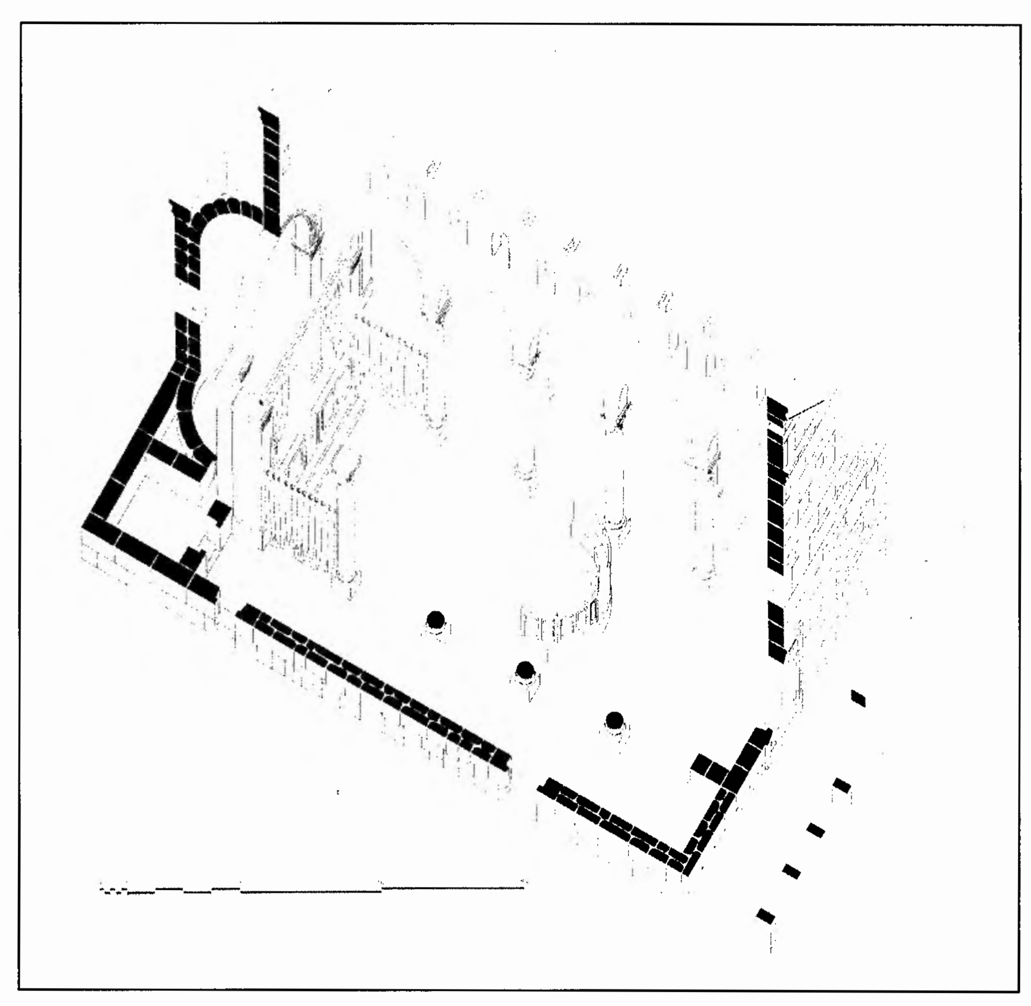
XIX - كنيسة باموقا (حوالي ٦٠٠ م) المسقط و إعادة الإنشاء .



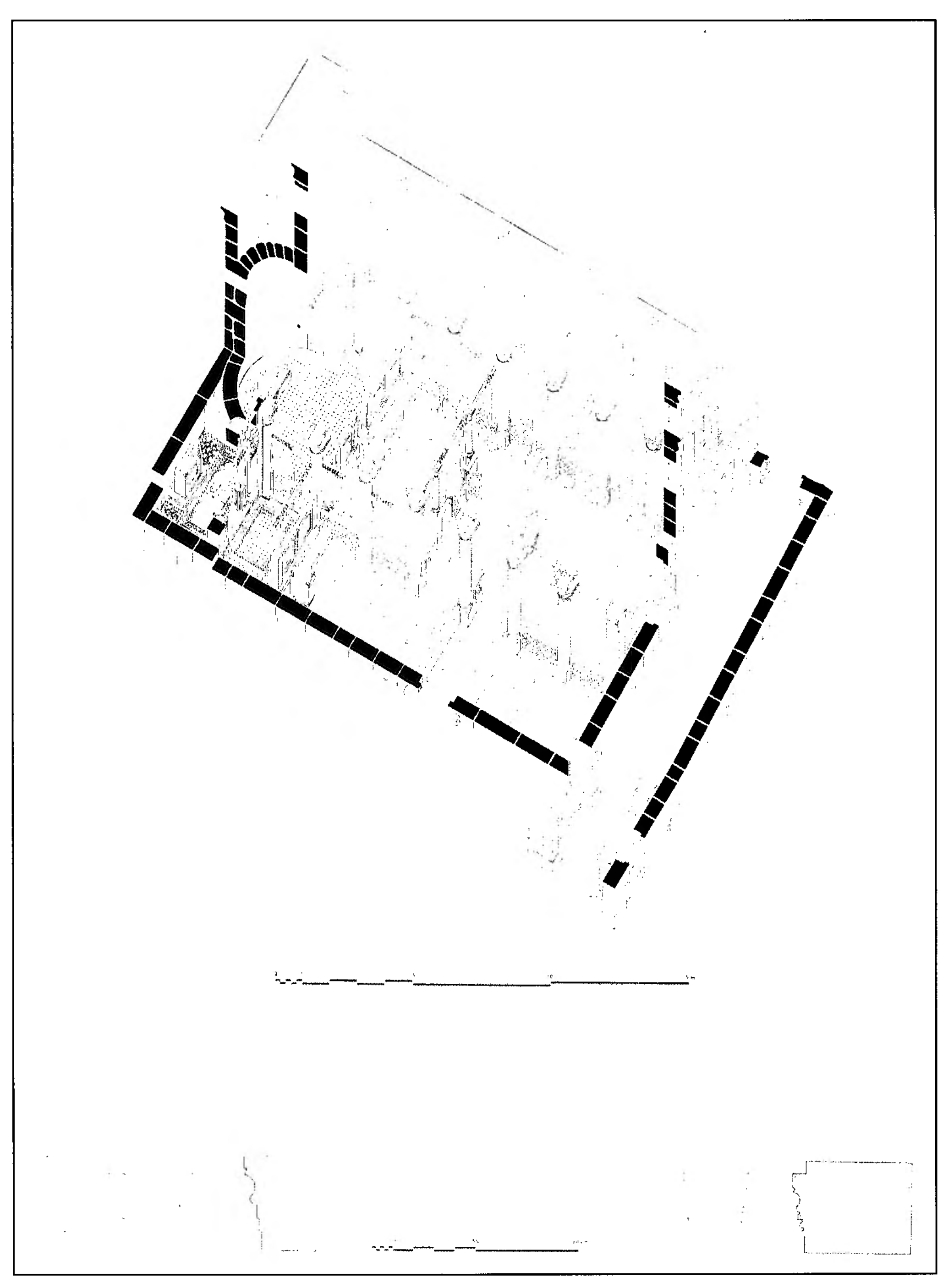
XX - بعض الأشكال الزخرفية في الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة .



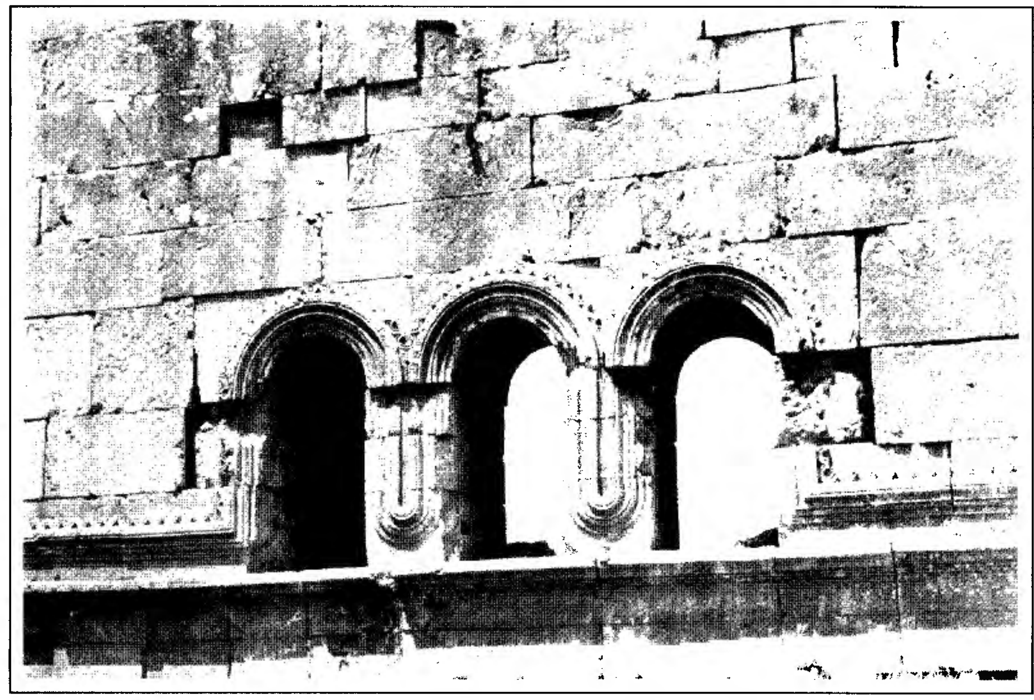
XX – بعض الأشكال الزخرفية في الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة .



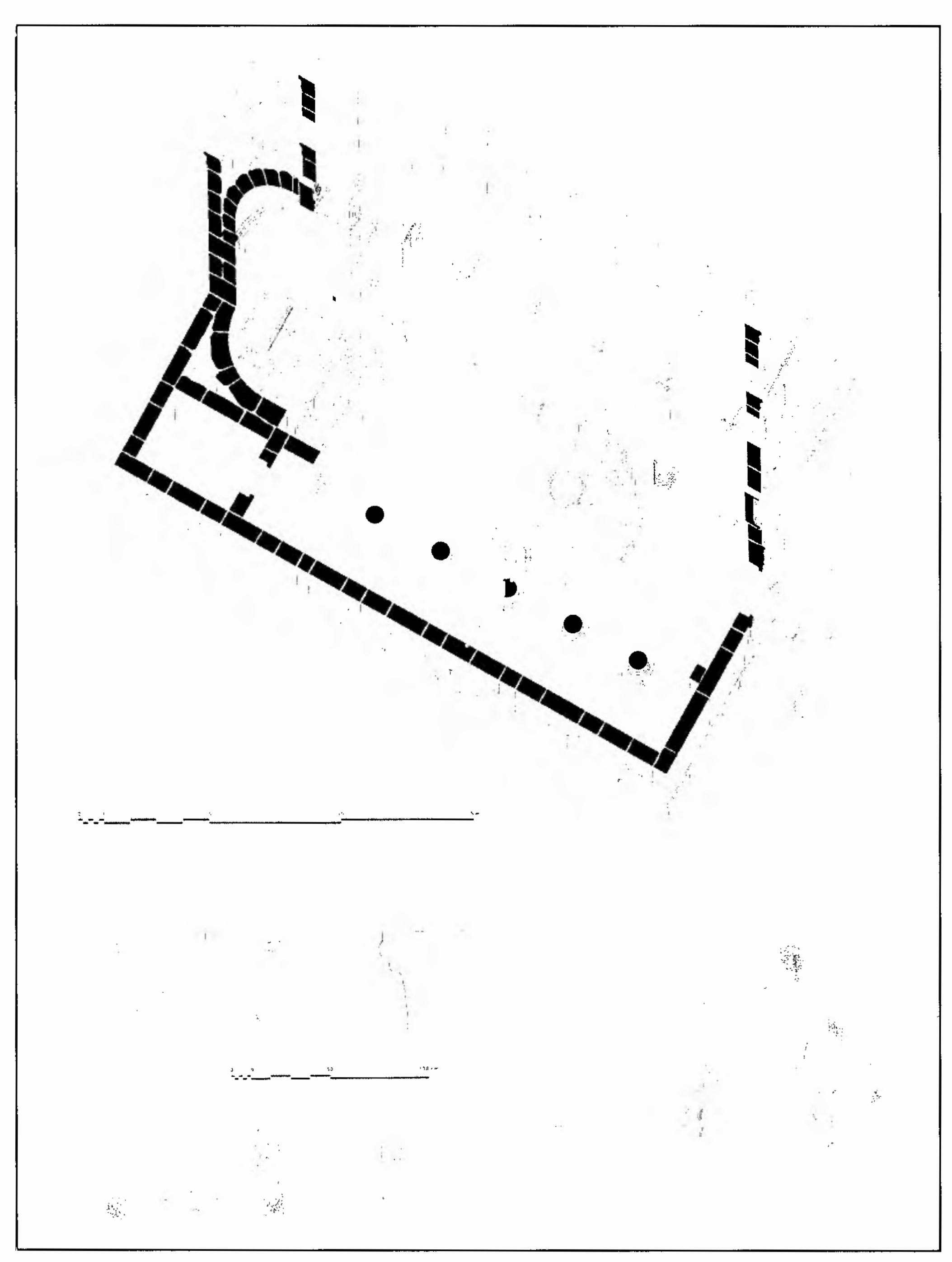
XXI - كنيسة خرّاب شمس (القرن الرابع) - إعادة إنشاء .



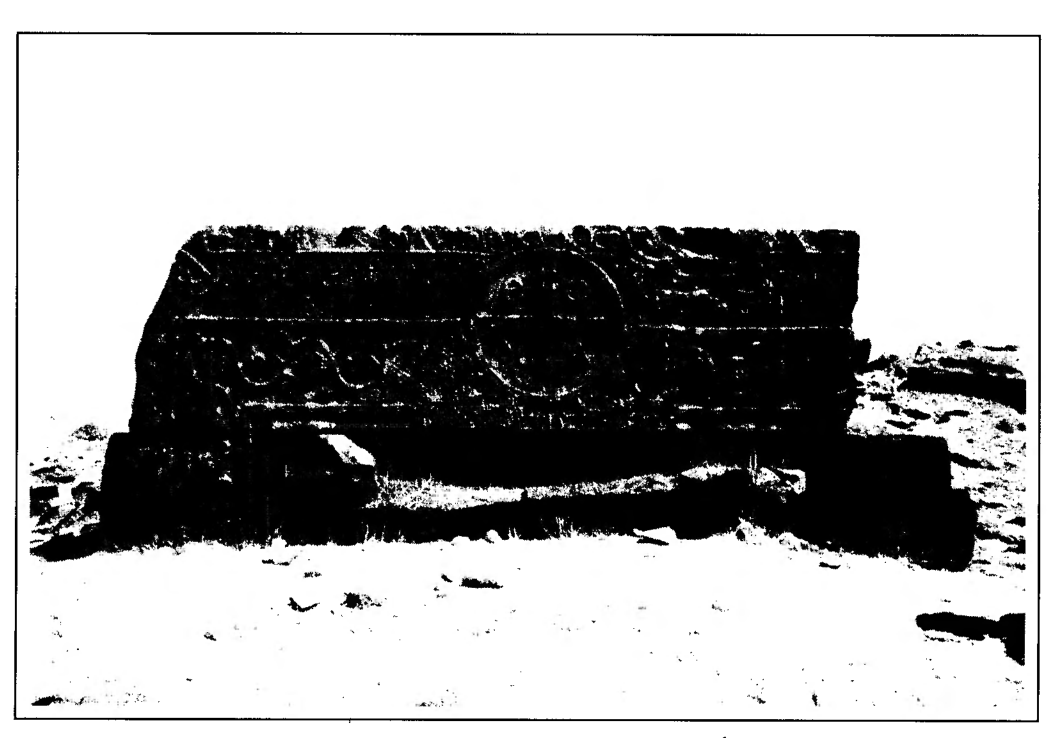
XXII – كنيسة جرادة (القرن الخامس) إعادة إنشاء و تاج العامود الجداري .



XXIII - كنيسة ماعز الشرقية (القرن السادس) الجبهة الشرقية و شباك الحنية .



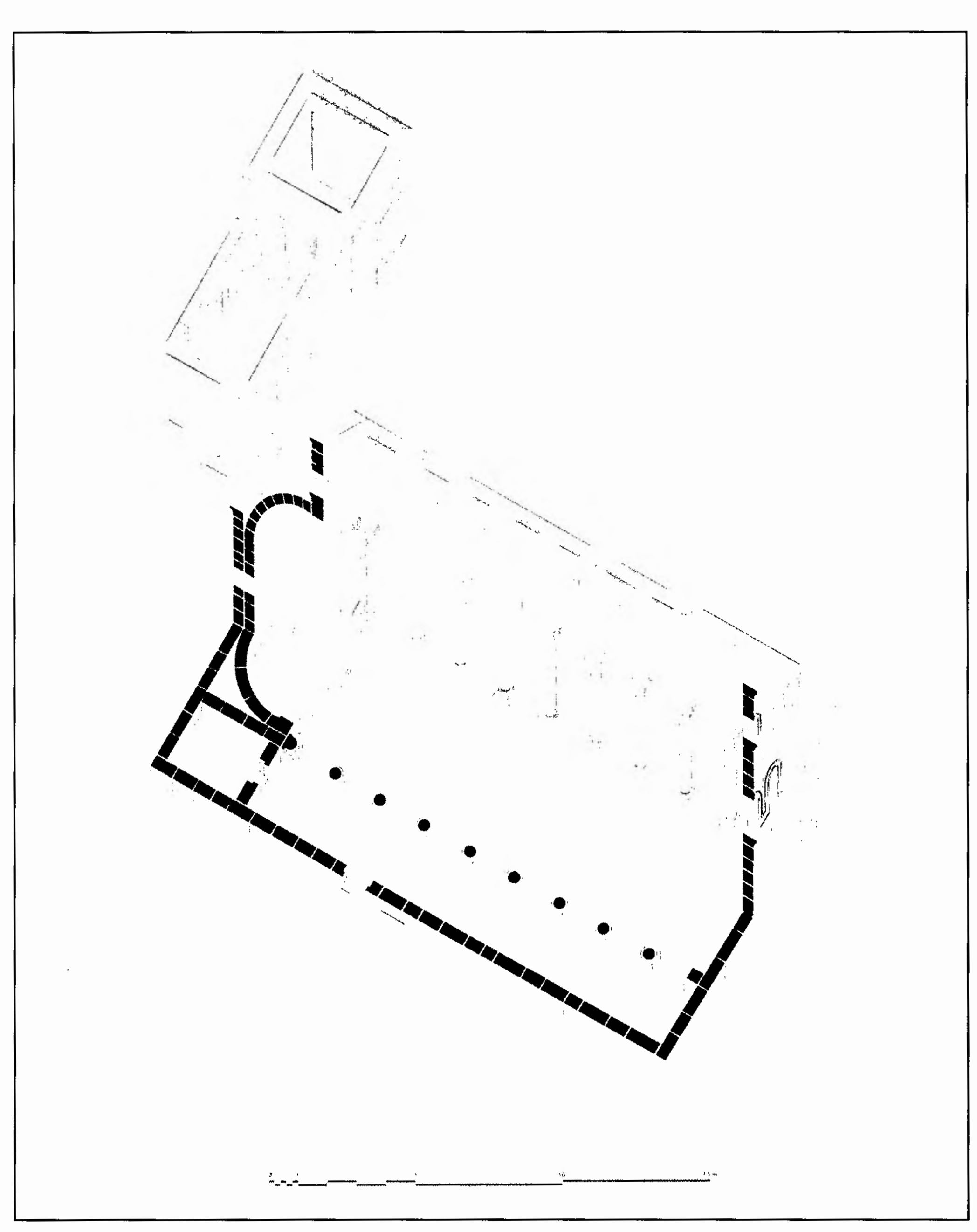
XI – كنيسة سر جبلة (القرن الخامس) – إعادة إنشاء و تاج سلسلة الأقواس .



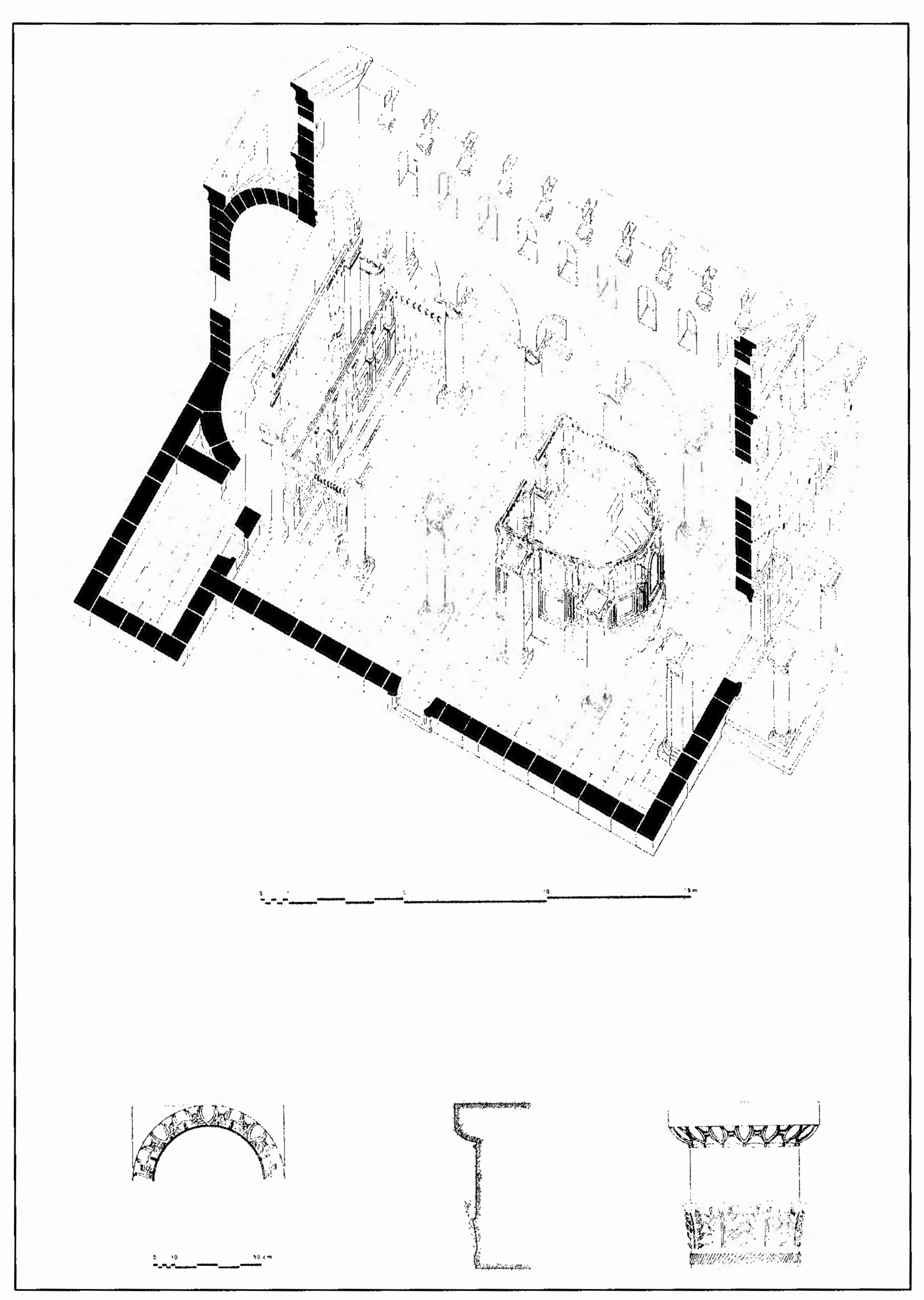
XXV – كنيسة الأندرين (القرن السادس) . ساكف المدخل الغربي و زخارفه .



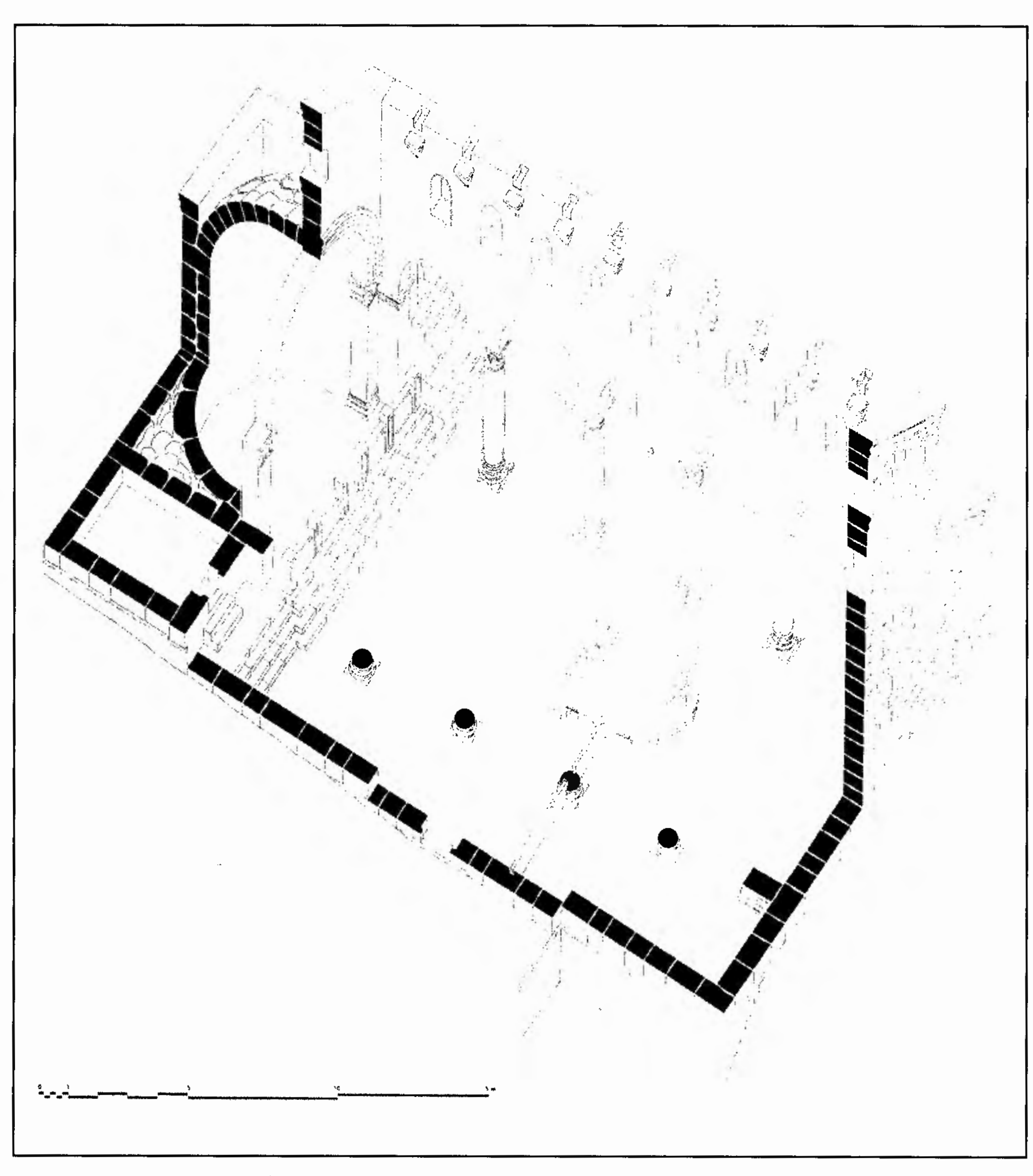
XXV – كنيسة الأندرين (القرن السادس) . ساكف المدخل الغربي و زخارفه .



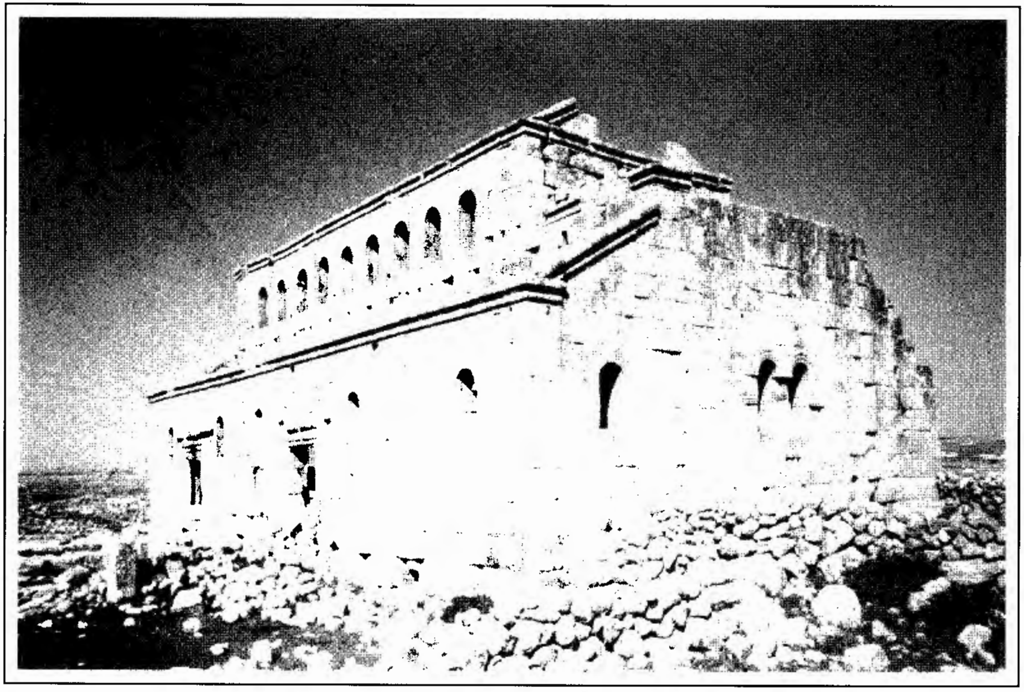
XXVI - كنيسة سرفود (القرن الخامس) .إعادة إنشاء .



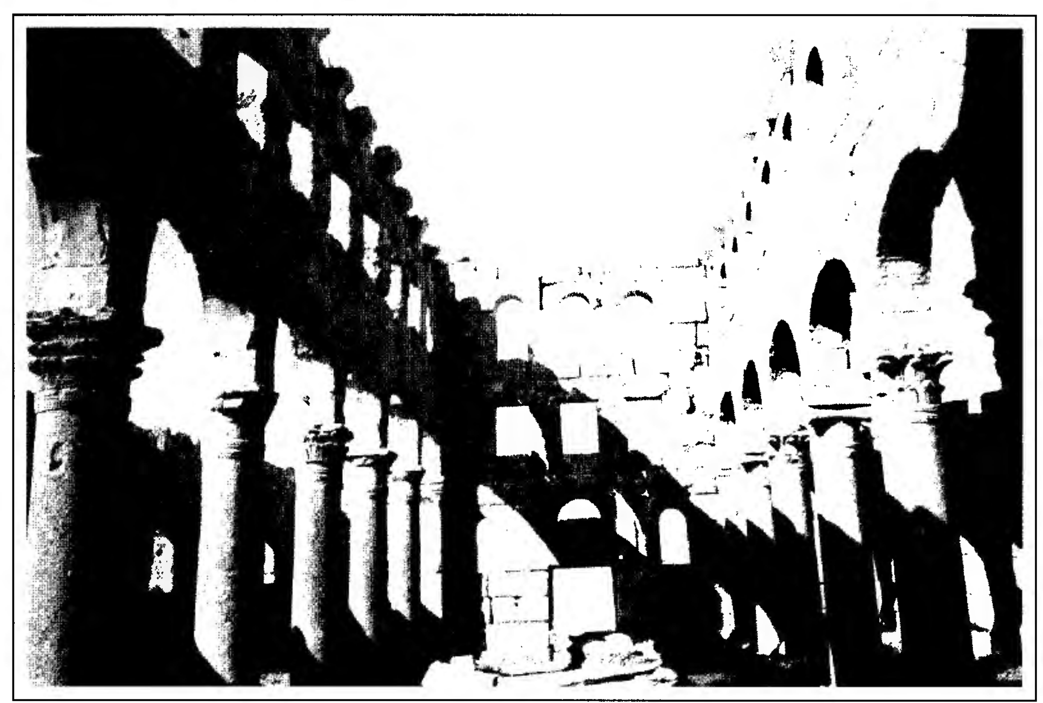
XXVII - كنيسة كالوتا (٤٩٢ م) إعادة إنشاء و تاج سلسلة الأقواس .



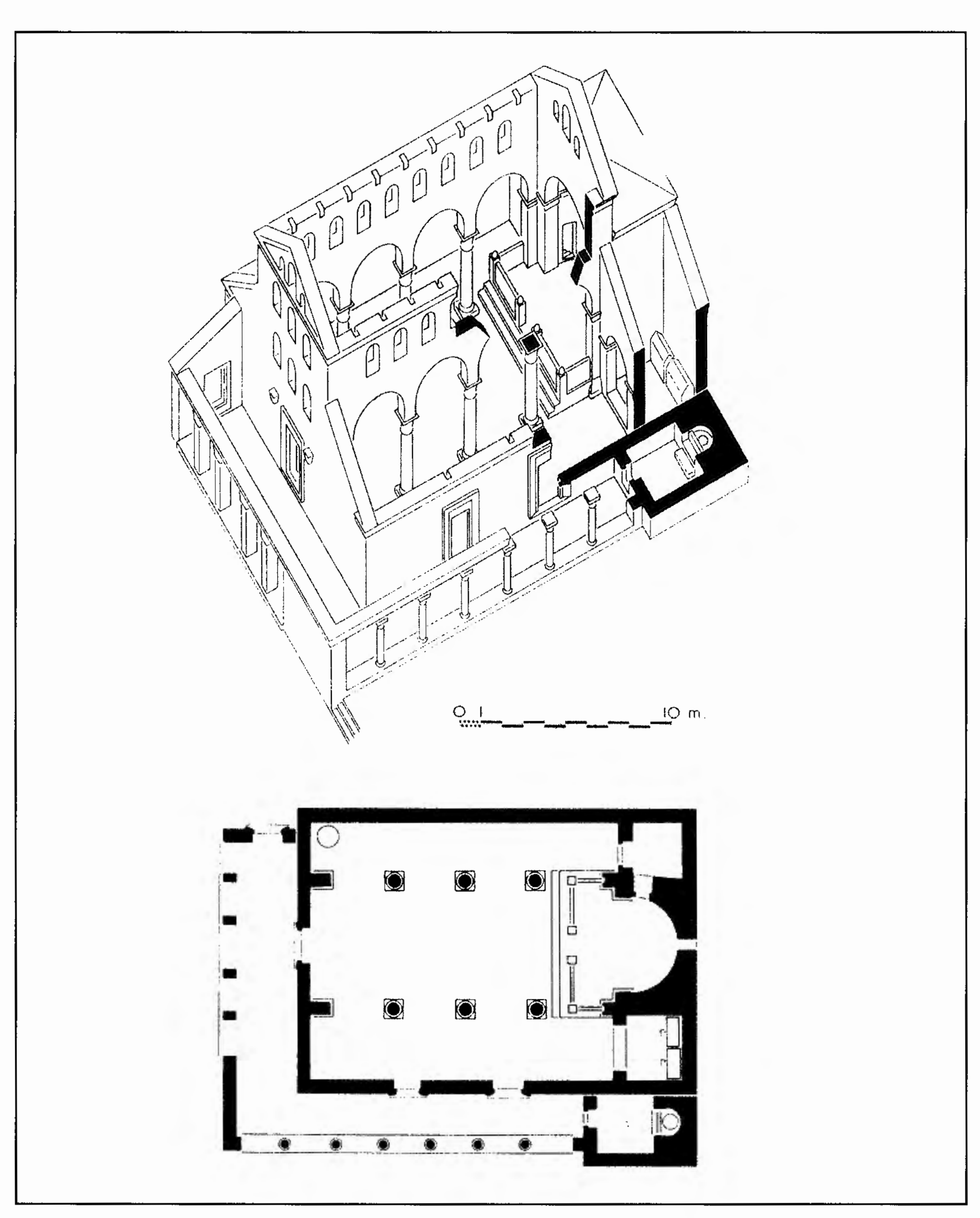
XXVIII - كنيسة دير قيتا (القديس بطرس و موسى - ٤١٨ م) إعادة إنشاء .



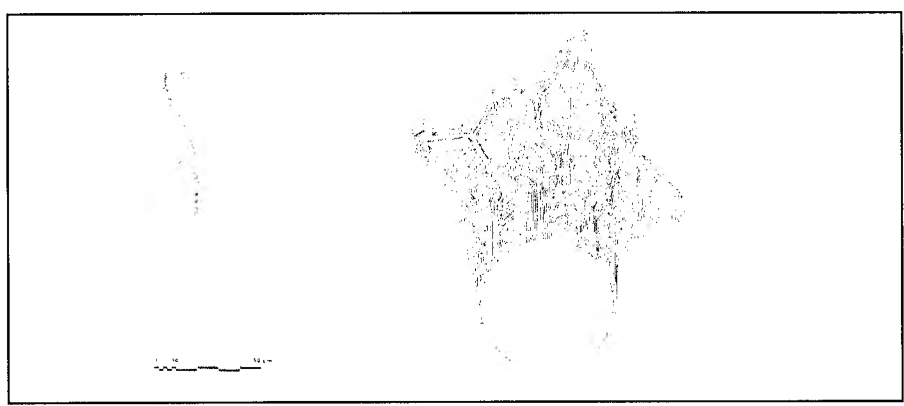
XXIX – كنيسة المشبّك (القرن الخامس) الشكل من الجهة الشمالية – الشرقية و الجنوبية – الغربية .



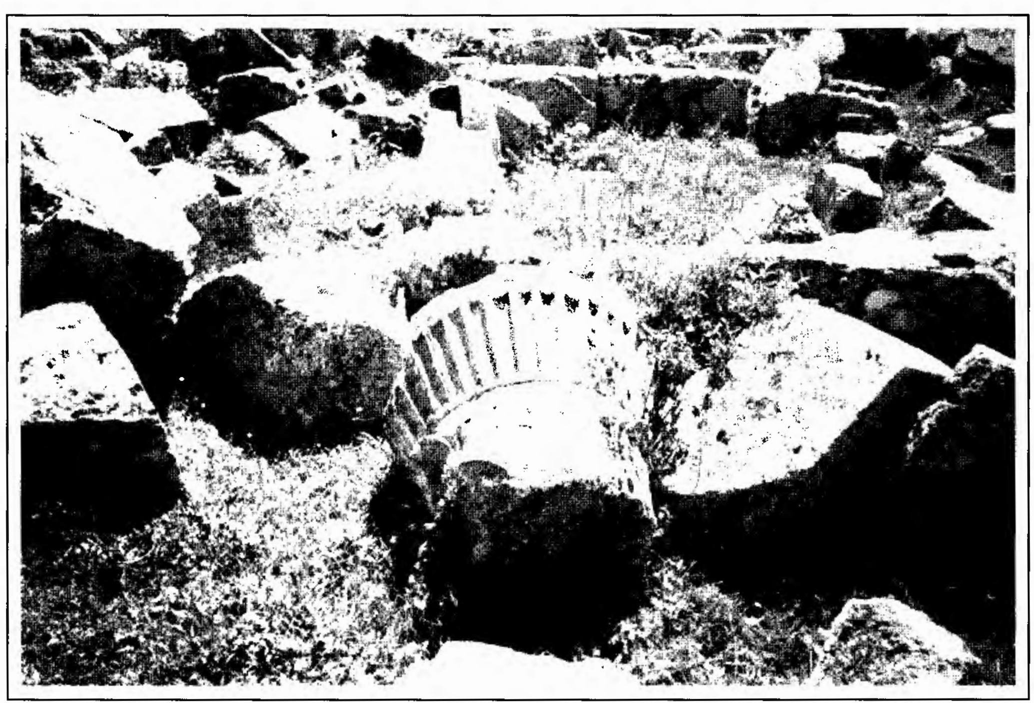
XXX – المشبك . سلسلة الأقواس الشمالية و الشكل من الداخل .



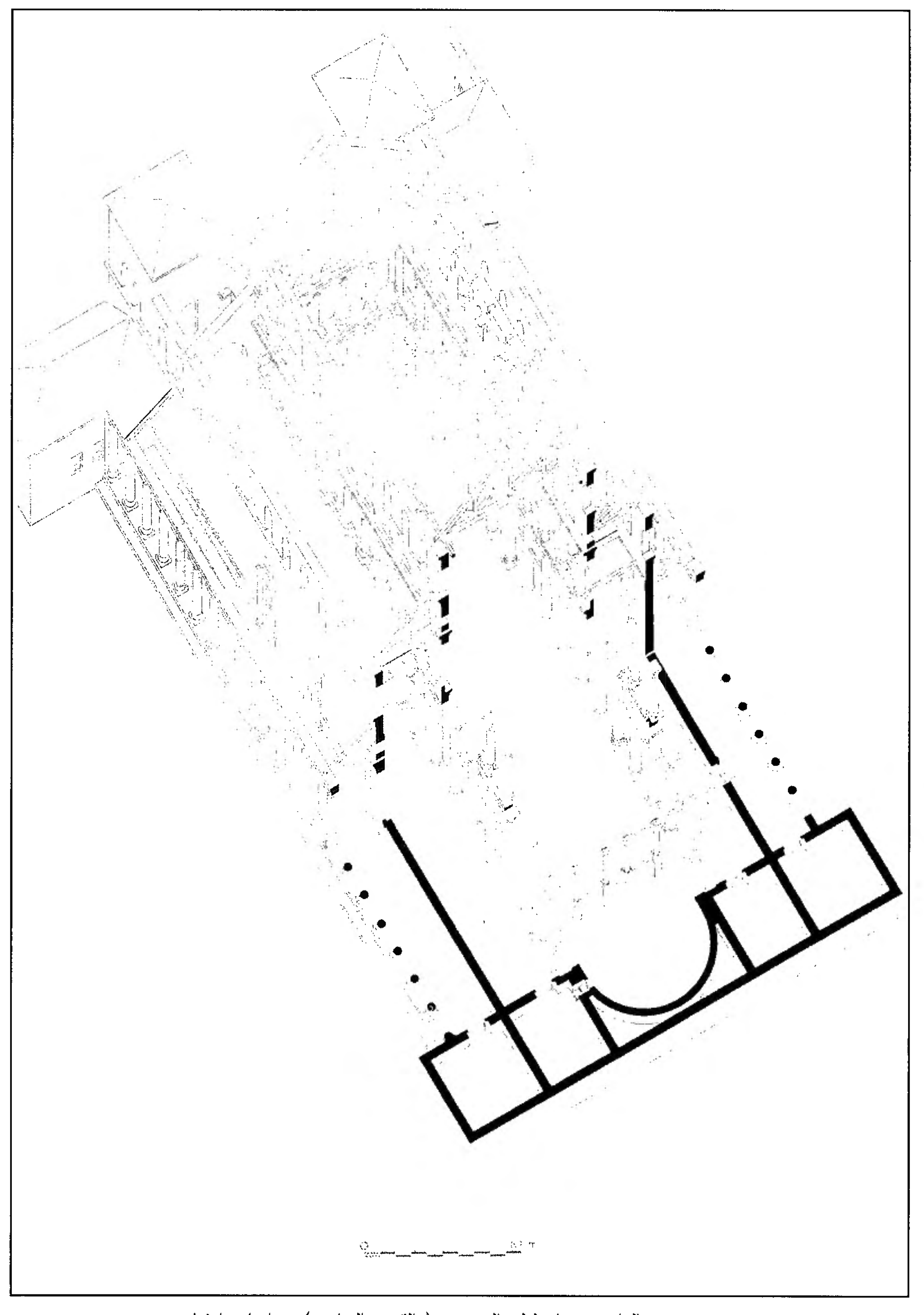
XXXI - كنيسة تقلا (القرن الخامس) إعادة إنشاء و مسقط .



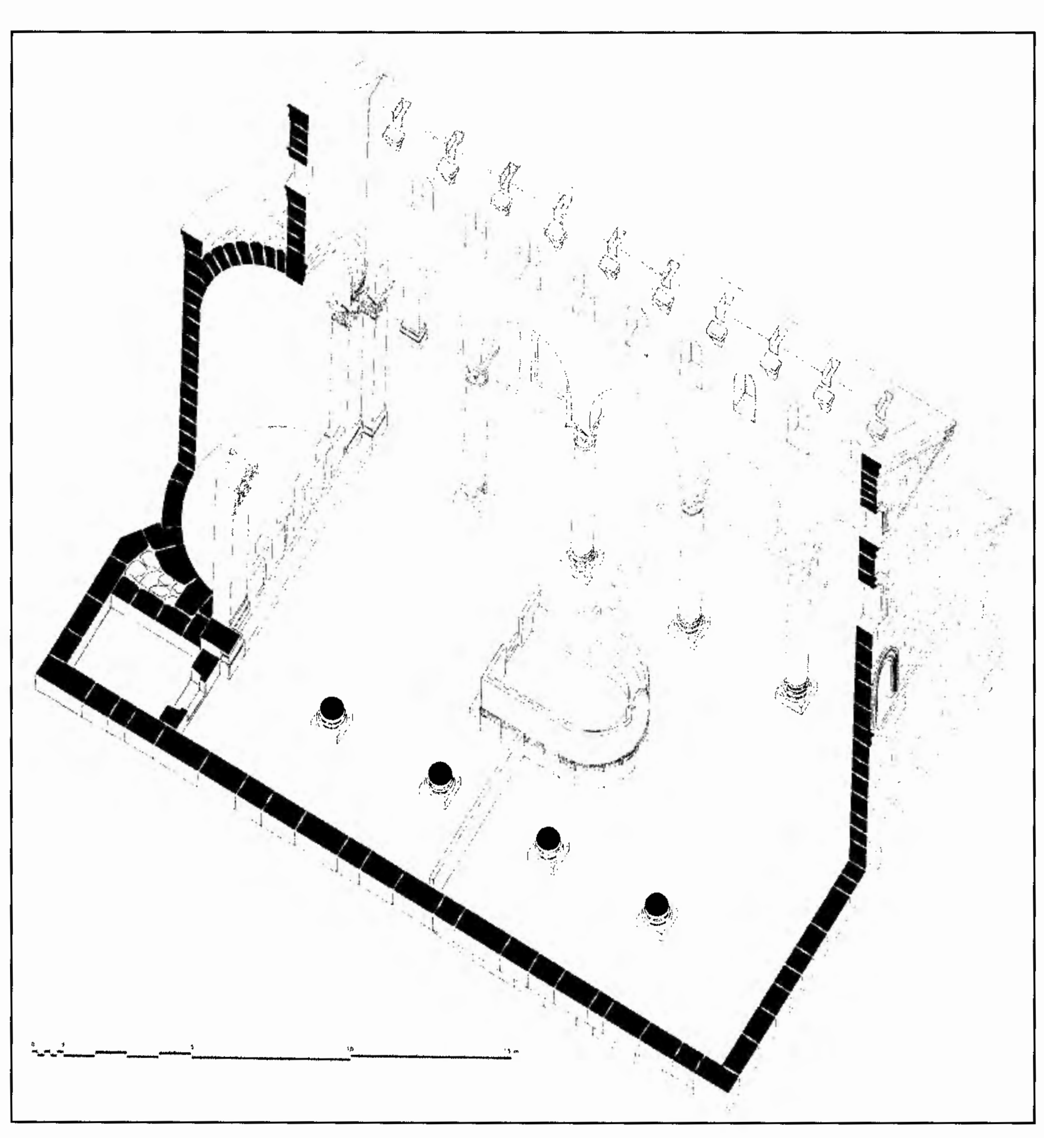
XXXII - براد - بازيليك جوليانوس - (٣٩٩ - ٤٠٢) - المسقط و تاج سلسلة الأعمدة .



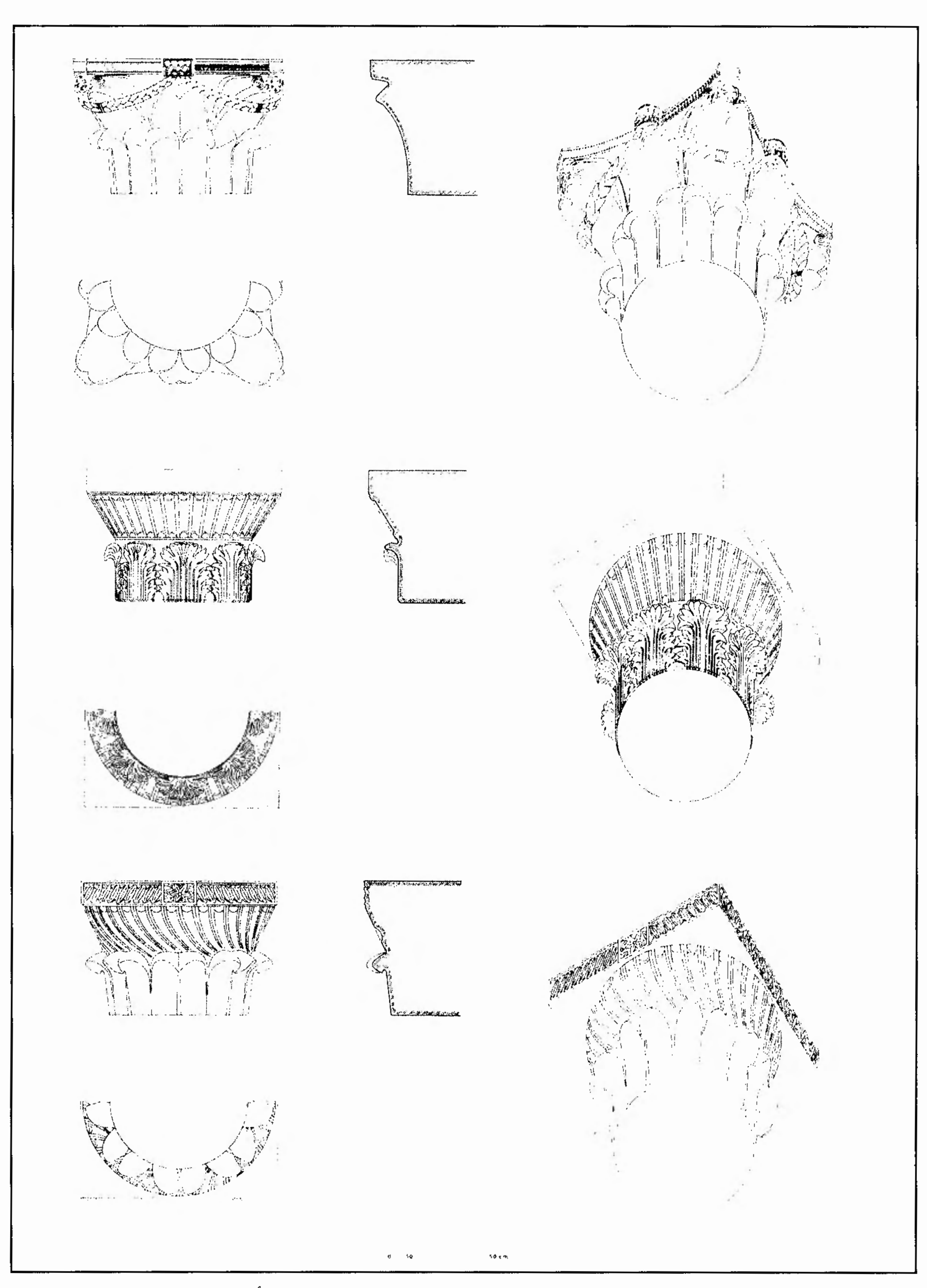
XXXIII - براد - الجبهة الغربية و التاج .



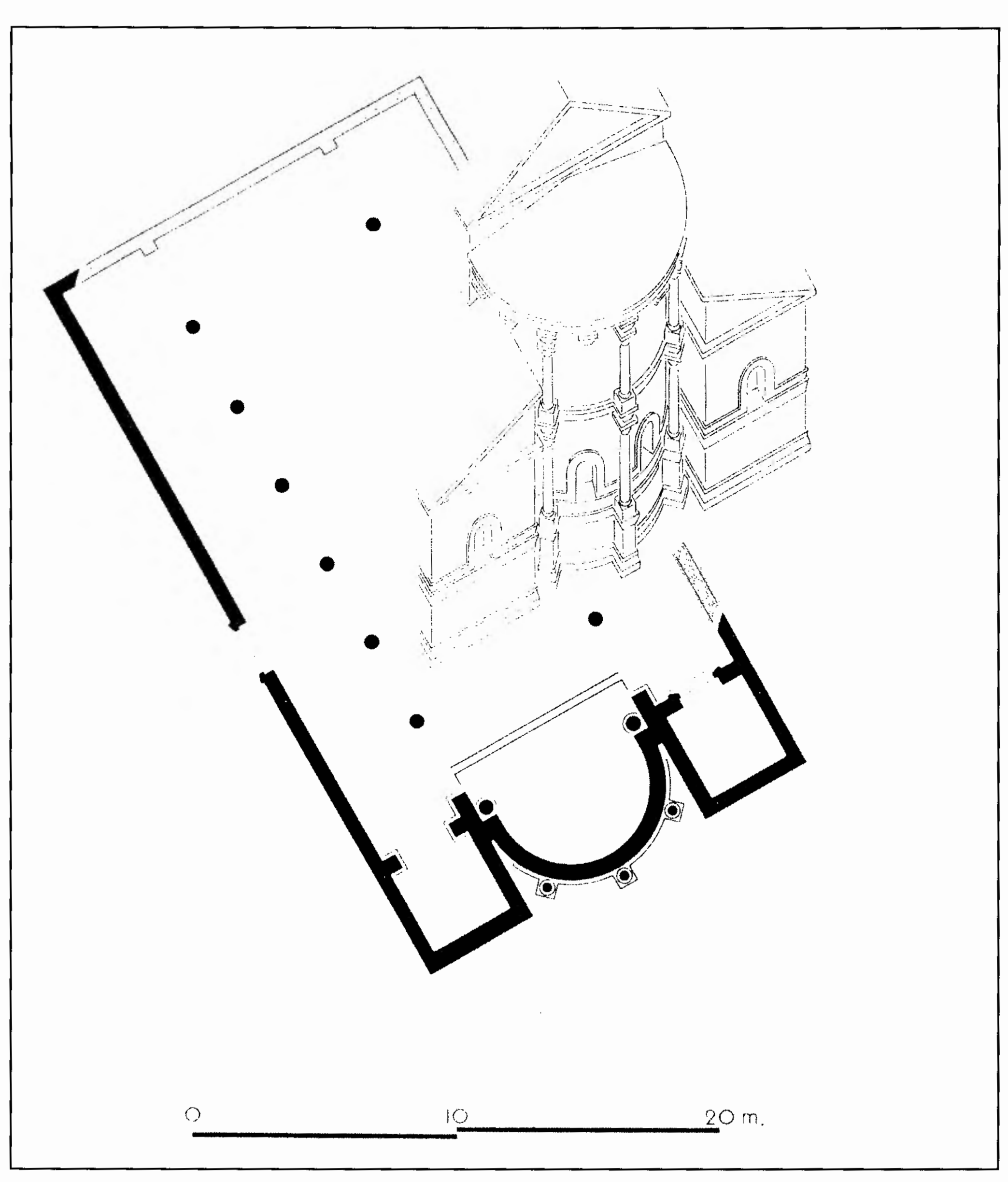
XXXIV - البارة - بازيليك الحصن (القرن الرابع) - إعادة إنشاء .



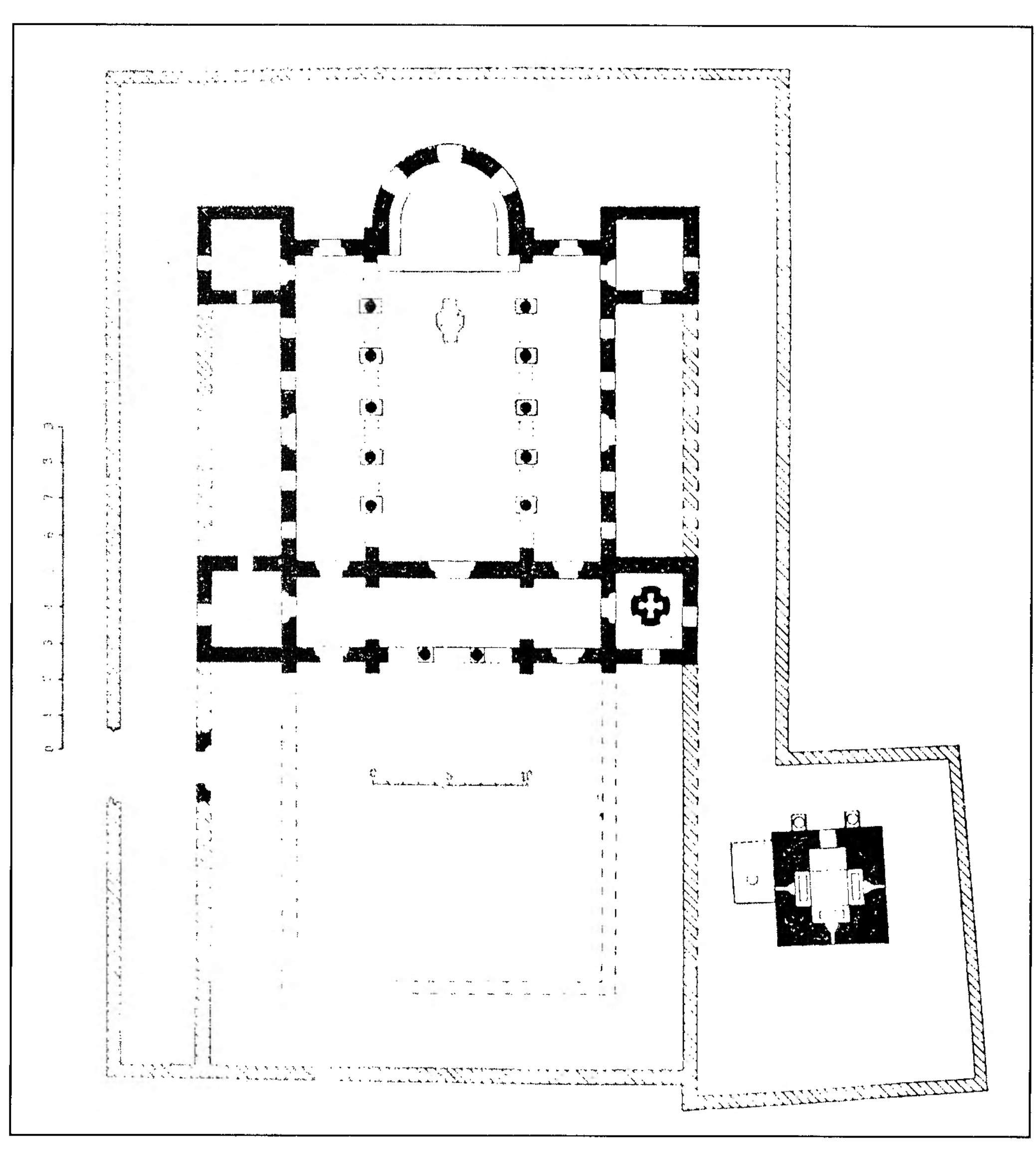
XXXV – بابسقا – الكنيسة الشرقية (٣٩٠ – ٤٠٧ م) إعادة إنشاء .



XXXVI - بابسقا - الكنيسة الشرقية - تيجان سلسلة الأقواس .



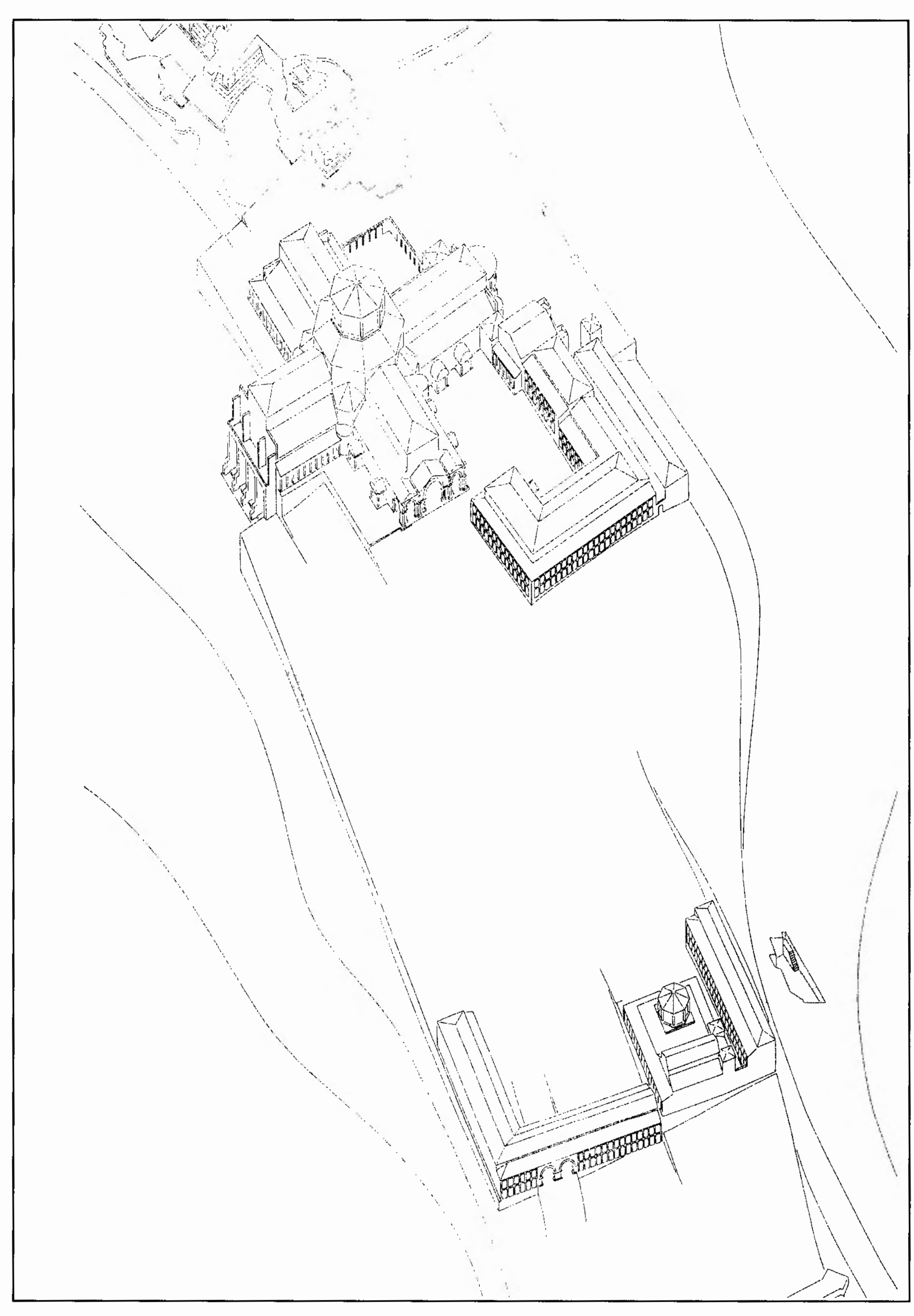
XXXVII - باصوفان - كنيسة القديس فوكاس (٤٩١ - ٤٩٢ م) إعادة إنشاء الجبهة الشرقية و المسقط .



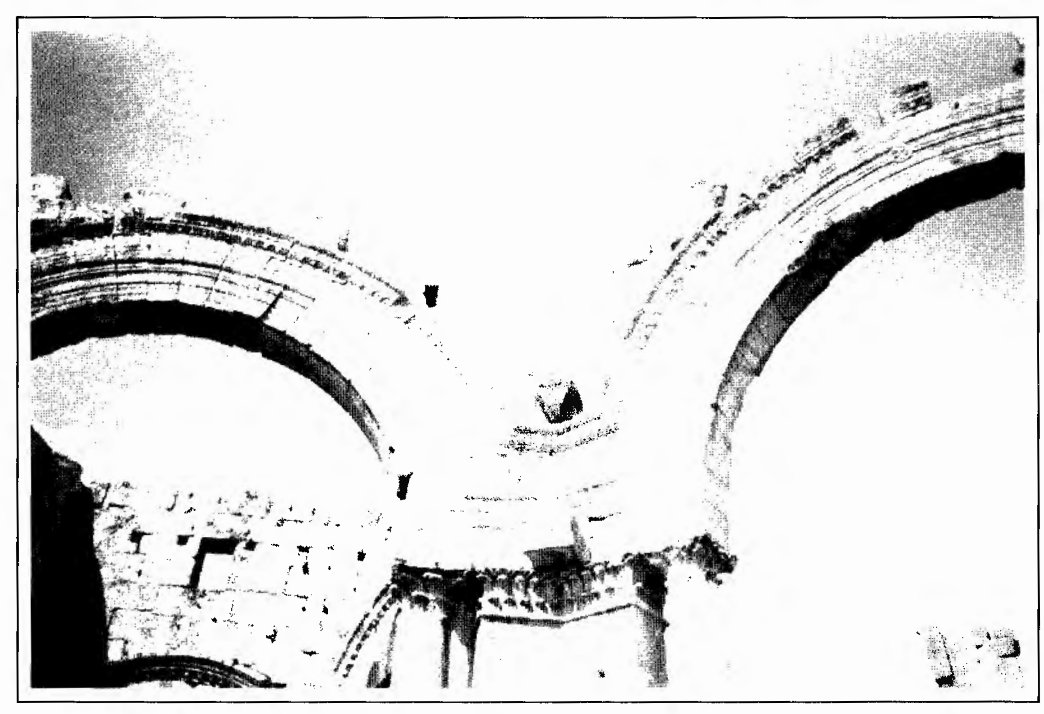
XXXVIII- دير الصليب - الكنيسة الرئيسة (القرن الخامس) . المسقط .



XXXIX – دير الصليب – الكنيسة الرئيسة المنظر من الجهة الجنوبية و حنية الكنيسة .



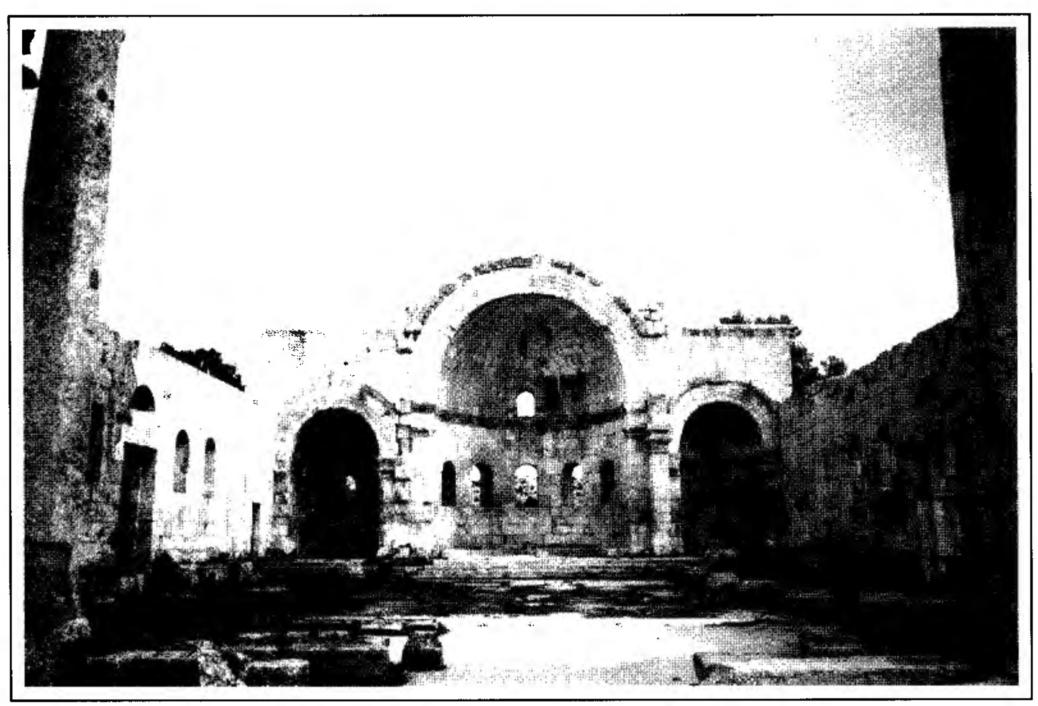
XL - قلعة سمعان. (القرن ٥ - ٦ م) إعادة إنشاء المجمّع .



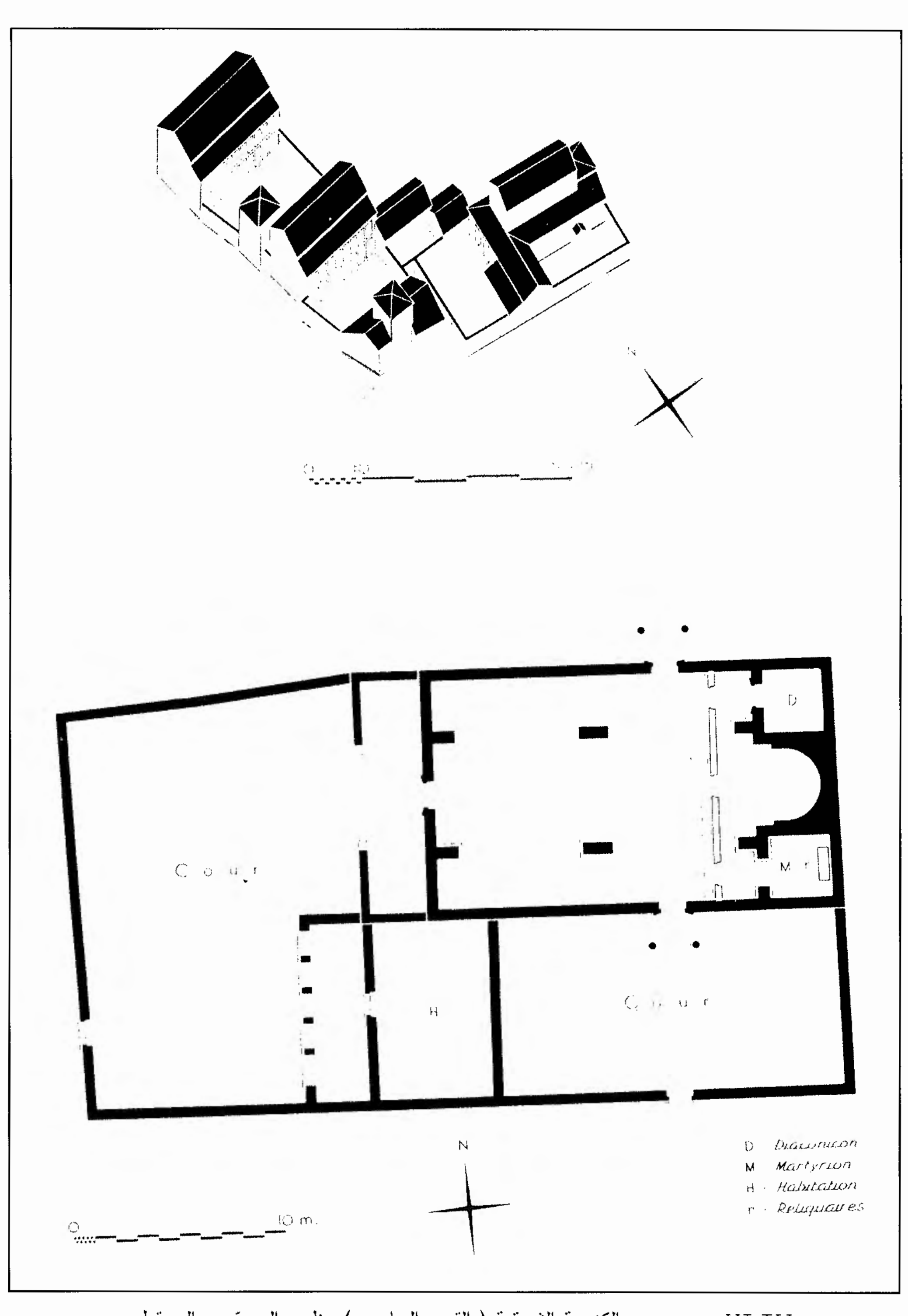
XLI – قلعة سمعان. المنظر من الجهة الجنوبية و الزاوية الجنوبية – الشرقية للمثمّن .



XLII - قلعة سمعان – كنيسة القديس سمعان البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة من الجهة الجنوبية و مقطع من المدخل الرئيس .



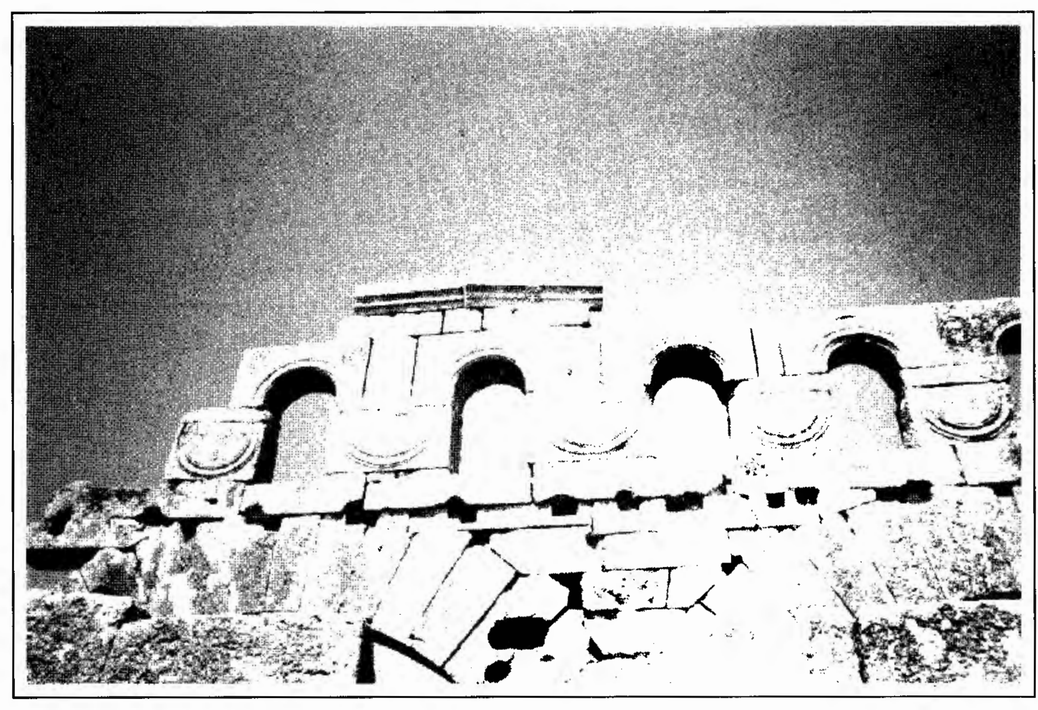
XLIII - قلعة سمعان - الحنية الشمالية الصغيرة لكنيسة سمعان . و المظهر الداخلي للكنيسة .



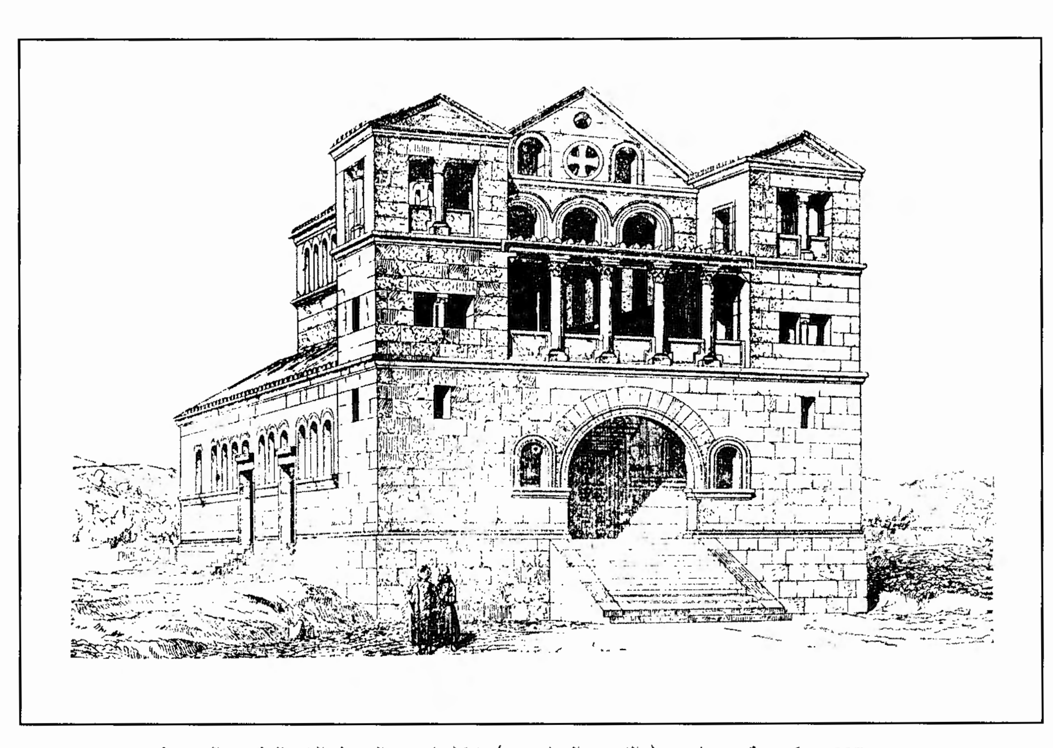
XLIV - بحيو - الكنيسة الشرقية (القرن السادس) مظهر المجمّع و المسقط .



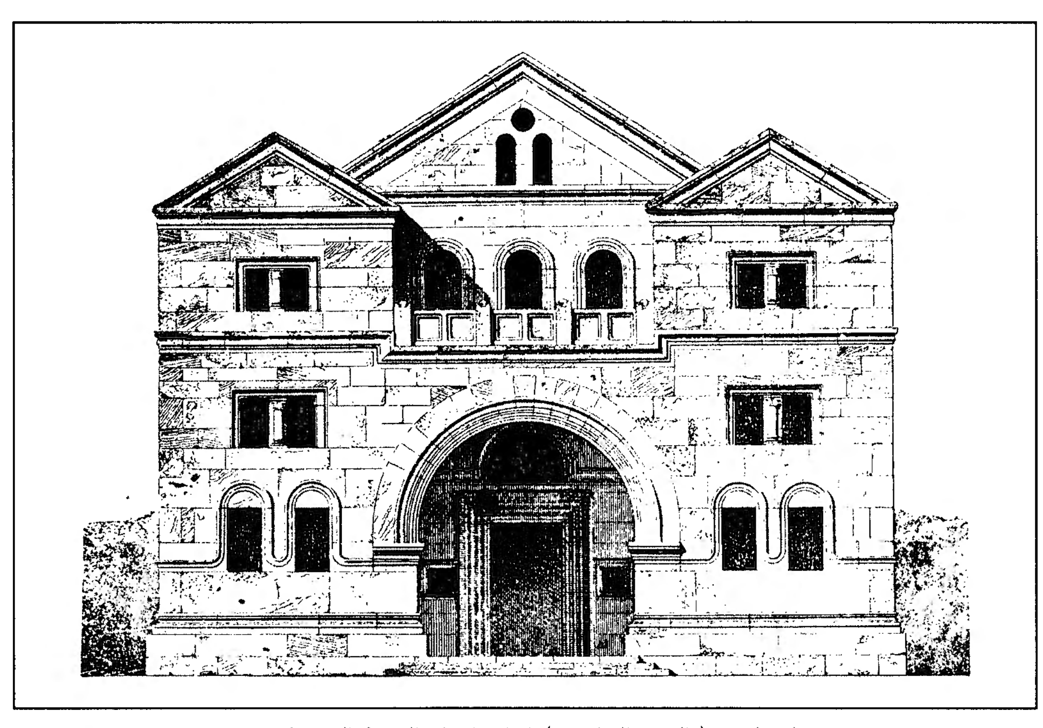
XLV – براد. الكنيسة الشمالية (٥٦١ م) . المنظر من الجهة الجنوبية – الغربية و الداخل .



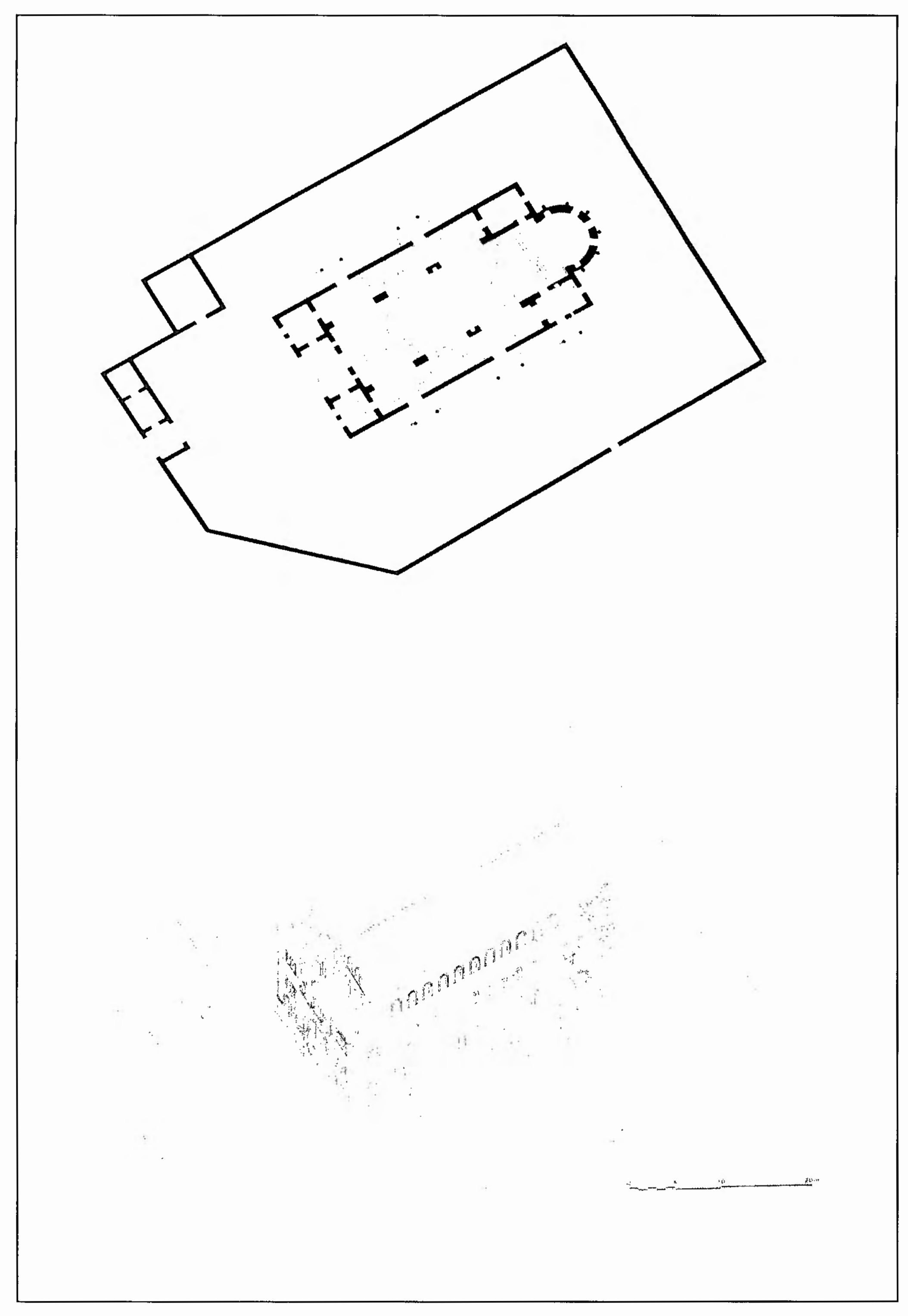
XLVI – براد. الكنيسة الشمالية . المنظر من الجهة الجنوبية – الشرقية و شبابيك البهو الأوسط .



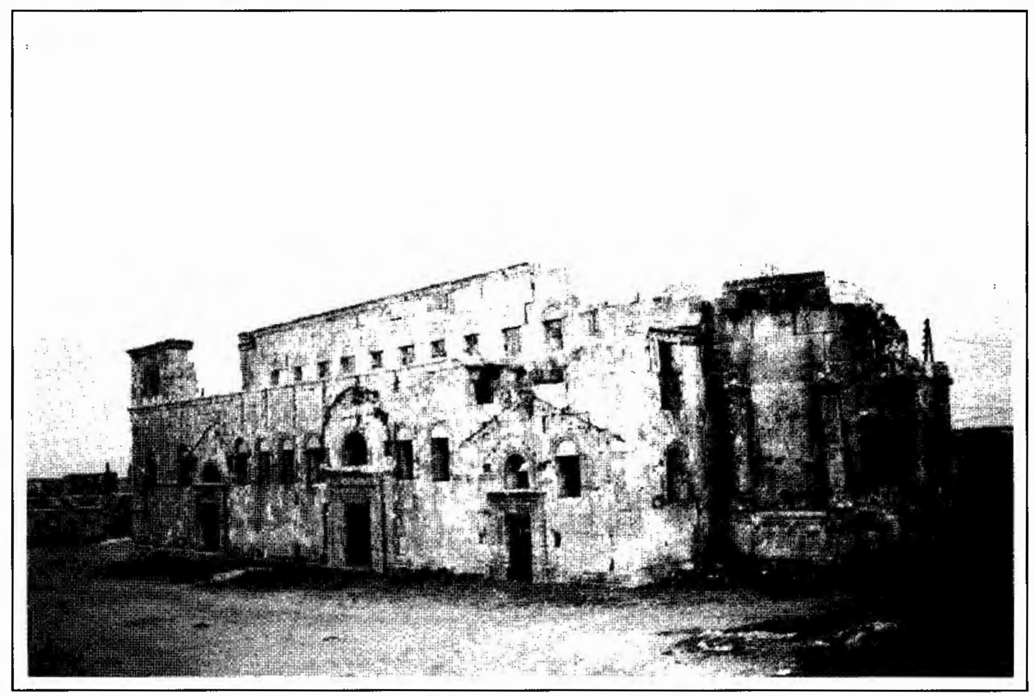
XLVII - كنيسة ترمانين (القرن الخامس) شكلها من الجهة الشمالية - الغربية .



XLVII - قلب لوزة (القرن الخامس) إعادة إنشاء الجبهة الشرقية حسب ده فوكيه .



XLVIII - قلب لوزة - المسقط و بعد إعادة الإنشاء .



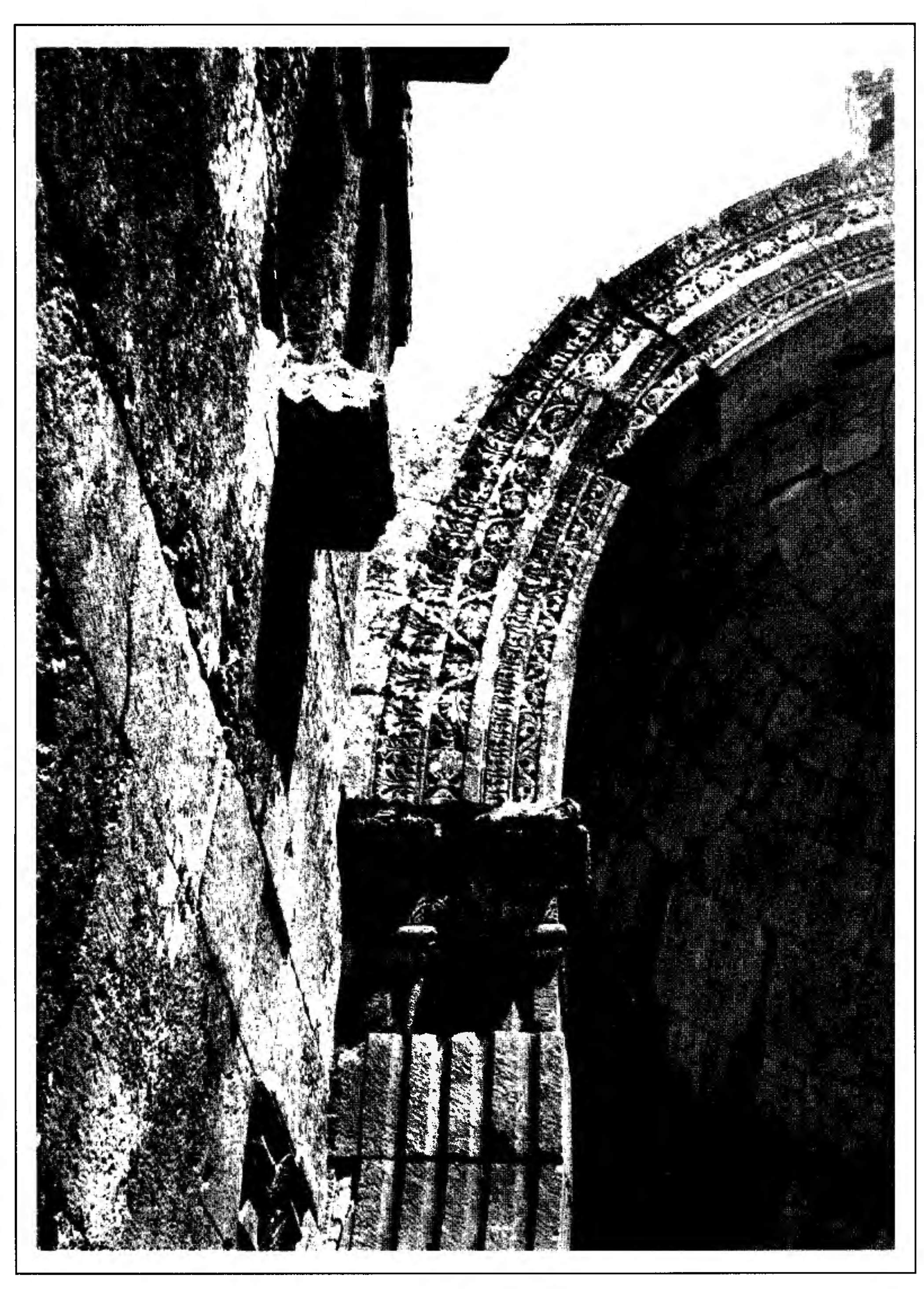
XLIX - قلب لوزة - مظهرها من الجهة الغربية و الشمالية - الشرقية .



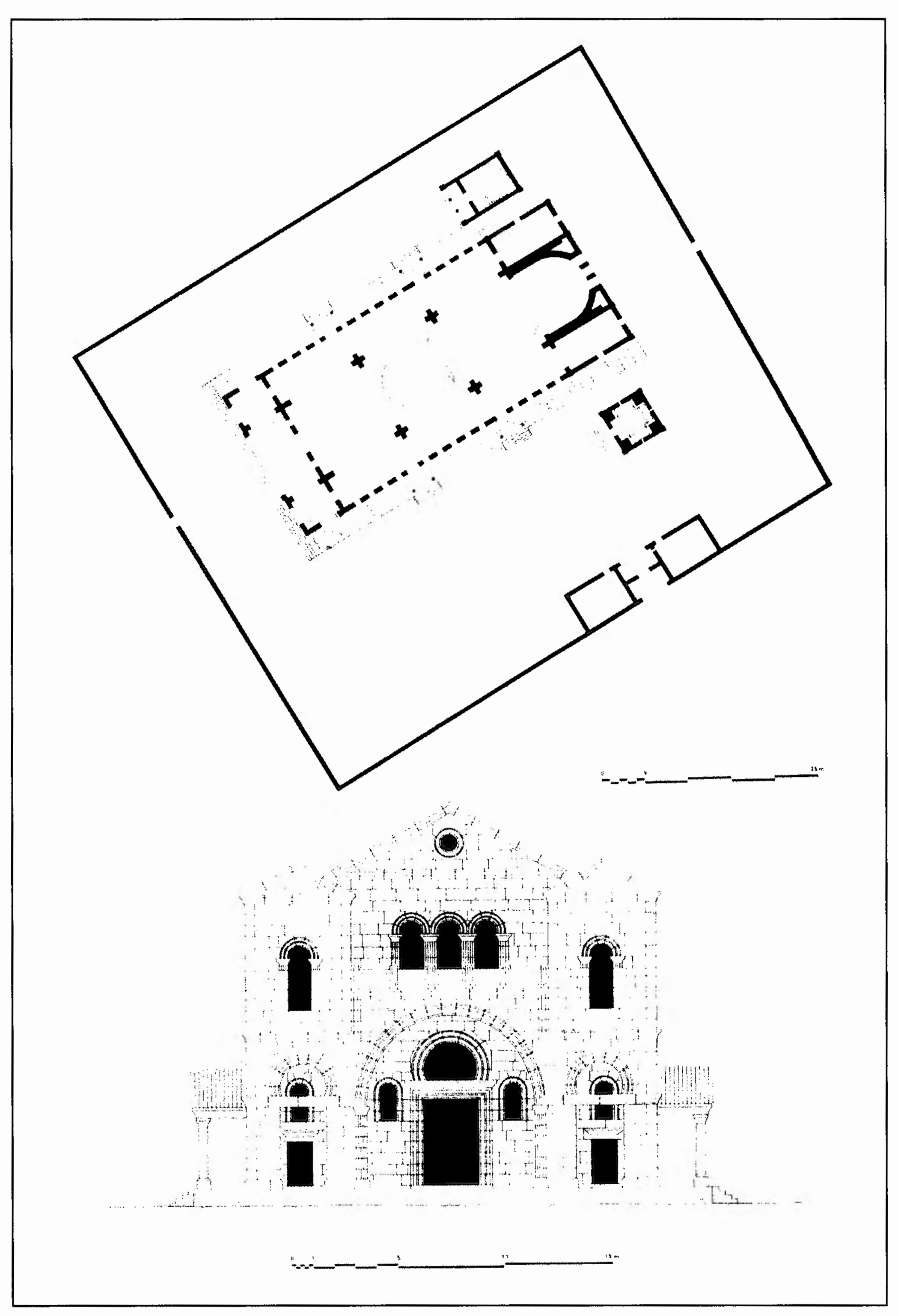
L – قلب لوزة – المدخل الرئيس الغربي على الجبهة الجنوبية .



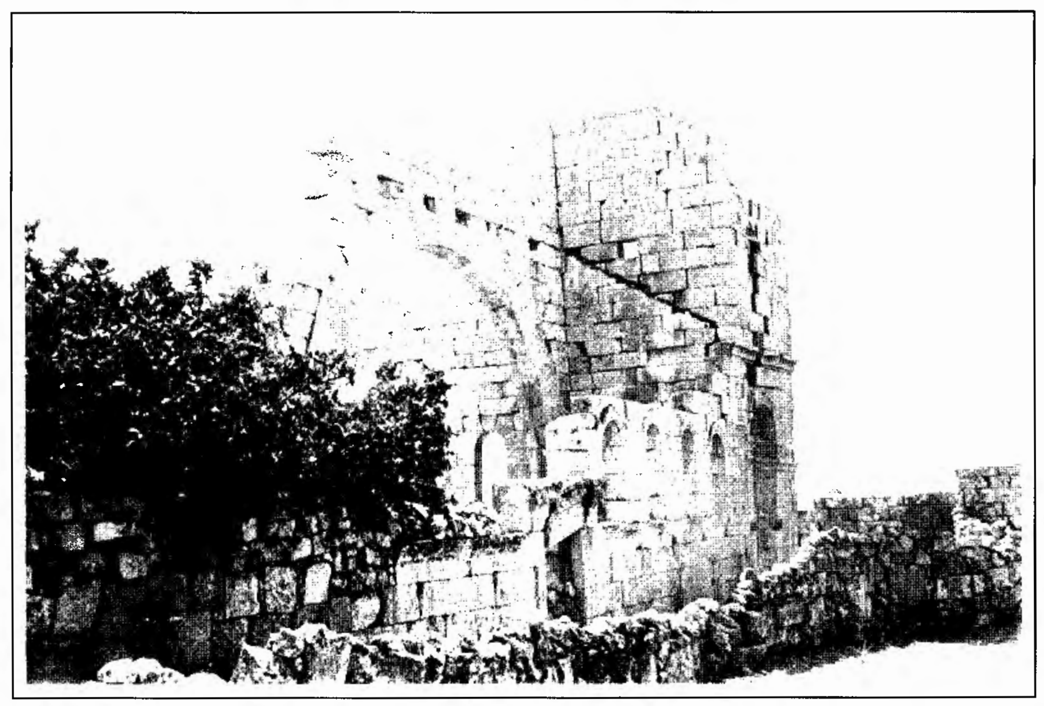
LT - قلب لوزة - المنظر من الداخل .



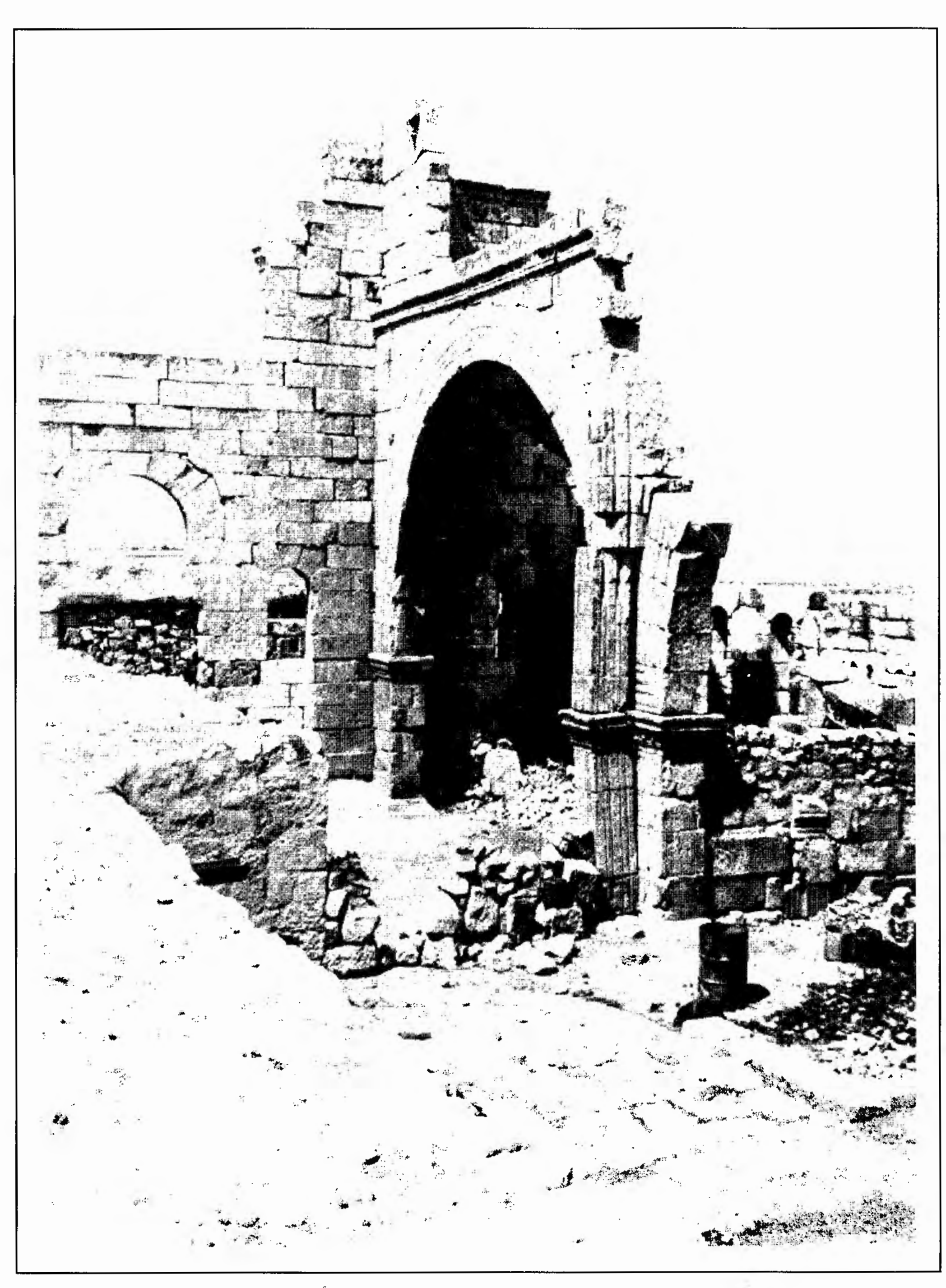
LII - قلب لوزة - زاوية الحنية الجنوبية .



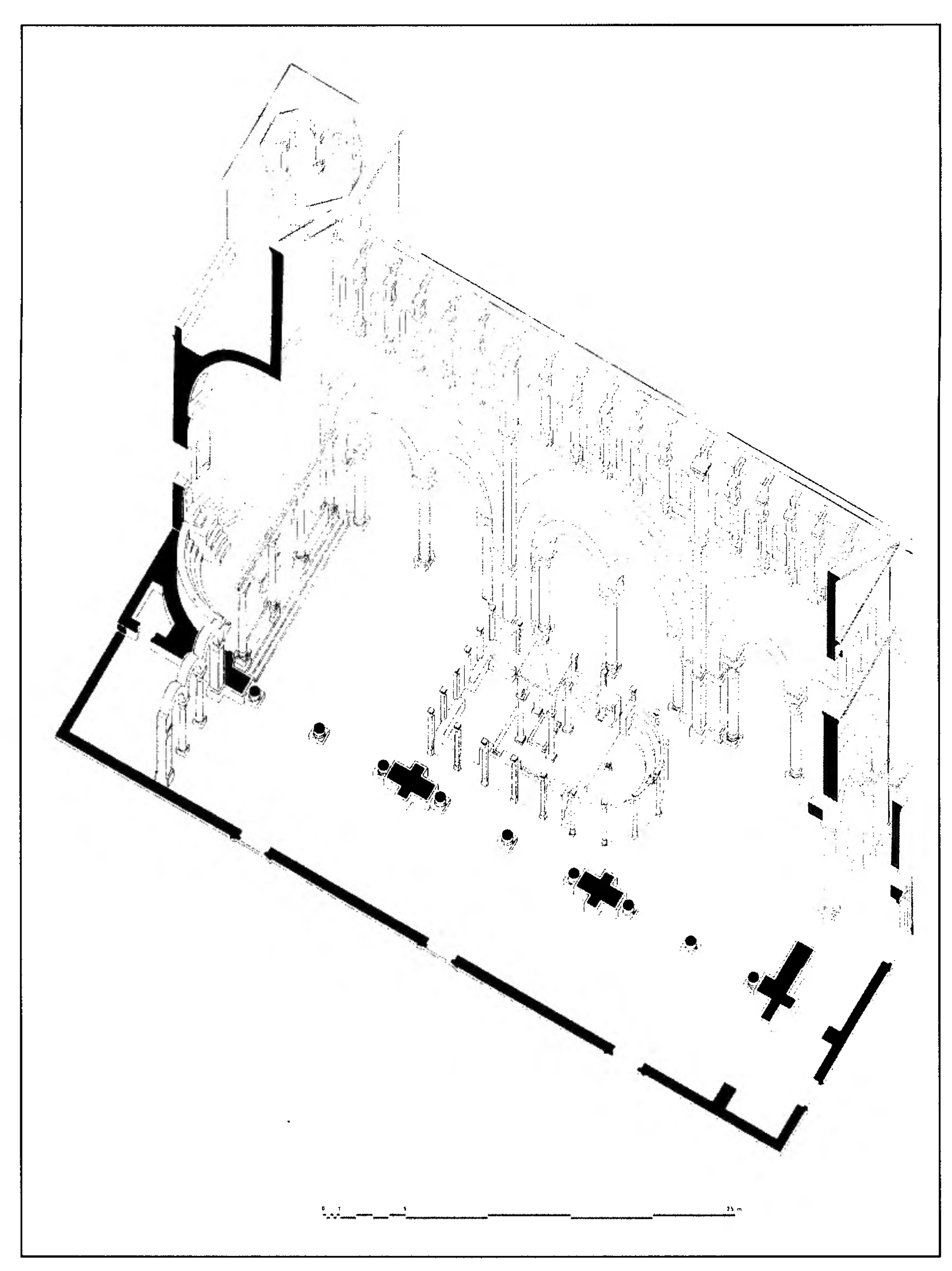
LIII - كنيسة رويحة . المسقط و إعادة إنشاء الجبهة الشرقية .



LVI – كنيسة رويحة . قسم من النارتكس و شكل الكنيسة من الجهة الشمالية – الشرقية .



LV - رويحة - القسم الغربي المتبقي من سلسلة الأقواس الشمالية .



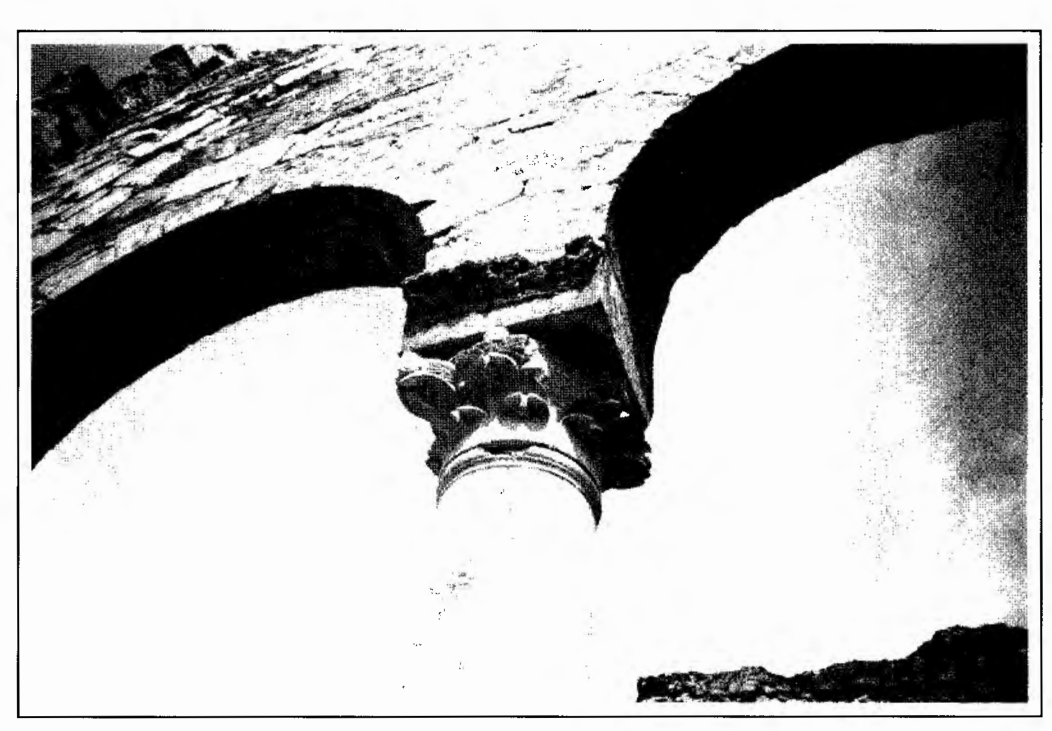
LVI - كنيسة الرصافة (القرن السادس) إعادة إنشاء .



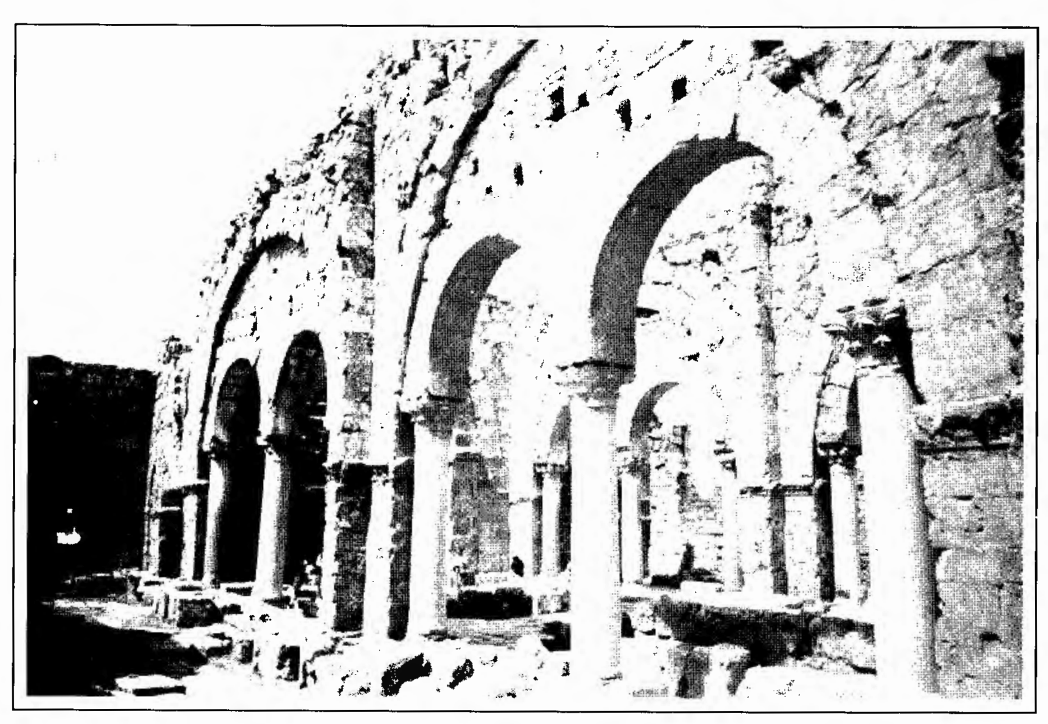
LVII - الرصافة - المظهر من الجهة الجنوبية .



LVII - الرصافة - المظهر من الداخل.



LVIII - الرصافة - التاج و سلسلة الأقواس الجنوبية .



LVIII - الرصافة – التاج و سلسلة الأقواس الجنوبية .

الفصل الثالث

كنائس أرمينيا البازيليكية المبكّرة

عندما قمنا بدراسة حول هندسة كنائس أرمينيا البازيليكية – التي شيدت في الحقبة القروســطية المبكرة– تعرفنا على أبحاث العلماء الأرمن والأجانب واستندنا أيضاً على نتائج أبحاثنا الميدانية الخاصة حول تلك الأوابد الأرمنية.

قام عدد كبير من الباحثين مثل سترجيكوفسكي و طورامانيان و ف. هاروتيونيان ون. طوكارسكي وأ. ياكوبسون وهــ. خالباخجيان وأ. خجادوريان وباولو كونيو وج. تيــيري وب. دونابديان بدراسة قسم من الكنائس الأرمنية البازيليكيية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة بين القرنين ٤–٦م.

1.- (Die Baukunst der Armenier und Europa) Wien – 1918 J. Strzygovski

2.- (Nüter Haykakan Djardarabedutyan Badmutyan) Yerevan, I-1942, II – 1948 T. Toramanian بالأرمنية

(أبحاث في تاريخ هندسة العمارة الأرمنية)

3.- (Arkhitectura Armenii IV - XIV Vekov) Yerevan – 1961 N.M. Tokarsky

4.- (Otcherk Istorii Zodtchestva Armenii V - XVII Vekov) A.L Yacobson, Moscow- Leningrad – 1950

5.- (Arkhitektura Armenii, Vseobshaya Istoria Arkhitekturii V 12 tomakh), Tom – 3 Leningrad - Moskva – 1966 A.Kh. Khalpakhjian

6.- (L 'architecture armenienne du IV – VII Siecles) Paris – 1973

A. Khatchadourian

7.- (L 'architettura armena ad IV dal XIX Secolo) Roma – 1988

Paulo Cuneo

من الدراسات حول الكنائس الأرمنية البازيليكية - عدا دراسات ن. مار حول بازيليك Yereruk التي جاء ذكرها سابقاً ــ بحثُ أ. ساهينيان الهام جداً حول كنيسة الصليب المقدس في مدينة أباران (تُذكر هذه الكنيسة في الأبحاث كبازيليك كاساخ) وكتاب الباحث الإيطالي Paulo Cuneoحول سلسلة من الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد التي قام باكتشافها شخصياً في منطقة باسفرجان الأرمنية.

(Le Basiliche di tux, Xncorgin , Pasuvank, Hogeacvank)

Roma. 1973 Paulo Cuneo

وذكر أ. ساهينيان أيضاً الكنائس البازيليكية الأخرى في ارمينيا مثل Yererukو Dvinو Yeghvart و Ashdarak و Dzidzernavank وغيرها من الكنائس ذات البهو الواحد. وخصص P.Cuneo بدوره فصلاً كاملاً حول دراسة أشكال جميع الكنائس الأرمنية ذات البهو الواحد.

تعتبر دراسة كنائس أرمينيا ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة صعبة لسببين هامين وهما:

أ- معظم هذه الكنائس في حالة سيئة جداً

ب- ليس هناك كتابات على جدران هذه الكنائس ولا نجد في دراسات المؤرخين أي ذكر حول تاريخ تشييدها الدقيق.

يعتبر الاختصاصيون بشكل عام أن جميع الكنائس البازيليكية الأرمنية في الحقبة القروسطية المبكرة بنيت بين القرنين ٤-٦م. لذلك فإن مسألة الوصول إلى تصوّر دقيق حول تشكل وتطور تصاميمها ليس من الأمور اليسيرة. ومعرفة تاريخ البناء مهم جداً لتقديم جواب علمي دقيق وخاصة أثناء دراستنا المقارنة بين الكنائس الأرمنية والكنائس السورية المشابهة التي هي مجال بحثنا واهتمامنا. إلا أن ذلك لا يعني أنه يتعذّر علينا

تأريخها ولو بشكل قريب للحقيقة وذلك انطلاقاً من دراسات العلماء المرموقين حول أهم الكنائس وبالتالي تصنيفها كرونولوجيا انطلاقاً من النواحي الأكثر تميّزاً.

يُصعّب غياب المعطيات الكرونولوجية أيضاً مسألة تحديد طبيعة الكنائس الأرمنية إنْ كانت ذات بهو واحد أو ذات أبهاء ثلاثة بسبب شحّ الحقائق العلمية الحالية. لكننا سنحاول قدر الإمكان من إلقاء الضوء على هذه المسألة في الفصول القادمة.

الكنائس الأرمنية البازيليكية ذات البهو الواحد

يربو عدد الكنائس البازيليكية الأرمنية ذات البهو الواحد – التي تعود إلى الحقبة القروسطية المبكرة – على الأربعين بغض النظر عن حالتها. وتقع معظم هذه الكنائس اليوم على مساحة الجمهورية الأرمنية. ويُعدّ البروفسور P. Cuneo أول باحث قدّم جدولاً موحداً عنها في مؤلفه:

(Le Basiliche Paleocristiani Armene." Corsi di cultura Sull ' arte ravante e bizantina) Ravena – 1972

وقام البروفسور موروس هاسرتيان بوضع جدول أيضاً بعد دراسة هذه الكنائس في كتابه:

(Les Eglises a Nef Unique avec Portique de L ' Armenie Paleo - chretienne .) "Atti del Primo Simposio Internazionale di Arte Armena – 1975" Venezia - 1978

بعد ذلك وفي الثمانينات من القرن الماضي درس أ. ديرميناسيان جميع الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد الموجودة على أرض أرمينيا وحصل على درجة الدكتوراه في لينينغراد (بطرسبورغ الحالية).

يعّد البازيليك ذو البهو الواحد البناء الأقدم و« الأكثر حيوية » بين الأوابد المسيحية التي بُدئ باستعمالها ابتداءً من القرن الرابع وحتى هذا اليوم. ولهذا البازيليك تصميم بسيط جداً يتألف من المصلّى (البهو) المستطيل الشكل وينتهي بحنية على واجهته الشرقية. ولكن لهذا البازيليك أنواع أيضاً التي لهل علاقة بشكل الحنية وغرفتيها

الجانبيتين وتوضّع الأروقة الخارجية.

يصنّف جميع الباحثين هذا النوع من الكنائس الأرمنية إلى بعض المجموعات على الرغم من تباين هذه التصنيفات.

يصنّفها البروفسور م. هاسرتيان مثلاً إلى ثلاث مجموعات وهي:

أ.- الكنائس التي تحتوي على حنية شديدة البروز نحو الخارج

ب.- الكنائس التي تحتوي على أروقة

ج.- الكنائس التي تلف حنيتها جدران مستطيلة الشكل

يقسمها أ. دير ميناسيان بدوره إلى مجموعتين هما:

١.- كنائس ذات حنية بارزة جداً نحو الجهة الخارجية

٢.- كنائس تلف حنيتها جدران مستطيلة الشكل

واقترح ف. هاروتيونيان مجموعتين هما:

أ.- كنائس بازيليكية ذات بهو واحد ورواق خارجي

ب.- كنائس بازيليكية ذات بهو واحد دون أروقة

(Dvini V - VII dareri Djardarabedakan Houshartsannere)

Yerevan – 1950 Prof. V. Haroutyunianبالأرمنية

(أوابد مدينة دبيل المعمارية بين القرنين ٥-٧م.)

ويقسم J. Strzygovski هذه البازيليكات الأرمنية إلى مجموعتين:

أ.- كنائس بازيليكية ذات بهو واحد بدون أقواس حاملة للقبو السريري Barrel Vault

ب.- كنائس بازيليكية ذات بهو واحد وأقواس تحمل القبو السريري.

J. Strzygovski (Die Baukunst der Armenier und Europa)

وقد قمنا بدورنا بتقسيم هذه الكنائس التي شيدت في الحقبة المسيحية المبكرة إلى:

١.- كنائس تحتوي على حنية بارزة جداً نحو الجهة الخارجية.

٢.- كنائس تحتوي على غرفتين جانبيتين فقط.

٣.- كنائس تحتوي على غرفتين جانبيتين وأروقة.

٤.- كنائس لا تحتوي على غرفتين جانبيتين ويلف حنيتها جدار مستطيل الشكل.

كنائس بازيليكية ذات بهو واحد وحنية بارزة نحو الخارج

تنقسم هذه الكنائس حسب مسقط حنيتها الخارجية إلى قسمين:

أ.- حنية نصف دائرية

ب.- حنية مُضلّعة

(Hayasdani ardakoust sheshdevadz absidov mianav Houshartsannere)

(M.M. Hasratian) بالأرمنية

(أوابد أرمينيا ذات البهو الواحد والحنية البارزة نحو الخارج)

وتكون الحنيات من الجهة الداخلية إما نصف دائرية أو على شكل حدوة فرس في معظم الأحيان. وهناك مثال معروف واحد للبازيليكيات ذات البهو الواحد والحنية المستقيمة من الداخل تعود إلى الحقبة القروسطية المبكرة وهي كنيسة Araküg‌h الأرمنية الكبيرة. إلا انه لا يمكننا التأكيد على ذلك نهائياً وذلك بسبب إعادة ترميمها في القرون الوسطى المتأخرة.

يضع م. هاسرتيان الآبدة Tsolakerd (Dashburun) بين الكنائس ذات البهو الواحد والحنية نصف الدائرية الخارجية (تقع الآن في تركيا على السفح الشمالي – الغربي لجبل آرارات) التي تمّ اكتشافها أثناء التنقيبات المنهجية في القرن التاسع عشر.

Ibid p. 27/28

وقد شيدت هذه الكنيسة ببلوكات كبيرة مجلية من الأحجار البازلتية دون استخدام الملاط. ومن المحتمل أنه أضيفت إليها حنية نصف دائرية من الداخل والخارج على جبهتها الشرقية في القرن الرابع، وبذلك تحول هذا البازيليك إلى كنيسة يصل عرضها إلى عشرة أمتار – الذي يزيد كثيراً عن عرض الكنائس الأرمنية البازيليكية ذات البهو

الواحد – التي لا يتعدّى عرضها عن ٦-٧ م. ومن المحتمل أنهم أسندوا سقفها على صفين من الأعمدة الخشبية. ونجد أحجاراً بازلتية بمحاذاة الجدارين الطولانيين من الداخل من المحتمل أنها كانت قواعد للأعمدة. لذلك نرى أن الآبدة Tsolakerd كان لها تصميماً ثلاثي الأبهاء بدلاً من البهو الواحد.

نجد في حي Verishen في مدينة كوريس الأرمنية كنيسة القديسة هريبسيمة (طولها ٢٧،٣ م) ذات البهو الواحد والحنية نصف الدائرية من الداخل والجهة الخارجية.

Ibid p.28

وقد تمّ إعادة بنائها كاملة في عام ١٦٢١ لكنها احتفظت بتصميمها الأولّي ومدخلها الأصلي وبعض العناصر الزخرفية كالإفريز المسنّن الذي كان يتميز به الفن الهندسي بين القرنين ٤-٥م.

من الأمثلة الشيقة جداً التي تنتمي إلى هذه المجموعة، تلك الكنيسة البازيليكية ذات البهو الواحد في قرية Gümüsh الواقعة في الجهة الشمالية – الشرقية من بلدة لوساكرد الأرمنية. وكان لهذه الكنيسة مرحلتان للبناء. وقد بقي من الكنيسة الأصلية جدران مبنية بأحجار بازلتية غير مجلية بارتفاع ١-٢م رفعت عليها جدران بأحجار الدوف Douf البركانية المحلية. أما الحنية التي تشبه حدوة فرس من الداخل، فإنها أضحت مضلّعاً سباعياً من الجهة الخارجية.

(Lousakerdi Djardarabedakan Houshartsannere) “Lraber Hasarakakan Kidutyunneri “ – 1972 No. 2 M.M. Hasratian بالأرمنية

(أوابد بلدة لوساكرد المعمارية)

لقد تمّ استبدال السقف الخشبي بالقبو السريري لذلك أضيف زوج من الركائز الجدارية على الجدارين الطولانيين من أجل القوس الذي سيحمل السقف. وتشبه العناصر الزخرفية على ساكف المدخل الجنوبي الوحيد – التي تمّ نقشها بعد إعادة بناء الكنيسة – زخارف ساكفي المدخلين في كنيستي كاساخ و Yereruk التي تعطينا الحق بتأريخ إعادة بناء الكنيسة في القرن الخامس وبنائها لأول مرة في القرن الرابع.

تقف في مقبرة باديكيان في بلدة kavar الأرمنية كنيسة صغيرة جداً ذات بهو واحد شيدت بحجر الدوف البركاني لها حنية تشبه الحدوة من الداخل وهي نصف دائرية من الجهة الخارجية. ونجد على الركيزة الجدارية لقوس الحنية نقوشاً ترمز إلى الأبدية ووردة على الجدار الجنوبي لهذا القسم مؤلفة من ست وريقات التي هي من ميزات الفن الأرمني بين القرنين ٤-٥م.

يربو عدد الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد والحنية المضلّعة من الخارج عن بقية أنواع الكنائس. وجميع حنيات هذه الكنائس خماسية الأضلاع وأكبر كنيسة في هذه المجموعة وأكثرها تمايزاً هي تلك الكائنة في وسط قرية جارجاريس (أعيد تسميتها بديريك) في منطقة أباران الأرمنية. وقد لاحظنا أثناء أبحاثنا الميدانية في عام ١٩٧٤ أن الجدار الشمالي والقسم الشمالي - الشرقي من الحنية اللتين شُيّدتا بحجر الدوف المجلي لازالتا قائمتين. وتقسم ثلاثة أزواج من الركائز الجدارية - التي تنصهر مع الجدارين الطولانيين - قاعة الصلاة إلى أربعة أقسام والقسم الشرقي هو الأعرض بينها. وترتبط الركائز الجدارية ببعضها بعضاً طولانياً بأقواس تشبه الحدوة عدا القوس الشرقي الذي يختلف عن بقية الأقواس شكلاً وارتفاعاً. والحنية نصف دائرية من الداخل وليست كحدوة بارزة.

(Aknark Hay Djardarabedutyan Badmutyan)

Yerevan – 1964 p.98 بالأرمنية

(لمحة حول تاريخ هندسة العمارة الأرمنية)

ولا توجد شبابيك على الحنية بل هناك صليب متساوي الأضلاع في وسطها. وكغيرها من الكنائس الأرمنية البازيليكية العديدة لا يعرف تاريخ بناء كنيسة جارجاريس بشكل مؤكد، إلا أنه - انطلاقاً من مسقطها العام وعناصرها التفصيلية (الركائز الجدارية التي تشبه حرف T وأقواس تشبه الحدوة ونقوش تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة وغيرها) - تؤكد أنها شيدت بين القرنين ٤-٥م.

Ibid p.100

توجد كنيسة بازيليكية ذات بهو واحد في حالة خراب على مساحة كيلومترين عن قرية Voskevaz في ناحية أشداراك الأرمنية تسمى Badali jam باسم مالك الأرض. وقد تبين لنا أثناء البحث الميداني في خريف عام ١٩٧٥ أن الكنيسة شيدت في الفترة القروسطية المبكرة وكانت تدخل ضمن مجمّع صغير للرهبان. لقد تأكدنا من ذلك من بقايا الجدران حول الكنيسة.

بنيت كنيسة Voskevaz ذات البهو الواحد على مصطبة متدرّجة تحتوي على مصلّى بقياس (٤,٠٨ × ٨,٣٥م) ومدخل غربي رئيس وحنية مضلعة خماسية من الجهة الخارجية وتشبه الحدوة البارزة من الداخل. والجدران رقيقة يصل سماكتها إلى أقل من متر واحد وهي مجهّزة لحمل السقف الخشبي. ويتأكد من ذلك بسبب وجود زوج من الركائز الجدارية اللتين شيّدتا قرب الجدارين الطولانيين. وكانت الركائز الجدارية – كذلك الأقواس الجدارية الكائنة قرب الجدارين الشمالي والجنوبي – تحمل السقف الحجري الجديد. وتُعد بقايا الأوابد الموجودة حول الكنيسة وزخارف الكنيسة البازيليكية من ميزات هندسة العمارة الأرمنية في القرن الخامس،لذلك فإن التصميم الخشبي لسقف الكنيسة تمّ إنجازه في حقبة أبكر من القرن الرابع وليس في بداية القرن الخامس.

(Hayasdani Ardakousd Sheshdevadz Absidov Mianav Houshartsannere) p.37 M.M. Hasratian بالأرمنية

(أوابد أرمينيا ذات البهو الواحد والحنية البارزة على الجهة الخارجية)

إن الكنيسة التي تلفت النظر أكثر من غيرها ضمن هذه المجموعة – التي مرّت ببعض المراحل الإنشائية وتمتاز بعناصرها الزخرفية التي تساعد على تأريخها – موجودة في قرية Parbi الواقعة في منطقة أشداراك الأرمنية. وقد وصلت إلينا هذه الكنيسة البازيليكية ذات البهو الواحد التي تسمى Dziranavor على شكل قلعة – كنيسة. وقد شُيّد المصلّى (٨,٧٥ – ٤,١٥ م) بالحجر البازلتي المجلي وينتهي قسمها الشرقي من الجهة الخارجية بحنية مضلّعة خماسية. أما من الداخل فإننا نلاحظ أن حنيتها نصف دائرية. وللكنيسة مدخل على كل من الجهة الغربية والجنوبية (اللتان

تحتويان على ساكفين وشق أفقي فوقهما لتحييد القوى الضاغطة) وشبابيك تنتهي بحنية على شكل حدوة على جميع الجدران عدا الجدار الشمالي.

يوجد على الجدار الغربي زوج من الشبابيك تنفصلان عن بعضهما بعضاً بعامودين صغيرين. وتوجد إلى جانبي الحنية زخارف مشابهة وصليب متساوي الأضلاع محاط بأوراق وأغصان الكرمة المتشعبة. ونرى في القسم العلوي منها زخارف هندسية شبيهة بتلك الموجودة على بازيليك Yereruk وتربة القديس سركيس في كنيسة Tekor (٤٧٨ – ٤٩٠م) وعلى قبر القديس كريكوريوس في دير أماراس (٤٨٩)م. وتقدم لنا جميع هذه الحقائق أساساً كافياً لاعتبار كنيسة Dziranavor في Parbi من أوابد النصف الثاني للقرن الخامس.

Ibid p.35

وقد أعيد بناء الكنيسة في القرن السابع. لذلك ولإبدال السقف الخشبي بالقبو السريري الحجري قاموا ببناء ثلاثة أزواج من الركائز لحمل الأقواس التي يستند عليها السقف على الوجهين الداخليين للجدارين الطولانيين.

(Nüter Haykakan Djardarabedutyan Badmutyan) II, p.227

T. Toramanian بالأرمنية

(مواضيع حول تاريخ هندسة العمارة الأرمنية)

وجرى الترميم التالي في القرن العاشر عندما تحولت الكنيسة إلى قلعة.

تقف إلى الجهة الجنوبية – الشرقية من karni وفي محمية خسروف في قرية بايبورت الأرمنية كنيسة بازيليكية ذات بهو واحد مبنية بالبازلت المجلي وهي جملونية السقف ولها حنية مضلّعة خماسية بارزة جداً نحو الجهة الخارجية التي حافظت على تصميمها وتفاصيلها بشكل كامل. ويستند قوس الحنية–الذي يشبه الحدوة البارزة–على تيجان الزوايا التي نقشت عليها أوراق النخيل التي يتطابق فن نحتها وطريقة تحقيقها مع زخارف وتيجان الركائز الجدارية للجبهات الخارجية لتربة القديس سركيس في كنيسة Tekor لكن بإضافة تفصيل استثنائي واحد وهو نحت رؤوس آدمية بين الأوراق.

(Hay Büzandakan Djardarabedakan Arentchoutyounnere Vagh – mitjnadaroum) “Badmabanasirakan Handes” No 1-2, 1993 p. 119 – 120
M.M. Hasratan بالأرمنية

(علاقات هندسة العمارة في الحقبة القروسطية المبكرة بين أرمينيا وبيزنطة)

وقد شيدت كنيسة ثانية إلى الجهة الجنوبية من كنيسة بايبورت في الحقبة القروسطية المبكرة أيضاً اكتشفت أثناء التنقيبات الأثرية. ويُعدّ وجود كنيستين ذات بهو واحد جنباً إلى جنب ظاهرة فريدة في هندسة عمارة تلك الفترة الزمنية. وبعد تنظيف المنطقة المجاورة للكنيسة اكتشفت قطعة من ساكف هذه الكنيسة كتب عليها كلمتان باللغة اليونانية من اليمين إلى اليسار كأنهما معكوستان في المرآة وهما ΥΓΕΙΑ (الصحة) و KHXARIC (الهناء أو السعادة). ويمكن التخمين أن صاحب النقشين أراد بذلك إخفاء انتمائه الطائفي (الخلقيدونية)

Ibid p.20

اكتشفت كنيسة بازيليكية ذات بهو واحد من قبل طوكارسكي أثناء التنقيبات الأثرية في قرية Djervej بين عامي ١٩٥٨ – ١٩٦٢ مبنية بالدوف المجلي وتحتوي على حنية مضلّعة خماسية بارزة من الخارج وكورنيش مسنّن. وقد تمّ بناء نصب يعود إلى القرن الخامس على المصطبة الجدارية لهذه الكنيسة ومدفن تحت الأرض على بعد متر واحد فقط إلى الجهة الشرقية منها.

N.H. Tokarski (Djervej, 2, Voghdjaberd) Yerevan - 1964 p.26

ويؤرخ طوكارسكي الكنيسة أنها من القرن الخامس، أما خجادوريان فإنه يعتبرها من القرن الرابع.

(L’architecture arméniénne du IV - VII siecles) p.42

A. Khatchadourian

والتأريخ الأول حسب رأينا هو الأقرب إلى الحقيقة وخاصة أن النصب الذي بني على مصطبة جدارية يعود إلى القرن الخامس انطلاقاً من بعض التفاصيل الموجودة عليه.

(Hayasdani ardakoust sheshdvadz absidov mianav p.32 M.M. Hasratian Houshartsannere) بالأرمنية

(أوابد أرمينيا ذات البهو الواحد والحنية البارزة نحو الجهة الخارجية)

اكتشفت أثناء التنقيبات الأثرية في عام ١٩٧٣ أساسات كنيسة بازيليكية ذات بهو واحد وحنية بارزة خماسية الأضلاع في مدينة إتشميادزين الأرمنية وعلى الجهة الشرقية من كنيسة القديسة هريبسيمة وعلى محورها الطولاني تماماً. ويعتقد أن لهذه الكنيسة علاقة في استشهاد هريبسيمة ورفيقاتها. إلا أن المؤرخ الأرمني المعاصر أكاتانكيغوس يؤكد أن هذه القديسة هي وحدها التي استشهدت هنا وبنيت هذه الكنيسة على قبرها في القرن السابع.

في محمية خسروف قرب Vanasdan نجد خرائب كنيسة ذات حنية خماسية المسقط من الجهة الخارجية شيدت بالبازلت المجلي على قاعدة مضلعة ولها مدخل من الشمال وزوج من الأعمدة الجدارية للقوس الذي يحمل السقف الجملوني.

(Les eglises a nef unique avec abside saillante dans l'Armenie Paleochretienne) M.M. Hasratian

"Etudes Arméniénnes. In memoriam Haig Berberian" Lisbon – 1986 p. 314

توجد كنيسة بازيليكية ذات بهو واحد في شوغاكات إلى الغرب من كنيسة القديس بطرس (القرن التاسع) شيدت بحجر الدوف المجلي وهي في حالة شبه مدمرة وتحتوي على حنية دائرية من الداخل وهي خماسية المسقط من الجهة الخارجية. وهناك حقيقة أخرى حول تشييد هذه الكنيسة في القرن الخامس وهي حَجَرَةُ ال Impost الشمالية التي يرتكز عليها ثقل القوس. والحنية لازالت تحتفظ بزخارفها المميزة التي كانت شائعة في تلك الحقبة المسيحية المبكرة وتحديداً الحلقة والصليب المتساوي الأضلاع في داخلها.

اكتشفت كنيسة بازيليكية كبيرة ذات بهو واحد وحنية خماسية المسقط من الجهة

الخارجية مبنية على قاعدة متدرجة وركائز في مجمّع Bemzashen أثناء التنقيبات الأثرية التي تمّت في عام ١٩٧٧. ويعود تاريخ إنشاء هذا المجمع إلى الحقبة المسيحية المبكرة.

كنائس بازيليكية ذات بهو واحد وأروقة

نجد أمثلة شيقة في تصميم هذه المجموعة من الكنائس ذات البهو الواحد التي تحمل طابع التطور المستمر بسبب تحولها من التصميم الطولاني إلى المسطّح العرضاني . وقد أشار إلى ذلك لاحقا أيضا كل من سترجيكوفسكي وكليوك وآخرين .

Die Baukunst der Armenier und Europa

p.373 _388 J . Strzygovski –I

لمعظم الكنائس الأرمنية البازيليكية ذات البهو الواحد - التي تعود إلى العصور المسيحية المبكرة - حنية صغيرة، ورواق خارجي في البازيليكات ذات الأبهاء الثلاثة مثل Dvin و Tekor وYereruk و Odzoun. (استخدمت هذه الصالات ذات الحنيات لأغراض شتى، مثلاً لخلق مساحات إضافية وذلك لاستيعاب الجمهور الكبير أثناء الأعياد والاحتفالات الكبيرة) كما يؤكد المؤرخ الأرمني غازار Parbetsi. ويعتقد سترحيكوفسكي- خلافا للمؤرخ الأرمني - أنها استخدمت حتى في الأيام العادية . وهناك رأي سائد أن الأروقة الخارجية كانت تستعمل من قبل الأشخاص الذين يطلبون التوبة في الحقبة القروسطية المبكرة.

وإذا أخذنا بالحسبان أن الكنيسة الأرمنية – التي اشتركت في المؤتمر الكنسي العالمي الأول المنعقد في نيقية في عام ٣٢٥ ميلادي وكان عليها أن تقبل قانون التوبة الكنسية الذي فُرِضَ على جميع الكنائس الأخرى أيضاً- فمن البديهي ظهور الأروقة في الربع الثاني من القرن الرابع (أ. ساهينيان) إلا أن هذه الأروقة إنتشرت بأعداد كبيرة بين القرنين الخامس والنصف الأول من القرن السادس. ويبدو أنهم توقفوا عن إنشائها في الربع الأخير من هذا القرن.

(Dashiri Serahavor Mianav Houshartsannere) “Lraber Hasarakakan Kidutyunneri” No.3 p.55 – 1974 M.M. Hasratian بالأرمنية

(أوابد داشير ذات البهو الواحد)

تنقسم الكنائس الأرمنية ذات البهو الواحد التي تعود بقدمها إلى الحقبة المسيحية المبكرة إلى قسمين:

أ.- كنائس ذات بهو واحد ورواق وغرفتين إلى جانبي الحنية

ب.- كنائس ذات بهو واحد ورواق ولا تحتوي على غرفتين

تنتمي كنيسة كارنود (Diraclar) وتاناهاد و Dvin وكورتان وكيول أكاراك وهابارتسي وجكراشين والقديس كيفورك وkedevank إلى المجموعة (أ). وتقع الكنائس الست الأخيرة في ناحية داشير التاريخية (منطقة لوري الحالية).

توجد كنيسة بازيليكية ذات بهو واحد مبنية بالحجر البازلتي المجلي ولها مصلّى طويل (٦,٢٥ – ١٥,٢٥م) إلى الجهة الشرقية من مدينة كيومري (لينينياكان سابقاً) على سفح تلة قرب قرية كارنود. وهناك غرفة مستطيلة الشكل إلى الجهة الجنوبية من الحنية نصف دائرية التي لها حنية صغيرة على جدارها الغربي من الجهة الخارجية. لقد أعطى العالم الأرمني المرموق ط. طورامانيان مكانة كبيرة لهذه الآبدة في أبحاثه مؤكداً أنها كانت معبداً وثنياً حُوّل إلى كنيسة في القرن الرابع بعد استبدال حنية المعبد المستقيمة بحنية نصف دائرية وإضافة الغرفة الجنوبية الجانبية وحنيتها من الجهة الخارجية والرواق الخارجي.

T. Toramanian ……. I, p.133

ظهر أثناء دراستنا الميدانية في عام ١٩٧٤ أن الحنية نصف الدائرية كان لها التصميم ذاته قبل إعادة ترميم الكنيسة. وإن الغرفة المجاورة لها – التي تحتوي على حنية صغيرة – تمّ بناؤها في الفترة ذاتها. وتصل سماكة الجدار الغربي إلى ٢١٥ سم، لذلك بإمكانه استيعاب تلك الحنية نصف الدائرية الصغيرة. ومن الشيق أن نعلم أن لجدران بازيليك كارنود سماكات مختلفة. وتصل سماكة الجدار الشمالي إلى ١٣٠ سم والجنوبي إلى ١٢٠ سم والجدار الشرقي للغرفة إلى ١٥٠سم والجدار الغربي- كما

ذكرنا- إلى ٢٥٠سم. وتعتبر هذه السماكات الكبيرة للجدران من ميزات الكنائس الأرمنية المبكّرة.

زال رواق بازيليك كارنود الجنوبي من الوجود . وحسب أقوال ط. طورامانيان فإن تسمية القرية بديراكلار (الأعمدة بالتركية) شاهد على وجود الرواق المعمّد في الماضي.

Idem

وتعدّ كنيسة كارنود من أقدم الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد في أرمينيا. وبرهاننا على ذلك تصميمها وجدرانها السميكة وأحجارها وسواكف مداخلها الكبيرة جداً والتاج الجداري لقوس الحنية والإفريز المسنّن وغيرها من العناصر.

توجد إحدى أهم الكنائس البازيليكية الأرمنية ذات البهو الواحد على تلة في الجهة الجنوبية من قرية Arevis الواقعة في منطقة سيسيان الأرمنية التي شيدت في الحقبة القروسطية المبكّرة وتحديداً كنيسة دير تاناهاد. وتكمن شهرة هذا الدير ليس في فنّ عمارته فحسب، بل لمكانته الكبيرة بين الأديرة (بعد دير داتيف)في الحقبة القروسطية المبكرة.

(Badmutyun Nahanki Sisakan)Tiflis – 1910 Stepanos Orbelian بالأرمنية

(تاريخ مقاطعة سيساكان)

تعرف كنيسة القديس ستيبانوس في دير تاناهاد في المصادر المعمارية أنها آبدة تعود إلى القرن الخامس. ويستند الباحث الأرمني م.م. هاسرتيان على تأويل المؤرخين الأرمنيين ستيبانوس أوربليان وغيفونت آليشان ويرى أن الكنيسة شيدت في عام ٤٩١م.

(Dashiri Serahavor Mianav Houshartsannere)p.54,

M.M. Hasrtian بالأرمنية

(أوابد داشير ذات البهو الواحد)

وتعد هذه الكنيسة قاعة ذات بهو واحد بقي منها الجدار الغربي والشمالي والحنية والغرفة الجنوبية الجانبية وأصبح ممكناً في السبعينات من القرن الماضي إنقاذ قوس الحنية المسنن الذي له شكل حدوة. وهناك دراسة قيمة جداً من قبل الباحث الايطالي الباكو نوفيللو حول هذا القوس الذي يعد الأقدم في جميع الأوابد الأرمنية.

(Tanahadi Bazilikan yev Baydatsev kamari khentire Haykakan Vagh – Midjnadaryan Djardarabedutyan metch) Alpago Novello

"Badmabanasirakan Handes" – 1972, No 3 بالأرمنية

(بازيليك تاناهاد و مسألة القوس ذي شكل الحدوة في هندسة العمارة الأرمنية في الحقبة القروسطية المبكرة)

كان هناك رواق مواز لجدار الكنيسة الجنوبي لم تبق من أعمدته سوى أساساتها. وعلى زوايا الحنية نرى تيجاناً مميزة عليها نقوش لزنابق مختلفة. وقد ظهر القسم الداخلي من الكنيسة أثناء التنقيبات المنهجية في عام ١٩٧٥ وشكل مسقطها الدقيق و حقيقة إعادة بنائها في القرون الوسطى المبكرة. وقد تبين أن مسقط الحنية نصف دائري الشكل لا على شكل حدوة الفرس كما نشر عنها سابقاً. وللكنيسة مدخل ليس على جدارها الجنوبي فحسب، بل هناك باب آخر على الجهة الغربية أيضاً وهو بالمناسبة مفتوح ليس على بهو المحور الطولاني، بل على الجهة الجنوبية من الجبهة الغربية. والأهم من ذلك اكتشاف ثلاثة أزواج من الركائز الجدارية القوية قرب الجدارين الطولانيين. ويظهر بكل جلاء أنه تمّ إضافتها لاحقاً أثناء استبدال السقف الخشبي بالقبو السريري الحجري.

يكتب استيبانوس أوربليان أن كنيسة تاناهاد شيدت في القرن الثاني وهذا التاريخ هو موضع شك من قبل المؤرخ الأرمني آليشان الذي قدّم تبريراته على ذلك. وإذا كان بناء هذه الكنيسة في القرن الثاني غير مقنع إلا أنه من المحتمل أنها شيدت على أنقاض معبد وثني في وقت قريب لاحق. وقد تمّ التأكّد أثناء التنقيبات الأثرية المنهجية في عام ١٩٧٥ أن تاناهاد كانت موقعاً مقدساً قبل لا أقل عن ألف عام من وجود هذه الكنيسة

البازيليكية ذات البهو الواحد، وذلك بسبب اكتشاف كتابة على الكنيسة تعود إلى أركيشتي ملك مملكة أورواردو.

تمّ اكتشاف مزار القديس Hizbouzide (٥٥٣ – ٥٥٥ م) أثناء التنقيبات في عام ١٩٣٧ في مبنى الكاثوليكوسية في عاصمة أرمينيا القديمة آني. ولهذه الكنيسة البازيليكية ذات البهو الواحد ثلاثة أزواج من الركائز المستطيلة. وينتهي البهو بحنية نصف دائرية على الجهة الشرقية بقي فقط قسم من جدارها الشرقي.

(Dvini V - VII Dareri Djardarabedakan Houshartsannere) p. 80 – 83

V. Haroutyounian بالأرمنية

(أوابد دبيل المعمارية التي تعود إلى القرنين ٥–٧ م.)

وبناء على مخطط (ك. كوتشويان) كان لمزار هذا القديس رواق على الجبهة الشمالية.

(Dvin Kaghake yev nera beghoumnere) Yerevan – 1952, No 1-p. 108

Garo Ghafadarian بالأرمنية

(مدينة دبيل والتنقيبات فيها)

من الملفت للنظر سماكة الجدران الكبيرة لهذا المزار التي تصل إلى ١,٩٠م بينما تتراوح سماكة جدران الأبنية البازيليكية ذات البهو الواحد الأخرى بين ١,١ – ١,٤ م.

V. Haroutyounian p.81

تعدّ الكنيسة ذات البهو الواحد الموجودة في وسط قرية كارني الأرمنية من أهم الكنائس في سلسلة الأوابد الأرمنية المماثلة ومن الأوابد المحورية من حيث حلول مسقطها المتميّز جداً وزخارفها الخارجية. وهذه البازيليك هي عبارة عن بهو مستطيل متطاول (تصل النسبة بين العرض والطول إلى ٣:١) ولها حنية نصف دائرية عميقة ومدخل نحو الغرفة الجنوبية الجانبية ذات الحنية الصغيرة. ويوجد رواق على الجبهة

الجنوبية من الكنيسة ينتهي عند الجدار الشرقي وثلاثة مداخل الأول منها على الجهة الشمالية والمدخلين الآخرين على الجهة الجنوبية.

وقد شيّدت الكنيسة على مصطبة جدارية مضلّعة وتمّ تقسيم البهو إلى أربعة أقسام متساوية بمساعدة ثلاثة أزواج من الركائز الجدارية والأقواس التي تستند عليها. وقد صممت الجبهات الخارجية بأعمدة جدارية تحتوي على قواعد وتيجان بدائية وحزام الأرشيتراف حسب المعايير Order الكلاسيكية القديمة المعروفة. وتعتبر هذه الزخرفة ظاهرة نادرة في فن العمارة في أرمينيا في الحقبة القروسطية المبكرة.

وانطلاقاً من هذه الميزات تعتبر كنيسة كارني البازيليكية ذات البهو الواحد من الحلقات النادرة التي تربط هندسة العمارة الأرمنية التي تعود إلى فترة ما قبل المسيحية مع الحقبة القروسطية المبكرة. وليس محض صدفة أن هذه الآبدة الفريدة تقع إلى جانب معبد Karni الوثني الذي يعد الآبدة الوحيدة المتبقية في أرمينيا من العصر الهيلليني، لذلك تعتبر هذه الكنيسة من أهم الكنائس الأرمنية التي شيدت في النصف الأول من القرن الرابع على الأرجح.

(Les eglises a nef unique avec Portique, de l' Armenie Paleochretienne)
p. 229 M.M. Hasratyan بالأرمنية

يمكن للتنقيب الأثري الدقيق أن يخرج إلى العلن حقائق شيقة وحيوية لاحقاً ويساهم بشكل كبير في معرفة ينابيع تصميم الكنائس المماثلة في تلك الحقبة التاريخية وتبيان مراحل تطورها. وقد ساهمت كنيسة كارني- حسب اعتقادنا- في خلق تصميم كنيسة Yereruk البازيليكية وذلك انطلاقاً من ميزاتها المعمارية.

هناك سلسلة من الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد التي تحتوي على غرفة أو غرفتين إلى جانب الحنية ورواق خارجي حولها في منطقة Lori في أرمينيا. وقد كتب البروفسور هاسراتيان في الحوليات الاختصاصية لأول مرة حول هذه الكنائس بشكل مفصل في مؤلفه:

(Dashiri Serahavor Mianav Houshartsannere) بالأرمنية

(أوابد داشير ذات البهو الواحد)

وبما أن هذا الباحث قدم وصفاً تفصيلياً حول تصاميم وقياسات الكنائس ذات البهو الواحد، لذلك سنقوم في هذا الفصل بعرض تحليل مقارن حول الكنائس المذكورة أعلاه انطلاقاً من دراستنا الميدانية. وكما ذكر م. هاسراتيان فإن وجود تلك الأوابد قرب بعضها بعضاً يحتّم على وجود سلسلة من التعميمات فيما بينها.

Ibid p.44

على النقيض من الكنيسة البازيليكية ذات البهو الواحد في كارني، هناك حنيات خارجية نصف دائرية على الطرف الخارجي للغرفتين الجانبيتين. وتظهر تلك الحنيات إلى جانب الحنية الرئيسة. أما في كنيسة Djegrashen فالأمر معكوس حيث نراها إلى الجانب الشمالي . ومن المحتمل وجود حنية نصف دائرية خارجية على الجهة الجنوبية لهذه الكنيسة الأخيرة لكن دون وجود غرفة جانبية. وقد توصلنا إلى هذا الاستنتاج بسبب بعض الخرائب الموجودة حولها. ومن الملاحظ أن كنيسة Hobartsi ذات البهو الواحد كان لها تصميم مشابه. وقد دمرت هذه الكنيسة كاملة وأعيد بناؤها في القرن التاسع عشر.

Ibid p. 49

لقد احتفظت الكنيسة على شكل مسقطها السابق وبعض التفاصيل الأخرى ونخصّ منها مدخل الجهة الشمالية المزخرف. ويمكن التأكيد الآن أن الكنيسة كانت أقل ارتفاعاً بعد الترميم لأن إحدى النقاط الهامة المميزة في سلسلة هذه الكنائس البازيليكية هي ارتفاعها الكبير .

كما لاحظنا في الكنائس التي قمنا بدراستها (كارنود وتاناهاد وكارني وغيرها) توجد-كقاعدة عامة-أروقة خارجية وحنية رئيسة وغرفتيها الجانبيتين والحنية والحنيتين الخارجيتين نصف الدائريتين الأخريتين. ويصحّ المنطق ذاته دون شك على كنائس داشير ذات البهو الواحد . وعلى الرغم من عدم وجود الأعمدة حول جدران الكنيسة من الجهة الخارجية وعدم عثورنا على قواعدها، إلا أن ذلك لايعني أنها لم تكن تحتوي على ذلك. ويمكننا التأكيد – كما أسلفنا – على وجود الرواق انطلاقاً من شكل مسطّح

الكنيسة. وبرهاننا على ذلك وجود شبابيك كبيرة على ارتفاع كبير وهذه الناحية هي من الميزات العامة في كنائس داشير ذات البهو الواحد. علاوة على ذلك فإن وجود الحمّالات Consoles تحت الشبابيك دليل على وجود سقف خشبي للرواق .

Idem

وقد جرى بناء سلسلة هذه الحمّالات حول بعض الكنائس Djerashen و Gurtan وذلك برصف صف أو صفين من الأحجار البيضاء .

هناك حمّالات ليس على الجبهتين الشمالية والجنوبية فحسب، بل على الجبهة الغربية أيضاً . لذلك نعتقد أن الكنيسة كانت تحتوي على ثلاثة أروقة على جهاتها الثلاث. وتعود بقايا الجدران الكائنة على الجبهة الغربية لكل من كنيسة Gülakarak و kdevank إلى أروقة الكنيستين وخاصة الكنيسة الأولى حيث بقايا الجدار الجنوبي – التي يتشكل منها الرواق – تلتفّ من الطرفين نحو الشرق وكأنها تحتضن الرواقين الجنوبي والشمالي. ومن المحتمل أنه كانت للكنيسة غرفة ذات حنية خارجية نصف دائرية على الجهة الشمالية من الحنية الرئيسية.

ويذكّرنا مسقط Hobartsi أنه كان لهذه الكنيسة أيضاً أروقة على جهاتها الثلاث. ومن الشيق أن نعلم أن مقاييس كنيسة Gülakarak و Hobartsi و Zekrashen ذات الأروقة على جهاتها الثلاث وسطحها الأوسط الجملوني المرتفع وأغطية البهوين المنخفضة تشبه بما يسمى مساقط ومقاطع البازيلكيات ذات الأبهاء الثلاث (الهيللينية). وعلى الرغم من بعد داشير عن كارني، إلا أننا نجد تماثلاً كبيراً بين بازيلكات المنطقتين كما في شكل مساقطها كذلك في فنّها الإنشائي. والبازيليكات هنا ذات جدران ثلاثية. وللجدار الأوسط وظيفة حمل أيضاً والجداران الآخران مرصوفان بأحجار متوسطة الأحجام كما في كنيسة كارني ذات البهو الواحد.

وتستثنى جدران كنيسة Kdevank عن هذه القاعدة التي لها مداميك أكبر نسبياً وهي مبنية بأحجار مجلية. أما أحجار الجدران المجلية لكنيسة Gurtan فهي أكبر

حجماً وتتراوح مقايسها بين ٥٠ -٩٠ سم في بعض الأحيان. وكما في كارني فقد أعطى البناؤون الأرمن أهمية كبيرة للحفاظ على الوضع الأفقي للمداميك.

انعكست التفاصيل الزخرفية بشكل عام في الأفاريز والأحزمة والشبابيك والحوامل وغيرها. ومقارنة مع الكنائس الأخرى فلأحزفة كنيسة Djegrashen زخارف نباتية وهندسية غنية جداً. وقد شيدت حوامل شيقة جداً على هذه الكنيسة حيث نرى رأس ثور أو جدي على أحدها وصورة غزال - على الأرجح - على الآخر. ونجد في Gurtan أيضاً صلباناً متساوية الأضلاع موضوعة داخل حلقات.

نلخص ونؤكد أننا نرى بوضوح مراحل تطور مسقط كنيسة كارني وتأثيرها على كنائس Dashir ذات البهو الواحد التي جاء ذكرها حيث لا نلاحظ مراحل التحوّل من شكل المسقط الطولاني إلى العرضاني فحسب، بل نجد الذكاء والتفكير المتأني أثناء التصميم ونقش الأشكال الزخرفية التي ظهرت وتطورت لاحقاً في الهندسة الأرمنية في القرن السادس.

تعدّ Dziranavor في منطقة Odzoun الكنيسة الوحيدة ذات البهو الواحد والأروقة دون وجود الغرفتين الجانبيتين. وقد شيدت بأحجار مجلية (زال سقفها والجداران الجنوبي والغربي والنصف الغربي للرواق على الجهة الشمالية للكنيسة). وللرواق حنية دائرية على الجهة الشرقية حيث أضيفت غرفة مربعة الشكل على الجهة المقابلة بين القرنين ١٢ - ١٣م. وقد بقي من العناصر الزخرفية إفريز مؤلف من أقواس صغيرة كان فنّاً سائداً في القرن السادس فقط. وتشير حوامل الجدر الشمالي أن سقف الرواق كان جملونياً ومصنوعاً من الخشب.

(Dashiri Serahavaor Mianav Houshartsannere(p.41 – 43
M. M. Hasratian بالأرمنية

(أوابد داشير ذات البهو الواحد)

اكتشفت كنيسة بازيليكية ذات بهو واحد غير كبيرة أثناء التنقيبات قرب كنيسة شوغاكات في إتشميادزين حيث إلى الجهة الجنوبية منها وعلى نهاية الجدار الشرقي توجد حنية خارجية صغيرة من المحتمل كانت تغطي الجهة الشرقية من البهو الذي زال من الوجود. وقد شيدت الكنيسة على الأرجح في عهد الكاثوليكوس ساهاك بارتيف (٣٨٧ – ٤٣٦م) عندما أعيد بناء أضرحة القديسة هريبسيمة في نهاية القرن الرابع التي دمّرت من قبل الفرس. وبسبب ميزاتها المعمارية وتماثلها مع تلك الأضرحة، نعتقد أن هذا البازيليك يعود إلى القرن الرابع.

(L ' architecture arméniénne du IV – VI Siecles(p.42

A. Khatchadourian

توجد في وسط مدينة Yeghvart الأرمنية وقرب منزل أحد السكان أساسات كنيسة بازيليكية متطاولة ذات بهو واحد اكتشفت في أوائل القرن العشرين تحتوي على أربعة مداخل تقع ثلاثة منها على الجبهة الجنوبية والرابعة على الجبهة الغربية. ويؤكد وجود العامود الجداري – الذي يتألف من ثلاثة أرباع الدائرة – والجدار البارز على الزاوية الشمالية الغربية على شكل حرف Π اليوناني أن الرواق الخارجي كان يمتد حول الجبهة الغربية ابتداءً من الجهة الجنوبية. لذلك تعد Yeghvart كنيسة بازيليكية ذات بهو واحد تعود إلى القرن الخامس انطلاقاً من تفاصيل أجزائها المتبقية.

Ibid p.39

كان لكنيسة Hovhannavank ذات البهو الواحد – التي شيدت في القرن الرابع وأعيد بناؤها في عام ٥٥٣م – رواق خارجي.

كنائس بازيليكية ذات بهو واحد وغرفتين جانبيتين

لا يُعدّ عدد مجموعة هذه الكنائس كبيراً. وتقع ثلاثة منها وهي Toughو Pashvank و Hokeatsvank في باسفرجان. وقد تمّ اكتشافها في عام ١٩٧٠ ودُرست بعدئذ من قبل « مركز دراسات هندسة العمارة الأرمنية » في جامعة روما وصدر كتاب خاص حولها تحت عنوان:

(Le Basiliche di Tux , Xncorgin, Pashvank, Hogeatsvank)

Roma – 1973 Paulo Cuneo

لبازيليك Tough – التي حافظت على مسقطها – حلّ غير متناظر مع المحور الطولاني وذلك بسبب وجود الغرفة الجنوبية فقط. لذلك تمّ توسيع المصلّى نحو الجنوب عرضانياً. وعوضاً عن العامود الجداري المقنطر الكائن قرب الجدار الشمالي توجد ركيزة على شكل حرف T قرب الجدار الجنوبي باتجاه البهو. ونرى على مسقط هذه الآبدة قوس الحنية- الذي يشبه حدوة الفرس- يستند على أعمدة جدارية التي بدورها ترتفع على ركائز جدارية تمتاز بزخرفتها الخاصة والملفتة للنظر التي تتألف بصفين من المثلثات. ونجد أيضاً أن مدخل البازيليك الكائن في وسط هذه الواجهة تماماً يميل بمحوره الطولاني نحو الجهة الجنوبية.

لبازيليك Pashvank الكائن قرب Tough مسقط متناظر بسبب وجود الغرفتين المعقودتين إلى جانبي الحنية التي تشبه الحدوة. إلا أن نصف القسم الشرقي من الكنيسة الأصلية لازال محافظاً على وضعه السابق إلى جانب زوج من الركائز القوية التي تشبه حرف T اللاتيني.

وقد شيّد جدار بمدخل مركزي على الجهة الغربية لازال باقياً رغم مرور قرون عديدة. ولم يبق من القسم المهدّم من الكنيسة سوى أنقاض زوج من الركائز التي نراها على الأرض. وليس باستطاعتنا معرفة أبعاد الكنيسة إلا بعد إجراء التنقيب المنظم. وحسب أبحاث ومخطط Paulo Cuneo فإن كنيسة Pashvank ذات البهو الواحد

كانت كبيرة يصل طولها إلى ٢٢,٥م وتحتوي على أربعة أزواج من الركائز. ونلاحظ أيضاً أن قوس الحنية البارزة جداً – التي تشبه حدوة الفرس – يرتكز أيضاً على أعمدة جدارية ذات قواعد مزخرفة كما هو الحال في بازيليك Tough (من المؤكد أن الكنيستين شيدتا من قبل المهندس أو البنّاء ذاته). لكن لركائز قاعة الكنيسة مصطبة جدارية. أما تيجان قوس النصر فإنها مغطاة بزخارف نباتية مختلفة. ومن الزخارف التي تلفت الانتباه أكثر من سواها تلك الموجودة على تاج الركيزة الجدارية الشمالية حيث نقش شكل طائر بجناحين مفتوحين (نسر؟) يمسك شريطاً مموّجاً في مخلبيه.

وهناك زخرف يشبه الحية على القسم العلوي من هذا التاج ونلاحظ أيضاً الورود والزنابق موضوعة ضمن دائرة . ويختلف هذ الفن الزخرفي عن تلك التي نراها على الأوابد الأرمنية التي شيدت في القرون الوسطى، لذلك يعتبر P. Cuneo ذلك من تأثيرات الفن الفارسي – الساساني. ونجد تاريخ بناء هذه الكنيسة على شباك الجدار الغربي المرمّم حديثاً وهو عام ١٣٩١م الذي لم يلاحظه هذا الباحث الإيطالي. لذلك فإن أعمال الترميم في الكنيسة البازيليكية ذات البهو الواحد في Poshavank جرت في نهاية القرن الرابع عشر.

يقع دير Hokeatsavank إلى الجهة الجنوبية – الغربية من بحيرة Van. وقد شيدت الكنيسة ذات البهو الواحد في هذا المجمّع بين السور الشمالي والخوروس. ولهذه الكنيسة مسقط غير متناظر نسبياً لأن الغرفة الكائنة إلى الجهة الجنوبية من الحنية أضيق من الغرفة الشمالية. علاوة على ذلك فإن الركيزة الجدارية الجنوبية أقصر. ولا تحتوي هذه الكنيسة البازيليكية ذات البهو الواحد على عناصر تزيينية – زخرفية تمكّنا من تحديد تاريخ بنائها التقريبي.

ويعتقد هذا الباحث الإيطالي أن هذه الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد الكائنة في منطقة باسفرجان الأرمنية التاريخية شيدت بين القرنين ٥-٧ م. إلا أننا نرى أن هذا التأريخ تقريبي جداً لأنه لم تُبْنَ أبداً كنائس بازيليكية مماثلة في القرن السابع. ونعتقد كذلك أنه يجب تأريخ كنيستي Tough و Poshvank بين القرنين ٥-٦ م، أما كنيسة Hokeatsvank فمن الصعب جداً تأريخها كما أسلفنا وذلك لعدم وجود أية

عناصر مساعدة لذلك.

هناك كنيسة بازيليكية ذات بهو واحد ومسقط خاص وغرفتين جانبيتين في دير Asdvadzénkal.

T. Toramanian ……..p244

ويقسم البهو إلى ثلاثة أقسام عن طريق زوجين من الأعمدة الجدارية والأقواس الممتدة عليها. وللكنيسة مدخلان على جهتها الجنوبية والشمالية. وهناك غرفة مساعدة مستطيلة الشكل على الزاوية الجنوبية – الغربية من البهو وهي على اتصال مع الكنيسة عن طريق مدخل. وتوجد إلى جانب الحنية غرفة ضيقة طويلة ذات حنية صغيرة ليس لها باب مباشر نحو البهو، بل هي على اتصال بالممر الذي يؤدي إلى الكنيسةعن طريق الجهة الجنوبية. وتعتبر هذه الكنيسة ذات البهو الواحد من أوابد القرن الخامس انطلاقاً من حلولها المعمارية وعناصرها الزخرفية.

T. Toramanian ………. I, p.202

يعدّ بازيليك Lernakerd الكنيسة الوحيدة في هذه المجموعة التي حافظت على وضعها الأولي كاملاً دون تشويه. وهي ذات بهو واحد ومسقوفة بالقبو السريري Barrel Vault وممطوطة تصل أبعادها إلى (٢٢,٤ × ٨,٢م) ومبنية على مصطبة مثلثية الشكل وتحتوي على حنية وقوس على شكل حدوة فرس. وينقسم بهو المصلّى إلى أربعة أقسام متساوية بمساعدة ثلاثة أزواج من الركائز الجدارية والأقواس المعقودة ولها باب على كل من الجهة الجنوبية والغربية والشمالية. ومن التفاصيل التي تلفت النظر أيضاً الساكف المثلث الشكل والإفريز الكلاسيكي المسنّن وشباكي الجدار الغربي.

وقد درست هذه الكنيسة البازيليكية ذات البهو الواحد بإسهاب من قبل طوروس طورامانيان الذي أكد قائلاً: « عدا بعض الأقسام القليلة المرممة في القرن السابع، للكنيسة صفات تشير أن تاريخ تشييدها يعود إلى فترة أبكر من القرن الخامس ».

T. Toramanian .... II, p.245

وانطلاقاً من الميزات المعمارية لهذه الكنيسة يمكن التأكيد أنها تعود إلى القرن الرابع.

هناك أنقاض كنيسة بازيليكية ذات بهو واحد وخواص فريدة من نوعها في قرية أكاراك من ناحية أشداراك تتصف:

أ.- كانت الكنيسة قسماً عضوياً من قلعة تعود إلى القرون الوسطى. وقد تمّ تشييدها على الزاوية الجنوبية – الشرقية من القلعة. ويشكل جداراها الجنوبية والشرقية – اللتان تصل سماكتهما إلى ١,٥م – جداري القلعة التي بنيت ببلوكات أحجار الدوف المجلية التي تصل أبعادها إلى (٠,٧٥ × ١,٥م) ودُعّمتْ جدرانها القوية بالمساند الخارجية. وينتهي البهو في جهته الشرقية بحنية نصف دائرية.

ب.- والخصوصية الثانية لهذه الكنيسة أنه تمّ إضافة خوروس على الجهة الغربية أثناء بنائها أو ربما بعد إنشائها مباشرة. ونقش صليب متساوي الأضلاع ضمن دائرة

على الجهة الخارجية للخوروس الخارجي من جهة باحة القلعة التي شيدت في عصر الملوك الأرشاقونيين الأرمن في عام ٤٢٨م على الأرجح قبل فقدان أرمينيا لاستقلالها، لأن بناء القلاع والتحصينات أضحى محظوراً في البلاد بعد ذلك.

توجد في قرية Avan من ناحية أشداراك كنيسة بازيليكية ذات بهو واحد نصف مهدمة ومصطبة مضلّعة هُدم جدارها الجنوبي وعقد السقف فقط. وللبهو – الذي تصل أبعاده إلى ١٣,٩ × ٦م – زوج من الركائز الجدارية.

Ibid p.233

وقد نحتت نقوش نباتية حول صليب متساوي الأضلاع على تاجي العامودين الجداريين الواقعين إلى جانبي الحنية. وبناء على تأكيدات طورامانيان « تعود هذه الكنيسة – دون أدنى ريب – إلى القرن الخامس ».

كانت هناك كنيسة بازيليكية نصف مهدمة ذات بهو واحد وزوجين من الأقواس المعقودة وأعمدة جدارية على الجهة الخارجية من الجدار الشمالي تحتوي على أربعة هياكل وعلى بعد ٢-٣كم إلى الجهة الجنوبية – الغربية من كاتدرائية Tekor وفي قرية أكاراك وعلى الجهة الشمالية من كنيسة القديس استيفان التي لا وجود لها الآن. وقد أرّخها طورامانيان عند دراستها ميدانياً قبل حوالي قرن أنها تنتمي إلى القرن الخامس.

Ibid p.111

تدخل في هذه المجموعة كنيسة بازيليكية صغيرة ذات بهو واحد وعناصر زخرفية عديدة على ساكف مدخلها الغربي الرئيس. وقد شيدت هذه الكنيسة في القرون الوسطى المبكرة وتقع في بساتين حي Avan في يريفان العاصمة.

(Yerevan, Midchnadaryan Houshartsannere yev Vimakan Artsanakroutyounnere) Yerevan – 1975 Garo Ghafadarian بالأرمنية

(يريفان، الأوابد القروسطية والكتابات الجدارية)

وكنيسة « المخلِّص » ذات البهو الواحد في قرية Shenik المهدّمة التي تحتوي على الأقواس المعقودة والحنية التي تشبه حدوة الفرس والمصطبة المضلّعة تمّ اكتشافها

أثناء التنقيبات المنهجية على الجهة الشمالية من كاتدرائية تالين (التي تعود إلى القرن الرابع) إلى جانب الكنيسة ذات البهو الواحد وزوج من الأعمدة الجدارية والحنية على شكل حدوة فرس التي تقع إلى الجهة الشمالية والغرفة المساعدة لكنيسة كاساخ البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة.

(Kasakhi Bazilikayi Djardarabedutyune) p. 53/54

A.Sahinian بالأرمنية

(هندسة عمارة بازيليك كاساخ)

هناك كنيستان ذات بهو واحد (من المحتمل من القرن الخامس) شيدتا في الحقبة القروسطية المبكرة تحتفظان على شكليهما الأصليين بما فيها السقفين. وتقع الكنيسة الأولى في Bemzashen داخل مجمّع مؤلف من ثلاث كنائس متجاورة تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة. أما الكنيسة الأخرى فإنها تقع في دير Garenis الواقع في وادي نهر هرازدان. وتمتاز هذه الكنيسة باحتوائها على مدفن معقود محفور تحت أرضية المصلّى وذلك لحفظ ذخائر الشهداء والقديسين.

(Lousakerdi Djardarabedakan Yerkou Houshartsanner)

M. Hasratian بالأرمنية

(آبدتان معماريتان في لوساكرد)

هناك آراء متضاربة بين الاختصاصيين في تاريخ هندسة العمارة الأرمنية حول تأريخ كنيسة البلاط في مدينة آني العاصمة الأرمنية. وبينما يؤكد بعض الباحثين أنها شيدت في عام ٦٢٢م، يرى آخرون أنها بنيت في حقبة الملوك البقراودونيين الأرمن. والكنيسة في حالة خراب شبه كامل، لذلك من غير اليسير تقديم جواب نهائي حول ذلك.

بعد الانتهاء من قسم الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد في أرمينيا نرى أنه علينا الرجوع إلى بعض المسائل التي جرت أثناء الأبحاث التي قمنا بها ميدانياً التي لها علاقة بأشكال سقوف الكنائس وغرفها المساعدة وأسباب وحقبة ظهور الأروقة.

ليست المعلومات التي وجدناها في الكتب الاختصاصية – التي تبحث حول كنائس أرمينيا التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة ولا أبحاثنا الميدانية الخاصة حول سلسلة من الأوابد – كافية لتحديد مسـألة الأوابد إنْ كانت مغطاة بسقوف خشبية أم كانت ذات قبو سريري وذلك عن طريق إيجاد قواعد معمارية وإنشائية عامة يمكن بعدها إلقاء الضوء على هذه المعضلة.

هناك بعض الأوابد القليلة التي ذكرت في الحوليات التاريخية أنها كانت مغطاة بسقف خشبي ككنيسة Hovhannavank ذات البهو الواحد. ونعلم من أبحاث بعض العلماء أن وجود القبو السريري على الكنائس ذات البهو الواحد مرتبط بوجود الركائز الجدارية وفي حال غيابها يجب التأكيد أن سقف الآبدة كان خشبياً.

كان استخدام السقف الخشبي في كنائس أرمينيا – التي شيدت في الحقبة المسيحية المبكرة – نادراً حسب رأينا ولا يشكل ميّزة خاصة في عمارة تلك العصور. ويمكن توضيح هذه الظاهرة أن عدد كنائس أرمينيا كان كبيراً جداً وقد شيدت على عجل في حقبة عقدين أو ثلاثة عقود لإتاحة مساحة أوسع لصلاة جموع المؤمنين الغفيرة وخاصة أن بناء السقف الخشبي كان أيسر إنشائياً ويمكن إتمامه بسرعة كبيرة. وقام المهندسون والبناؤون الأرمن في أحيان كثيرة ببناء كنائس ذات جدران سميكة التي يسرت مستقبلاً عملية بناء قبو سريري Barrel Vault بعد هدم السقف الخشبي. ومن المحتمل جداً أن ذلك جرى لاحقاً في عشرات الكنائس. ومن المحتمل جداً أيضاً أن بعض الكنائس تمّ تغطيتها بسقوف خشبية في الحقبة القروسطية المتأخرة عند إجراء الترميمات عليها.

لم يكن تكنيك صف الجدران الثلاثي – الذي يسمى Medis وهو من ميزات العمارة الأرمنية المبكرة – طرازاً معمارياً لبناء أوابد ذات سقف خشبي. وإذا أخذنا بعين الاعتبار جيران أرمينيا وخاصة سوريا– حيث كانت السقوف من الخشب بشكل عام – نرى أن جدران الأبنية السورية الدينية والمدنية كانت ذات طبقة واحدة في الحقبة المسيحية المبكرة وأرقّ من جدران أية كنيسة أرمنية شيدت في الحقبة ذاتها. علاوة على ذلك لم تستخدم المواد الملاطية أو الرصاص أو الحديد وغيرها في أوابد منطقة الشمال السوري خاصة. لذلك فمن البديهي أن استخدام الملاط في بناء الأوابد

الأرمنية في الحقبة المسيحية المبكرة سيفرض على تبنّي فن معماري خاص يختلف كلياً عن فن الأوابد المغطاة بسقوف خشبية.

وإنها حقيقة أن استخدام الركائز الجدارية في كنائس الحقبة المسيحية المبكرة مرتبط مع وجود القبو السريري بغض النظر عن عدم استخدام تلك الركائز بالأعداد ذاتها في كنائس مماثلة في أبعادها وأشكالها. لذلك فإننا لا نرى أية قاعدة أو حاجة لاستخدام الأقواس المعقودة في الكنائس وخاصة ذات البهو الواحد. وهناك كنائس ذات بهو واحد لا تحتوي على ركائز جدارية إلا أن جدرانها سميكة لدرجة تمكّنها من حمل القبو السريري الحجري.

ومن جهة أخرى هناك كنائس ذات بهو واحد تحتوي على أزواج من الركائز والأعمدة الجدارية. ومن الإلزامي الإشارة أنه في حال وجود ركائز جدارية عديدة تكون الجدران أسمك بشكل عام، أما في حال وجود عدد أقل من الركائز أو الأعمدة الجدارية تكون الجدران أرقّ. ومثالنا النموذجي على ذلك كنيسة Yeghvart ذات البهو الواحد. وهناك أمثلة عديدة بين كنائس أرمينيا ذات البهو الواحد التي شيدت في الحقبة المسيحية المبكرة التي لها ركائز مختلفة في أشكالها وسماكتها وجدرانها التي لا تخضع لأية قاعدة معمارية.

نختصر مؤكدين أن تلك الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد التي كانت مغطاة سابقاً بسقف خشبي مثل Tanahad و Parbi و Voskevaz و Hovhannavank و lousakerd أضيفت إليها الركائز الجدارية، بينما جميع الأوابد الدينية المتبقية – بغض النظر عن سماكة جدرانها الطولانية أو غياب ركائزها أو أعمدتها الجدارية – كانت لا شك ذات سقوف على شكل قبو سريري.

أما فيما يتعلّق بالغرف إلى جانبي الحنية والأروقة، يؤكد الباحث الأثري الأرمني الكبير طوروس طورامانيان أن حاجة بناء غرفة مساعدة واحدة إلى جانب الكنيسة ظهرت في بادئ الأمر في القرن الخامس وأصبحت بعد ذلك فرضاً من قبل السلطات الدينية. وكانت النتيجة ظهور أشكال غير رفيعة فنياً ومعمارياً مثل كنيسة Garnoud و Kasakh وغيرهما.

T. Toramanian .....I, p. 118 – 121

وقد شيدت هذه الغرفة المساعدة في بادئ الأمر كمأوى للكاهن وللمحافظة على آنية وألبسة الطقوس الدينية. ويؤكد طورامانيان أنه لم تُبْنَ كنائس مرموقة في أرمينيا قبل القرن الخامس الميلادي. ويستخلص قائلاً:

« إذاً كيف يمكننا الشك أن كنيستي Shirvantsough و Yeghvart كانتا مناسبتين بشكل كامل للفترة الأولى لتنصّر الأرمن بسبب عدم الحاجة إلى هذه الغرفة الجانبية وعدم وجود تشريع كنسي أرمني في تلك الحقبة لحفظ الأواني المقدسة أو لسكن الكاهن فيها ».

Ibid p.120

وحسب رأيه أيضاً بُدئ باستعمال الأروقة في الكنائس الأرمنية ابتداءً من القرن الخامس. وهكذا وإذا أخذنا بصحة هذه النظريات نصل إلى استنتاج أنه لاتوجد أية كنيسة في أرمينيا في الحقبة المسيحية المبكرة كان لها تصميم مركّب ومعقّد كاحتوائها على غرفة جانبية وأروقة.

ينفي طورامانيان أيضاً مسألة استخدام الحنية نصف الدائرية في كنائس القرن الرابع في أرمينيا ويعتبر أن القرن الخامس فقط هو بداية استخدام هذا الشكل المعماري بينما حنيات القرن الرابع كانت مستطيلة الشكل.

لقد تمّ قبول التطور التدريجي لمساقط الآوابد الدينية في أرمينيا وتأريخ ظهور الأقسام المتممة لها لاحقاً دون تحفظ من قبل الباحث الأرمني المرموق أ. ساهينيان وبعض العلماء الاخرين.

Sahinian (Kasakhi Bazilikayi Djardarabedutyune) بالأرمنية

(هندسة عمارة بازيليك كاساخ)

إن الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد، التي شيدت حسب رأي هؤلاء في الحقبة المسيحية المبكرة التي لا تحتوي على غرفة مجاورة للحنية أو رواق حولها، يجب اعتبارها أوابد من القرن الرابع. وبالتالي فإن الغرف المساعدة والأروقة في الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة والبهو الواحد هي عناصر أضيفت إليها لاحقاً. إلا أننا نعتقد أن هذا

التصنيف في تطور الكنائس لا يمت إلى الحقيقة بصلة وإنه إجراء اصطناعي لأن ط. طورامانيان لم يتعرّف في الواقع سوى على عدد قليل جداً من الكنائس ذات البهو الواحد والغرفة الجانبية والروا ق الخارجي، لذلك لم يكن بمقدوره طبعاً الوصول إلى نتائج أفضل بسبب اكتشاف المنقبين الأرمن وبعض الباحثين الأجانب ميدانياً لاحقاً لعشرات الكنائس ذات الحنية نصف الدائرية أو على شكل حدوة تحتوي على غرفة أو غرفتين جانبيتين ورواق أو أروقة خارجية تعود بقدمها إلى القرنين ٤-٥م.

لكن كيف يمكننا تبرير تلك الحقيقة أنه شيدت في أرمينيا وفي تلك الحقبة بالذات بين القرنين ٤-٥ م كنائس تحتوي على غرف مساعدة إلى جانب كنائس لا تحتوي على هذه العناصر؟. ويمكننا تقديم بعض الشروحات المحتملة حول ذلك على الشكل التالي:

١.- قبل إقرار قانون إلزام تشييد الغرفة المساعدة إلى جانب الحنية، شعر بعض الكهنة في بعض مقاطعات أرمينيا بالحاجة إليها فقاموا ببنائها. وتدخل هذه الناحية ضمن الاحتمالات الكبيرة وخاصة عندما تكون الكنيسة بعيدة عن القرية أو عن المناطق المأهولة.

٢.- من المحتمل اعتبار بناء تلك الغرفة الجانبية أمراً لا فائدة منه في بعض الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد التي شيدت في القرية ولم يكن صعباً على الكهنة الوصول إليها عند الحاجة.

٣.- شيدت الغرفة المساعدة إلى جانب حنية الكنيسة الكبيرة كي يتمكن الكاهنان من خدمة كنيستين معاً انطلاقاً من هذه الغرفة في حال وجود كنيستين في القرية الواحدة منها كبيرة والأخرى صغيرة.

٤.- من المحتمل أنه ضُمّتْ كنيسة ذات بهو واحد إلى كنيسة أخرى فاستخدمت الغرفة الوحيدة لخدمة الكنيستين معاً، ومثالنا على ذلك كنيسة كاساخ البازيليكية.

٥.- من المحتمل أن سلسلة من الكنائس كانت تنتمي إلى مجمّعات أديرة حيث كان للكهنة غرفهم الخاصة إلى جانب مكان لحفظ الأواني الكنسية. وهذا – حسب رأينا – احتمال كبير ويمكننا التأكيد أنه كانت توجد سلسلة كبيرة من مجمعات الأديرة على

مساحة أرمينيا ولكن بقي منها بعض الكنائس فقط. وتؤكد بعض بنود الدستور الكنسي الأرمني المبكّر أيضاً على وجود هذه المجمعات.

(Ganonakirk Hayots) Yerevan – 1964 p. 44/45 بالأرمنية

(قانون الأرمن)

أما فيما يتعلق بغياب الأروقة في الكنائس التي قمنا بدراستها، فإنه يمكننا إعادة التأكيد أن وجودها بين القرنين ٤-٦م كان مرتبطاً بالغرف التي تبرز عن جسم الكنيسة. ولا تعتبر هذه الظاهرة محض صدفة لأنه جرت العادة أن تخصص الأروقة بشكل رئيس للأشخاص الذين يبتغون التوبة. ويكفي أن نلقي نظرة سريعة على فحوى بنود الدستور الكنسي في تلك الحقبة لنرى الفروض العديدة التي كانت تقع على كاهل التائب ومدة التوبة.

نرى في بنود الدساتير التي ذكرها المؤرخ الأرمني Hovan Odznetsi أن فروضاً قاسية كانت تقع على عاتق طالبي التوبة خارج الكنيسة أو قرب المدخل. ويمكن الغفران لطالب التوبة بعد أداء جميع تلك الفروض دون نقصان ويمكنه بعد ذلك فقط الدخول إلى حرم الكنيسة والحصول على حقوق متساوية مع المؤمنين الأخرين.

Ibid p. 116/7, 157/8, 166/7, 171, 385, 440, 742

وبسبب هذه القوانين الكنسية والفروض الصارمة التي وضعت على هؤلاء كانت مراقبة تنفيذها صارمة أيضاً. وبما أن مكان التوبة يقع على القسم الخارجي من الكنيسة مباشرة أي في الرواق، كان على المراقِب (الكاهن على الأرجح) أن يظل بقربهم في غرفة إلى جانب الكنيسة. وهذا هو السبب الرئيس – حسب اعتقادنا – في تشييد الغرف المساعدة والأروقة في الكنائس الأرمنية في الحقبة المسيحية المبكرة. وهناك صلة عضوية متينة بين هذين العنصرين لأن وجود الواحد منهما مشروط بوجود الآخر إلى أن سادت العقيدة المسيحية على كامل مساحة البلاد – عدا بعض المواقع الصغيرة – مع بقاء بعض الجماعات القليلة من الوثنيين الذين من أجلهم صيغت قوانين التوبة الصارمة هذه. ومع مرور الوقت وابتداءً من القرن السابع تحديداً تمّ إيطال بناء الأروقة

حول الكنائس الأرمنية. أما الغرفتان المساعدتـــان اللتان تقعان على جانبي الحنيــة، فإنهمـــا بقيتا بنـــاء على قوانيـــن كنســـية ملزمة وذلك للحفاظ على آنيـــة الكنيســـة المقدسة وثياب الكهنة وغيرها من المستلزمات التي تمّت بصلة إلى الطقوس الكنسية.

نلخص نتائج أبحاثنا الميدانية في هذه المسألة مؤكدين أن الكنائس البازيليكية الأرمنية ذات البهو الواحد- التي تحتوي على حنية خارجية بارزة أو حنية محاطة بجدار مستطيل الشكل أو غرف جانبية مساعدة أو أروقة والكنائس التي تحتوي على جميع هذه العناصر الإضافية معاً -شيّدت في أرمينيا في الحقبة ذاتها من القرون الوسطى المبكرة، لذلك يجب ألا تؤرخ تلك الكنائس انطلاقاً من وجود أو غياب هذه العناصر الإضافية.

الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة

عدد الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة في أرمينيا متواضع جداً وذلك بسبب انهدام معظمها على مرّ القرون. لذلك نأمل أن تخرج إلى الوجود كنائس بازيليكية جديدة اثناء التنقيبات الأثرية المنهجية معتقدين أن بعضاً منها أعيد بناؤها وترميمها وتغييرت معالمها الأولية. ومع ذلك فإن عدد الكنائس البازيليكية الأرمنية ذات الأبهاء الثلاثة – التي تعود إلى الحقبة القروسطية المبكرة – قليلة مقارنة مع الدول المجاورة كجيورجيا وسوريا كابادوكيا.

بحوزتنا معلومات حول سبع كنائس أرمنية بازيليكية ذات أبهاء ثلاثة ككنيسة الصليب المقدس في كاساخ و Dziranavor في أشداراك وكنيسة القديس كريكور المنوِّر في كل من دبيل و Yeghvart و Dziranavank و Yereruk و Aghtsi التي اكتشفت في السبعينات من القرن الماضي. ويُعتقد أن كنيسة القديس سيرجيوس في Tekor وكاتدرائية إتشميادزين كان لهما مسقط بازيليكي بأبهاء ثلاثة.

1.- T.Toramanian ....I, p.185 – 219

2.- (Récherche Scientifique sous les Voutes de la Cathedrale d'Etchmiadzin) A. Sahinian " Revue des Etudes Armeniens" III Paris – 1966 .

نشرت أبحاث حول الكنائس الأرمنية ذات الأبهاء الثلاثة التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة مثل Yereruk و Kasakh و Dzidzernavank وكاتدرائية آني – العاصمة الأرمنية في تلك الحقبة – المهداة إلى القديس كريكور كذلك حول كنائس أشداراك و Aghtsi و Yeghvart البازيليكية.

1.- N. Marr (Yereruskaya Bazilika) Yerevan – 1968

2.- A. Sahinian (Kasakhi Bazilikayi Djardarabedutyunne) Yerevan – 1955 بالأرمنية

(هندسة عمارة بازيليك كاساخ)

3.- M. Hasratian (Tsitsernavank) Moscow – 1990 باللغة الروسية والانكليزية

4a.- (Dvini V-VII dareri Djardarabedakan Houshartsannere) Yerevan – 1950 V. Haroutyunian بالأرمنية

(أوابد مدينة دبيل بين القرنين ٥-٧م)

4 b.- (Dvin kaghake yev nera beghoumnere) I, Yerevan – 1952 بالأرمنية

(مدينة دبيل والتنقيبات الأثرية فيها)

5.-(Amarasi Djardarabedakan Hamalire) "Lraber Hasarakakan kidutyunneri"No-5, 1975 M.M. Hasratian بالأرمنية

(مجمّع أماراس المعماري)

كنيسة الصليب المقدس ذات القبو السريري Barrel Vault المغطاة بالقرميد الأحمر والقائمة في وسط مدينة أباران (بازيليك كاساخ) مبنية بحجر الدوف الرمادي البركاني المحلي. وينقسم البهو إلى ثلاثة أقسام بثلاثة أزواج من الركائز تشبه حرف T . وينتهي المصلى من جهته الشرقية بحنية على شكل حدوة من الداخل وحنية مضلعة خماسية من الجهة الخارجية. والغرفة المساعدة الوحيدة تقع إلى الجهة الشرقية من جدار الكنيسة الشمالي وتتصل بالكنيسة عن طريق مدخل يؤدي إلى البهو الشمالي. وهناك قاعة معقودة السقف ذات ثلاثة أزواج من الركائز. وإلى جانب الجدار الشمالي تمّ لاحقاً تشييد كنيسة ذات بهو واحد بين القرنين ٥-٦م.

ولبازيليك كاساخ واجهة مثلثية الشكل تحتوي على أفاريز كلاسيكية. وكان لبابي الكنيسة الغربي والجنوبي – حسب مخطط أ. ساهينيان- قوسان على شكل حدوة فرس وإلى جانبي المدخلين يوجد زوج من أنصاف الأعمدة اللتين توّجتا بنجفة مثلثية الشكل.

A.- Sahinian ....p 136/7

وقد شيدت الكنيسة انطلاقاً من Modul خاص ثابت يعادل طول الركيزة وذلك عند صياغة أقسام البازيليك المختلفة.

يعتبر بازيليك – كاساخ- حسب تأكيدات أ. ساهينيان – من أولى الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة التي بنيت في أرمينيا في الفترة الأولى لإعلان المسيحية ديناً رسمياً للدولة أي في السنوات الأولى للقرن الرابع.

Ibid p.238

تعتبر كاتدرائية القديس كريكور في دبيل ذات الحنية المضلّعة الثلاثية البارزة نحو الجهة الخارجية – حسب المعلومات التي استخلصناها من المؤرخين الأرمن القدماء – من الكنائس البازيليكية التي تمّ التأكد من تاريخ بنائها، لأن المؤرخ الأرمني المعاصر أوهانس تراسخاناكيردتسي يؤكد أن حاكم أرمينيا في دبيل الأمير واهان ماميكونيان شيد كاتدرائية على أنقاض معبد وثني ونقل كرسي الكاثوليكوسية من Vagharshabad إلى دبيل في عهد الكاثوليكوس Küd A. Utsetsi بين عامي ٤٦١ – ٤٧٨م.

H. Traskhanakerdtsi (Badmutyun Hayots) Tbilisi – 1912 p.59 بالأرمنية

(تاريخ الأرمن)

كانت كاتدرائية دبيل – التي اكتشفت أثناء التنقيبات الأثرية – قد شيدت في القرن الخامس على شكل كنيسة بازيليكية ذات أبهاء ثلاثة بمساعدة ثمانية أزواج من الركائز ومحاطة بأروقة على جهاتها الخارجية من الغرب والشمال والجنوب. وتوجد إلى جانبي الحنية غرفان مساعدتان مستطيلتا الشكل.

Garo Ghafadarian I

وكانت هذه الكاتدرائية من أكبر الأبنية الدينية في أرمينيا في الحقبة القروسطية وتصل أبعادها دون الأروقة إلى مقاييس كبيرة جداً (٥٢,٣٥×٢١,٣م).

يذكر المؤرخ الأرمني من القرن الخامس Ghazar Parbetsi بدوره هذه الكاتدرائية ويصف الاحتفالات التي جرت فيها في عام ٤٨٥م بعد تنصيب الأمير واهان ماميكونيان حاكماً على أرمينيا مشيراً إلى الحشد الشعبي الغفير الذي وقف في الرواق الخارجي للكنيسة بسبب عدم سعة الكنيسة.

Gh. Parbetsi (Badmutyun Hayouts) Depghis – 1904 p.178 بالأرمنية

(تاريخ الأرمن)

وقد أحرق الفرس الكاتدرائية وقاموا بتخريبها في عام ٥٧٢م بسبب الثورة الأرمنية ضدهم. وقام حاكم أرمينيا سمباد بقرادوني والكاثوليكوس بعد ذلك بأعمال

ترميمية كاملة بين عامي ٦٠٧ – ٦١٥م وتحولت الكاتدرائية إلى كنيسة مقببة ذات أربع ركائز.

Sebeos (Badmutyun) Yerevan – 1935 p.65 بالأرمنية

(تاريخ)

إلا أن هذه الكاتدرائية وجميع أبنية العاصمة الأرمنية دبيل هدمت بشكل كامل بسبب الهزة الأرضية القوية التي حدثت في عام ٩٨٣م ولم ترمّم هذه الكنيسة منذئذ وحتى الآن أبداً.

للكنيسة البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة التي تقع في وسط مدينة Yeghvart حنية بارزة مضلّعة خماسية. وهناك سلسلة من الميزات في مسقطها منها:

ا.– للحنية خوروس Chorus عميق يصل إلى ٢،٥م.

ب.– لا ينتهي البهوان الجانبيان بغرفتين بل بحنيتين مبنيتين داخل الجدار الشرقي السميك.

ج.– لهذه الكنيسة عدد أكبر من المداخل – مقارنة مع بقية الكنائس – وتحتوي على ثلاثة أبواب على كل من الجدارين الجنوبي والشمالي ومدخل واحد على الجدار الغربي.

د.– ينقسم البهو إلى ثلاثة أبهاء بأربعة ركائز قوية لها شكل حرف T التي لم تكن موجودة أثناء بناء الكنيسة، بل أضيفت إليها أثناء استبدال السقف الخشبي بالسقف ذي القبو السريري الحجري.

هناك أربعة أزواج من الركائز الجدارية قرب الجدارين الطولانيين كانت تحمل أربعة أزواج من الأعمدة الجدارية وهذه بالتالي تحمل أعمدة السقف الخشبي التي لا يتطابق محورها مع محور الركائز الجدارية.

هـــ.– لمدخل هذه الكنيسة الرئيس الغربي زخارف جميلة ودقيقة جداً. ونرى وردة ذات ست وريقات على الساكف موضوعة في حلقة. ويوجد إلى جانبي المدخل زوج من الأعمدة الجدارية متوّجتان بقوس عليه زخارف مسننة. وقد شيدت هذه الكنيسة ذات الأبهاء الثلاثة في القرن الخامس وأعيد بناء سقفها بين القرنين ٦–٧م.

أما بقية حنيات الكنائس الأرمنية البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة، فإنها محاطة بجدار مستطيل من الجهة الخارجية.

يعتبر بازيليك Yereruk من أشهر الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة الأرمنية المبنية في الحقبة المسيحية المبكرة ومن الأوابد التي تمّ الحديث والكتابة عنها كثيراً – أكثر من غيرها – في مؤلفات حول تاريخ هندسة العمارة الأرمنية والبيزنطية وذلك بسبب ميزات مسقطها وعناصرها الزخرفية وعلاقتها بالكنائس السورية البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة التي تعود إلى الحقبة المبكّرة من القرون الوسطى. وتقع هذه الكنيسة في الجهة الشرقية من ناحية Ani – Bemza على أرض منبسطة ومبنية على مصطبة مدرّجة. وينقسم المصلّى الطويل إلى ثلاثة أبهاء عن طريق ثلاثة أزواج من الركائز المصلّبة. ويلاحظ أن البهو الأوسط أعرض من البهوين الجانبيين بثلاث مرات. ويعتبر نيكولاي مار أول المنقبين ودارسي هذه الكنيسة الذي أكد على شكل ركائزها المصلبة. وبدوره قام طورامانيان – الذي درس هذا البازيليك مع مار – بتحديد أبعادها وقام بنشر دراسة تؤكد على شكل الركائز المصلبة.

T. Toramanian ....I, p. 114

وهناك باحثون عديدون منهم (ن. طوكارسكي) و (أ. ياكوبسون) و (أ. ساهينيان) و (ف. هاروتيونيان) و (هـ. خالباخجيان) أكدوا أن ركائزها هي على شكل حرف T. إلا أن التنقيبات الأثرية المنهجية في السنوات الأخيرة أظهرت أن قاعدة الركيزة الجنوبية – الشرقية هي مصلّبة الشكل.

ينتهي بهو البازيليك الأوسط على جهته الشرقية بحنية نصف دائرية وتوجد إلى جانبيها غرفتان على ارتفاع طابقين ذات سقف قبوي. وهناك على الجهة الغربية المقابلة برجان مؤلفان من طابقين يصل ارتفاعهما ارتفاع الغرفتين السابقتين (البرج الجنوبي في حالة خراب تام). وتحيط الأروقة بالكنيسة من جهاتها الثلاث وينتهي الرواق الجنوبي والقسم الشرقي من الرواق الشمالي بحنية. وتعد القاعة الغربية ذات القناطر الثلاث نتاج إعادة ترميم الكنيسة في الحقبة القروسطية المبكرة. وقد بقي من

هذه الغرفة أعمدتها الجدارية فقط. وبعد القيام بأعمال ترميمية تحولت هذه القاعة الغربية عملياً إلى نارتكس.

هناك آراء متضاربة حول طبيعة سقوف أبهاء بازيليك Yereruk. ويرى معظم الباحثين أن البهوين الجانبيين كانا بسقفين مؤلفين من قبو سريري أما سقف البهو الأوسط فقد كان خشبياً حسب رأي طوكارسكي، بينما يؤكد سترجيكوفسكي على أن البهو الأوسط كان مغطى بقبو سريري.

1.- N.M. Tokarsky (Arkhitectura Drevnoi Armenii)

Yerevan, 1946, p.52

2.- (Die Baukunst der Armenier und Europa) Wien – 1918

J. Strzygowski

ونرى شخصياً أن البهو الأوسط كان ذو قبو سريري إلا أنه ليست لدينا أية أدلة علمية كافية حول السقف الخشبي. ويؤكد ساهينيان أن الرواقين الشمالي والجنوبي والغرفتين الجانبيتين المساعدتين والنارتكس هي من العناصر التي أضيفت إليها لاحقاً.

A.- Sahinian ....p. 96

وقد رأينا أثناء دراستنا الميدانية في الموقع أن الغرفة الغربية هي الغرفة الأصلية التي تمّ ترميمها لاحقاً. إضافة على ذلك هناك مسألة حيوية أخرى صادفناها في المكان وهي وصولنا إلى قناعة كافية أن الأروقة والغرف البرجية على الجبهة الغربية منصهرة عضوياً مع جداري الكنيسة الطولانيين عكس ما يقال أنها من العناصر التي أضيفت إليها لاحقاً.

اكتُشفتْ في الثمانينات من القرن الماضي ظاهرة شيقة على الجبهة الجنوبية من الكنيسة وهي عبارة عن كتابة منقوشة باللغة اليونانية مأخوذة من الكتاب المقدس التي نقشت حرفياً أيضاً على الكنيسة البازيليكية الشمالية في دير سمعان في سوريا الشمالية.

(Zametki po Gretcheskoi Epigraphike Armenii) P. Shelov – Kovediaev

" Istoriko – Filologitcheski Journal" 1986, No – 1, p. 59 – 68

نؤكد أن كنيسة Yereruk ذات الأبهاء الثلاثة لها علاقة كبيرة بشكل عام مع الكنائس البازيليكية السورية ذات الأبهاء الثلاثة التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة كترمانين وقلب لوزة ورويحة من حيث الشكل وميزات مسقطها وحلول جبهاتها المعمارية المختلفة وغزارة عناصرها الزخرفية، وتختلف بالتالي عن بقية الكنائس البازيليكية الأرمنية ذات الأبهاء الثلاثة.

لكنيسة Dziranavor ذات الأبهاء الثلاثة – الواقعة في منطقة أشداراك – قاعة تحتوي على ثلاثة أزواج من الركائز على شكل حرف T وتنتهي جبهتها الشرقية بغرفتين إلى جانبي حنية تشبه الحدوة وهي محصورة ضمن جدران مستطيلة الشكل من الجهة الخارجية. وكان المصلى مغطى بسقف خشبي – كما في بازيليك Yeghvart. وقد حُوِّلتْ الكنيسة إلى قلعة في القرون الوسطى بعد تشييد جدار ثان على جبهتيها الشمالية والغربية وأعيد ترميم الجدار الجنوبي.

كان الباحثون يرون – حتى السنوات الماضية – أن سقف بازيليك أشداراك كان ذو قبو سريري تمّ تشييده أثناء ترميم الجبهة الشرقية للكنيسة. إلا أنه عندما أمرت السلطات الأرمنية بإزالة الجدار الإضافي التحصيني في الثمانينات من القرن الماضي، تبين بجلاء أن للكنيسة « مقطعاً بازيليكياً »، أي البهو الأوسط أعلى من البهوين الجانبيين. وقد شيدت هذه الكنيسة البازيليكية في القرن الخامس ورممت للمرة الأولى في الحقبة القروسطية المبكرة عندما تمّ استبدال السقف الخشبي بالسقف المعقود.

اكتشفت في سبعينات القرن الماضي كنيسة بازيليكية ذات أبهاء ثلاثة لها ميزات خاصة (حولها السكان المحليون إلى ورشة حدادة في القرون الوسطى المتأخرة) في قرية Aghtsi التاريخية قرب مدفن مشهور للملوك الأرشاقونيين الأرمن الذي بنى في عام ٣٦٤م. وقد ذكرت هذه الكنيسة لأول مرة من قبل طورامانيان وهوفسبيان. وعلى بعد بضعة أمتار من هذا المدفن اكتشفت قاعدة نصب يعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة. وينقسم بهو البازيليك إلى ثلاثة أبهاء عن طريق أربع ركائز مصلّبة، والبهو الأوسط أوسع بكثير من البهوين الجانبيين وتصل النسبة إلى ٤:١ والحنية من الجهة الداخلية تشبه الحدوة البارزة. وهناك غرفة جانبية إلى الجهة الجنوبية من الحنية

والاثنـــان محاطـــان بجدار خارجي عـــام على الجهـــة الشرقية. ويلاحظ أن سماكـــة الجدران تصل إلى ١٥٠ – ١٧٠ سم وبنيت الحنية بأحجار كبيرة تصل أبعادها إلى ٦٠×٢٠×١٢٠سم.

يلفت انتباهنا شكل الركائز المصلّب في كنيسة Aghtsi ذات الأبهاء الثلاثة. وقد تمّ تركيب ألواح حجرية شاقولية حول لب الركائز المربعة الشكل. وتصل أبعاد هذه الألواح إلى ٩٠×١٧٠ سم و٩٠×١٥٠ سم. ويرتبط بعض هذه الألواح الحجرية باللب عضوياً عن طريق الملاط ويترك بعضها الآخر لدينا انطباعاً أنه جرى إضافتها لاحقاً. ولم تبق من الركائز المصلّبة – مع الأسف – سوى الركيزة الشمالية الشرقية. أما الركيزتان الجنوبيتان فإنهما على شكل حرف T. وانطلاقاً من الأقسام الزخرفية المتبقية على الكنيسة وقواعد أطراف الركائز وعناصر أخرى، يمكن التأكيد أن هذه الكنيسة شيدت في القرن الرابع.

تقع كنيسة Dzidzernavank البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة في منطقة لاتشين Latshin بين جمهورية أرمينيا ومنطقة ناكورنو غاراباغ وهي من الكنائس الأرمنية التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة التي حافظت على شكلها الأولي.

M. S. Hasratian (Dzidzernavank) “Badmabanasirakan Handes” 1980,
No.2بالأرمنية

(بازيليك دزيدزرنافانك)

وينقسم بهو هذه الكنيسة الطويلة إلى ثلاثة أبهاء عن طريق أربعة أزواج من الركائز. وينتهي البهو الأوسط على جهته الشرقية بحنية على شكل حدوة بارزة التي لاتحتوي على شبابيك. وهناك غرفتان إلى جانبي الحدوة على شكل شبه منحرف وشرفة بثلاث فتحات مقوّسة تقع إلى الأعلى من الحنية وهي ظاهرة نادرة في هندسة العمارة الأرمنية.

يضاء بهو الكنيسة الأوسط عن طريق الشبابيك المفتوحة في القسم العلوي من الجدارين الطولانيين للبهوين الجانبيين. وقد شيد القسم الأسفل من الكنيسة بمداميك من البازلت المجلي تصل حتى القسم العلوي من المدخل. أما بقية أقسام الكنيسة–وتحديداً

الحنية والغرفتان الجانبيتان والركائز – التي تمّ زخرفتها بناء على طراز الفن التزييني السائد في القرن الرابع والخامس – فإنها مبنية جميعاً بأحجار الفلزيت الصفراء المنحوتة. وللبازيليك ثلاثة مداخل على جبهتها الجنوبية ومدخل على الجدار الشمالي.

ومن ميزات هذه الكنيسة الهندسية المهمة غياب المدخل على جبهتها الغربية على الرغم من عدم وجود أي عائق لذلك. وتعتبر هذه الكنيسة مثالاً فريداً بين الكنائس البازيليكية الأرمنية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة. ويعتقد أن القسم البازلتي لهذه الكنيسة هو من بقايا معبد وثني حوّل إلى كنيسة في القرن الرابع.

M.S. Hasratian p.55

ويؤكد المؤرخ الأرمني من القرن الرابع Zenop Klag أنه اشترك مع كريكور المنور في نشر العقيدة المسيحية في هذه المنطقة من أرمينيا وتمّ تحويل المعابد الوثنية إلى كنائس بعد نقل هيكل المعبد من الجهة الغربية إلى الجهة الشرقية من الكنيسة.

Zenop Klag (Badmutyun Darono) Venice – 1889 p.32 – 35 بالأرمنية

(تاريخ دارون)

وتعتبر كنيسة Dzidzernavank من الأمثلة المحتملة لهذا التغيير بسبب غياب المدخل الرئيس على جبهتها الغربية حيث كان الأرمن الوثنيون يضعون مذبح الأضاحي.

كما رأينا تمتاز الكنائس البازيليكية الأرمنية ذات الأبهاء الثلاثة – التي شيدت في الحقبة المسيحية المبكرة وعلى الرغم من قلة عددها – بمساقط وأشكال مختلفة. فهناك كنائس بازيليكية بحنيات مضلّعة بارزة جداً نحو الجهة الخارجية(Yeghvartو Kasakh و Dvin) وتلك التي يحيط حنيتها جدار مستطيل الشكل (Yererukو Ashdarak و Dzidzernavank) وكنائس لا تحتوي على غرف جانبية (Yeghvart) أو لها غرفة جانبية واحدة (Kasakhو Aghtsi) أو غرفتين جانبيتين (Dvin و Yereruk و Dzidzernavank و Ashdarak) ورواق خارجي واحد (Kasakh) أو رواقين (Yereruk) أو أروقة من جهاتها الثلاث (Dvin) أو بدون أروقة (Yeghvart و Aghtsiو Ashdarak و Dzidzernavank) وغيرها من المساقط.

تختلف الركائز بدورها من حيث أشكالها وهي العنصر المعماري الرئيس. وتكون هذه الركائز مستطيلة الشكل(Dzidzernavank) أو على شكل حرف T (Kasakhو Yeghvart و Ashdarak (أو مصلبة الشكل (Aghtsi و Dvin و Yereruk).

أما شكل السقف فإن الرأي السائد حتى السنوات الأخيرة يؤكد على استخدام الشكلين الرئيسين في أوابد أرمينيا في الحقبة المسيحية المبكرة وتحديداً السقف ذي القبو السريري (الطراز الشرقي) والمقطع البازيليكي حيث سقف البهو الأوسط أعلى من سقفي البهوين الجانبيين. لكن تبين في السنوات الأخيرة أن كنيسة Dziranavor في أشداراك – التي كانت تعتبر مثالاً (للنموذج الشرقي) – لها)(مقطع بازيليكي)(كلاسيكي. وقد بوشر بتطبيق هذه القاعدة على بازيليك كاساخ أيضاً. ومن المحتمل جداً أن سقف البهو الأوسط في جميع الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة – التي تعود إلى الحقبة القروسطية المبكرة – كان أعلى من سقف البهوين الجانبيين، لذلك لم تكن هناك كنائس أرمنية بسقف ذي قبو سريري على الإطلاق.

أما ما يخص ببناء السقوف فقد استخدم المهندس الأرمني الحجر وفي أحيان قليلة جداً الخشب. وكان لكنائس Yeghvart و Ashdarak و Dzidzernavank البازيليكية سقوف خشبية في الفترة الأولى، إلا أنه سرعان ما استبدلت بالحجر في الحقبة القروسطية المبكرة.

وسائل التعبير الفنية في الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة

تمتاز الكنائس البازيليكية الأرمنية – التي تعود بقدمها إلى الحقبة الممتدة بين القرنين ٤-٦م – ببساطة هندستها بسبب التناغم بين الشكل العام وفن البناء وغياب الميل نحو الإكثار من العناصر الزخرفية للوصول إلى الجمالية. وتعتبر المداخل والأفاريز والشبابيك وأحزمتها الزخرفية وقواعد الركائز والركائز الجدارية والأعمدة العناصر التزيينية الرئيسة في الكنائس الأرمنية.

يحوز فن هندسة المداخل الرئيسة على جبهات الكنيسة الخارجية على اهتمام خاص. ويقع المدخل الرئيس في الكنائس الأرمنية البازيليكية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة – التي تنتمي إلى الحقبة القروسطية المبكرة – على جبهة الكنيسة الغربية (تعتبر كنيسة Dzidzernavank استثناء). وهناك أبواب إلزامية على الجبهة الجنوبية وعلى الجبهة الشمالية في أحوال قليلة. ونجد مداخل تحتوي على ساكف مؤلف من قطعة حجر واحدة. وتوضع على هذا الساكف قطعة أو قطعتين من الأحجار الأفقية ويترك بينهما وبين الساكف شقاً لتخفيف الضغط على الساكف أو يبنى شباك نصف دائري الشكل Lünette يقوم بالوظيفة ذاتها. وهناك أيضاً سواكف نصف دائرية.

من العناصر الملفتة للنظر في الكنائس الأرمنية البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة- التي شيدت في الحقبة المسيحية المبكرة (وفي الكنائس المقببة أيضاً)- أنصاف الأعمدة أو الأعمدة الجدارية التي تقع إلى جانبي المدخل الرئيس وتبرز عنه نحو الأمام ويستند عليها قوس نصف دائري أو على شكل حدوة فرس مغطى بجبهة جملونية.

(Portali v moumentalnoi arkhitecturi) Yerevan – 1973 p.68

Sh. Azadian

وقد تمّ تطبيق هذا الفن المعماري بكل تفاصيله حتى القرن السابع الميلادي وخاصة في كنيسة Yereruk و Dvin و Kasakh.

يمتاز الشكل الآخر للمدخل الرئيس بوجود قوس ممتد على عامود جداري دون وجود الجبهة المثلثة. ومثالنا على ذلك كنيسة Yeghvart.

Ibid p.10

مداخل الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد الموجودة في منطقة داشير الأرمنية مستطيلة الشكل حيث نرى إلى الأعلى من فتحة المدخل وعلى الساكف نصف الدائري حزاماً زخرفياً يشبه حاجب العين. ونلاحظ في بعض الكنائس أن الركائز الجدارية للمداخل الرئيسة مزينة بالزخارف النباتية والشكل الرئيس فيها ورقة الأكانت بكل تفرعاتها وأشكالها المختلفة. ومثالنا على ذلك الكنيستين البازيليكيتين Yereruk و Kasakh.

Ibid p.11

وقد تعرض قوس المدخل الرئيس إلى بعض التغييرات بين القرنين ٤-٦م وذلك بإضافة صفوف من الكرات والمسنّنات على الإفريز واستبدلت في الوقت ذاته هذه المسننات بصف من الأقواس التي تشبه الحدوة. وقد أضيف حزام مؤلف من المسننات أيضاً على إفريز الجبهة المثلثة للمداخل. وأوضح مثال على ذلك إفريز الجبهة الجنوبية لبازيليك Yereruk. وتلعب السواكف دوراً مهماً جداً في الحل الفني للمداخل الرئيسة. ويتم زخرفة سواكف الكنائس البازيليكية بثلاثة أشكال فنية وهي:

أ.- بوضع وردة على محور المدخل أو صليب متساوي الأضلاع ضمن حلقة.
ب.- بزخرفة تلك العناصر بصفوف أفقية على الساكف.
ج.- بزخرفة كامل مساحة الساكف.

Ibid p.103

ومن الأمثلة النموذجية على هذه الناحية الثالثة زخرفة الساكف الجنوبي لبازيليك كاساخ.

أفاريز الكنائس البازيليكية الأرمنية على نوعين. وبينما كانت هذه الأفاريز مسنّنة الشكل بين القرنين ٤-٥م، أصبحت على شكل صف من الأقواس تشبه الحدوة ابتداءً

من القرن السادس. وتعتبر الأفاريز المسننة إرث هندسة أرمينيا الهيللينية.

تعدّ واجهة الشبابيك العنصر المهم الثاني في زخرفة الكنائس البازيليكية. وكانت الزخارف في الكنائس التي شيدت في الحقبة المسيحية المبكرة توضع إلى جانبي فتحة الشبابيك مباشرة وهي مؤلفة من صفوف المسننات والأحزمة بينما ابتعدت هذه العناصر الزخرفية عن فتحة الشبابيك في كنائس أخرى.

N. Tokarski p.70

ففي كنيسة Yereruk مثلاً تصل الأحزمة حتى الحافة السفلية من الشبابيك بينما تصل حتى منتصف الشباك تقريباً في بازيليك كاساخ. وابتداءً من القرن السادس استبدلت الأحزمة المسننة بأحزمة من الأقواس الصغيرة على شكل حدوة.

إن العناصر الزخرفية الرئيسة التي كانت توضع داخل دائرة هي الصليب المتساوي الأضلاع والوردة ذات الوريقات الست التي لا نصادفها على سواكف المداخل الرئيسة فحسب، بل على تيجان الركائز الجدارية أيضاً. ومثالنا على ذلك الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد في كل من منطقة Parbi وAvan. ونجد هذه النقوش أيضاً على القسم العلوي من شبابيك الأوابد في بعض الأمكنة الأخرى. ومثالنا على ذلك كنائس Lernakerd. ومن الملفت للنظر أيضاً تيجان قوس حنية الكنيسة البازيليكية ذات البهو الواحد التي تعود إلى القرن الخامس الواقعة في بايبورت حيث نرى رؤوس بشرية منحوتة في وسط أوراق الأكانت. ومثالنا على ذلك الكنيسة البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة التي تعود إلى القرن السادس وتسمى كنيسة (الثالوث المقدس) وتقع في منطقة دير قيتا في سوريا الشمالية.

لقد استخدمت العناصر الزخرفية في البازيليكات الأرمنية بين القرنين ٤-٥م باعتدال لأن غاية المعماريين الأرمن الرئيسة كانت إبراز جمالية هذه الأوابد من وجهة نظر فنها المعماري – الهندسي.

مواد البناء والفن الإنشائي في الكنائس الأرمنية

الهضبة الأرمنية بلاد بركانية غنية بأحجار متعددة الأنواع التي يمكن استخدامها في الأعمال الإنشائية ومنها البازلت والدوف Douf اللتين تستخدمان بشكل واسع. ولم يستخدم المعمار الأرمني الآجر المشوي في القرون الوسطى المبكرة. أما الخشب فقد انحصر استعماله في بناء سقوف بعض الكنائس في الحقبة المسيحية المبكرة جداً.

إن الطريقة الأرمنية لصف الجدران التي تسمى Medis (صفين من الأحجار مدعمّة بملاط مركّب يحتوي على الكلس) تستعمل منذ ألفي عام دون انقطاع حتى يومنا هذا. وتعدّ هذه الطريقة المثلى لبلاد كأرمينيا بسبب حدوث هزات أرضية عديدة على طول مساحتها.

شيدت جميع جدران وعناصر الأوابد الأرمنية – التي تعود إلى الحقبة القروسطية المبكرة بين القرنين ٤-٦م- كالركائز والأعمدة والعقد بأحجار البازلت والدوف المجلية جيداً. ولم تشاد في أرمينيا أوابد دون ملاط كالأوابد السورية في الحقبة التاريخية ذاتها. وتوجد شقوق أفقية دقيقة جداً بين مداميك الأحجار لا يتعدى عرضها عن نصف سنتيمتر ونجد أن هذه الأحجار مشطوفة الزوايا تحت زاوية ٤٥ درجة كي لا تتفتّت أطرافها.

تختلف أحجام بلوكات الأحجار بين كنيسة وأخرى. فبينما تصل سماكة الأحجار في كنيسة Ashdarak إلى ١،٨٠م تصل إلى ١،٥٠م في كنيسة Aghtsi و ١،١٤م في Yereruk و ١،١٠م في Yeghvart. ونجد هذا التراوح في سماكات الأحجار في الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد أيضاً التي تصل من ١،١٠م إلى ١،٩٠م.

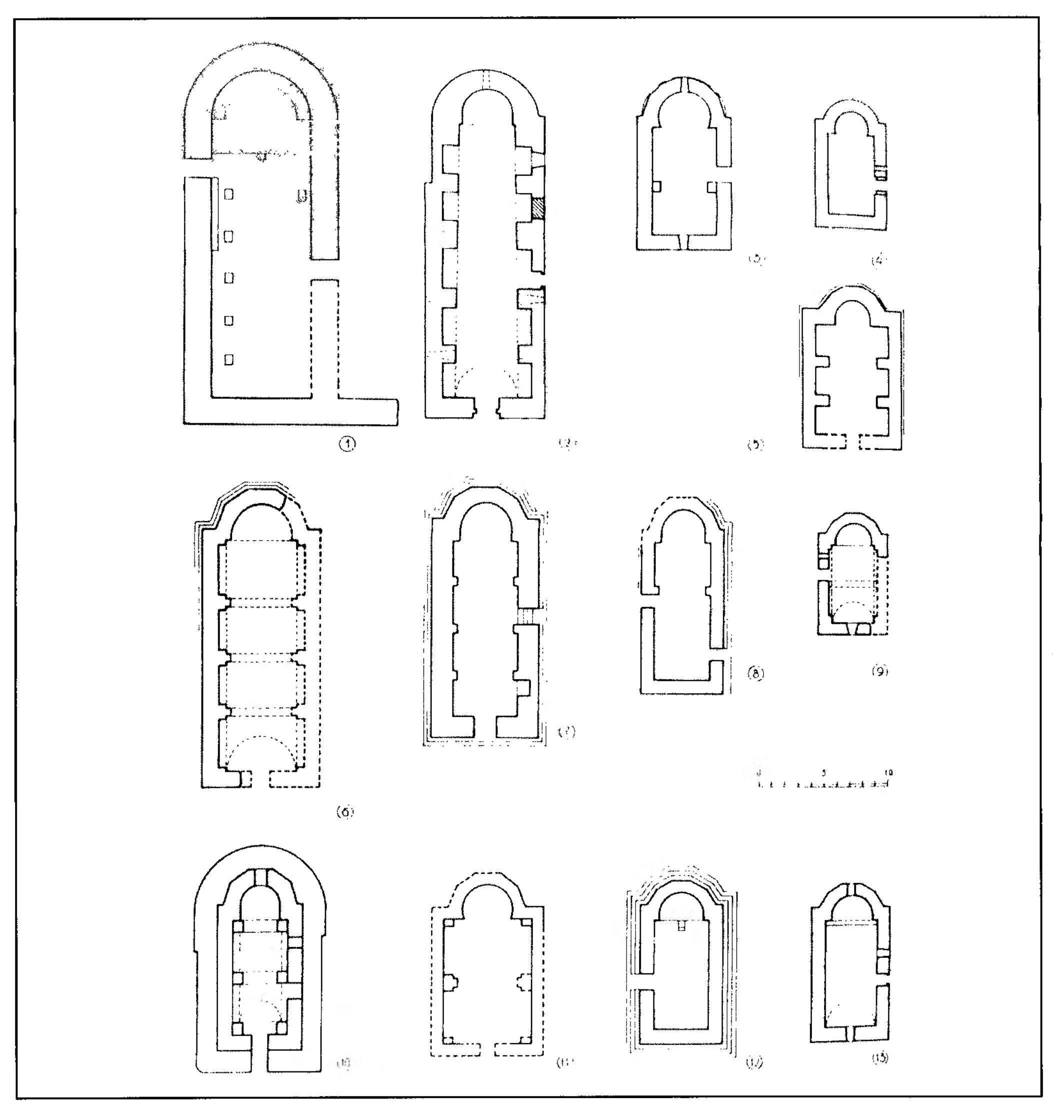
يظهر بكل جلاء أن الكنائس البازيليكية التي شيدت بسقوف خشبية (Yereruk و Yeghvart و Ashdarak) هي رقيقة الجدران، أما الكنائس البازيليكية ذات القبو السريري Barrel Vault فإن جدرانها أسمك وذلك منذ االفترة الأولى لتشييدها.

لم تستخدم أعمدة حجرية في الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة في أرمينيا في الحقبة القروسطية المبكرة (عدا Yereruk) بل شيدت ركائز مستطيلة أو ذات مقطع

مصلّب. وكانت الأقواس نصف دائرية أو على شكل حدوة فرس. أما العقد فقد كانت نصف اسطوانية الشكل.

لفتحات الشبابيك نهايات نصف دائرية أو على شكل حدوة. ولا نجد سواكف أفقية مستوية على شبابيك الكنائس البازيليكية الأرمنية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة. والشبابيك عريضة ونجد أن معظمها متوضّع على الجبهة الجنوبية. أما على الجبهة الشمالية، فإنها غائبة تماماً أو قليلة العدد. ومثالنا على ذلك كنيسة Ashdarak و Kasakh و Yereruk (ذات الأبهاء الثلاثة) و Tanahad و Parbi و Karnoud و Karnis و Avan و Tough و Shenik و Lernakerd و Pashvank و Djardjaris (ذات البهو الواحد).

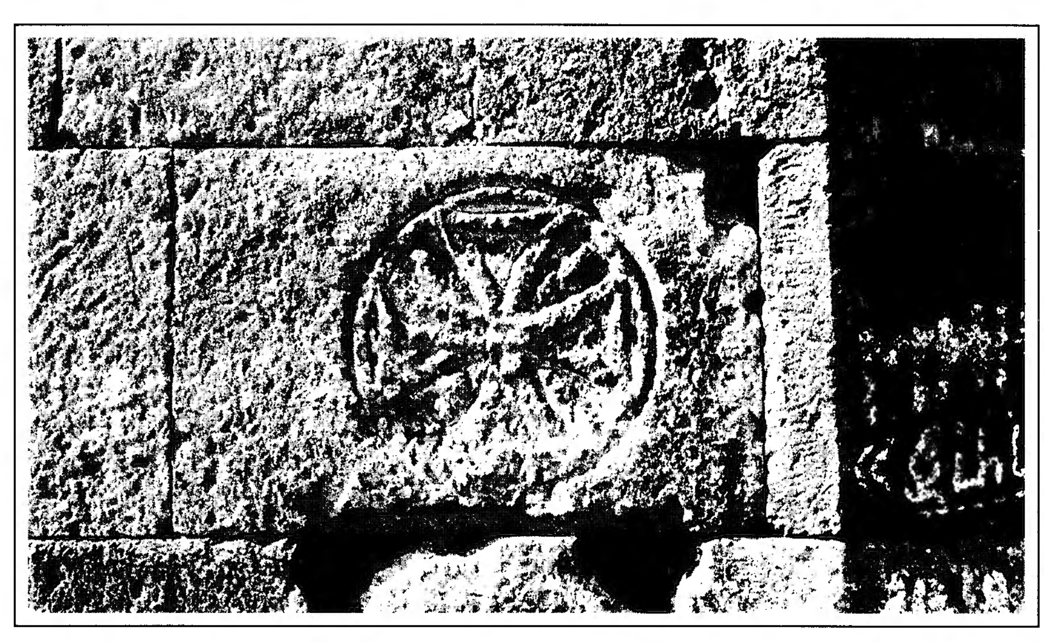
أما سقف الكنيسة – أكان خشبياً أم من الحجر – فقد كان يُكسى بالقرميد المشوي. وإن وجود السقف الحجري في بعض الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد بشكل خاص هو نتيجة الترميم في حقبة القرون الوسطى.



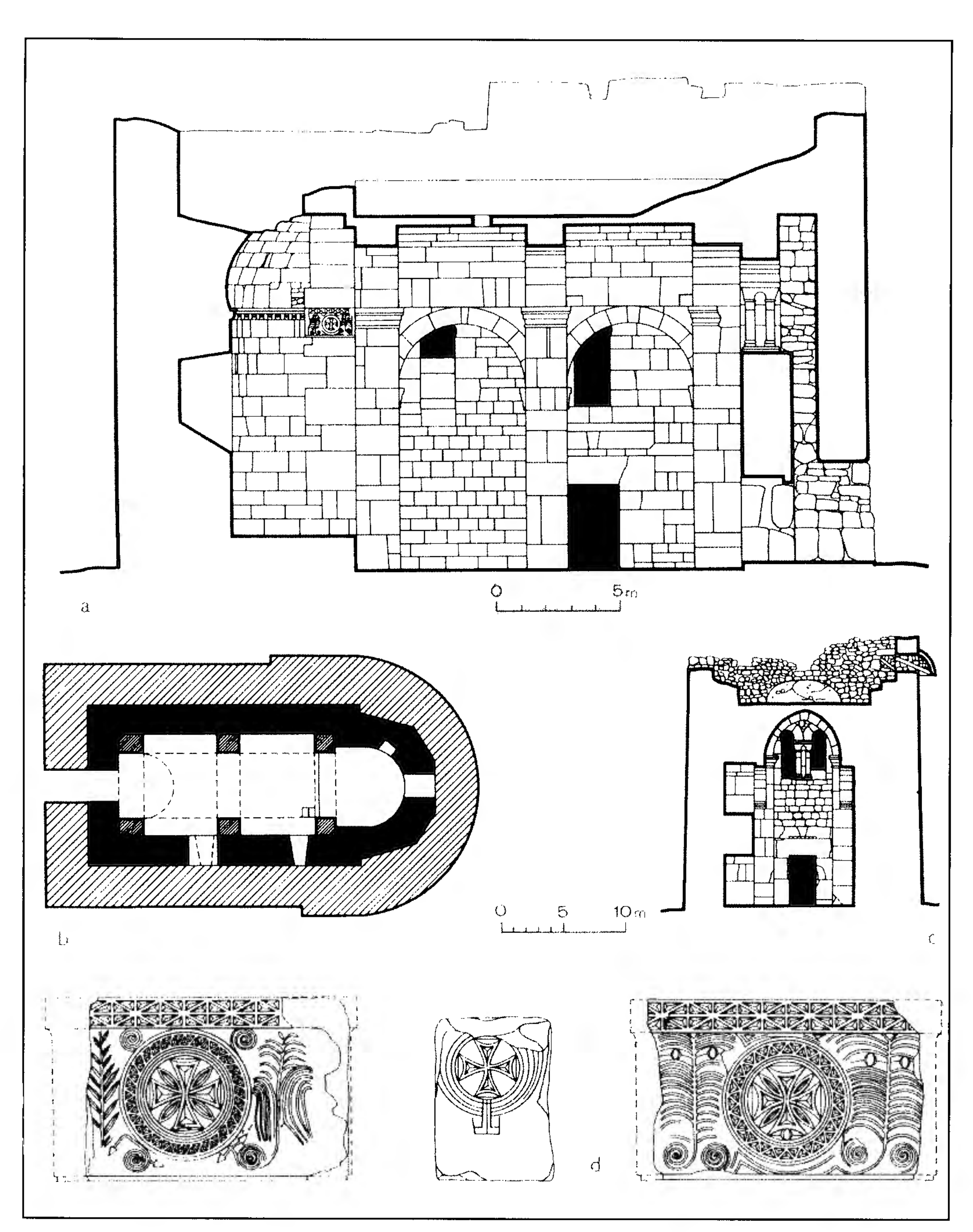
LIX - مسقط كنائس أرمينيا ذات البهو الواحد و الحنية البارزة بشدة نحو الجهة الخارجية التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة: (١) Tsolakerd (القرن الرابع) (٢) Verishen (القرن الرابع) - التي أعيد ترميمها في القرن السابع عشر. (٣) Lousakerd (القرن الرابع و أعيد ترميمها في القرن الخامس) (٤) Badikian (القرن الرابع) (٥) Etchmidzin (القرن الرابع) (٦) Djardjaris (القرن الرابع) (٧) Bemzashen (القرن الخامس) (٨) Vansdan (القرن الخامس) (٩) Shoghagavank (القرن الخامس و أعيد ترميمها في القرن التاسع) (١٠) Dziranavor (القرن الخامس و أعيد بناؤها في القرنين السابع و التااسع) . (١١) Voskevaz (القرن الخامس) . (١٢) Djervej (القرن الخامس) . (١٣) Bayburt (القرن الخامس) .



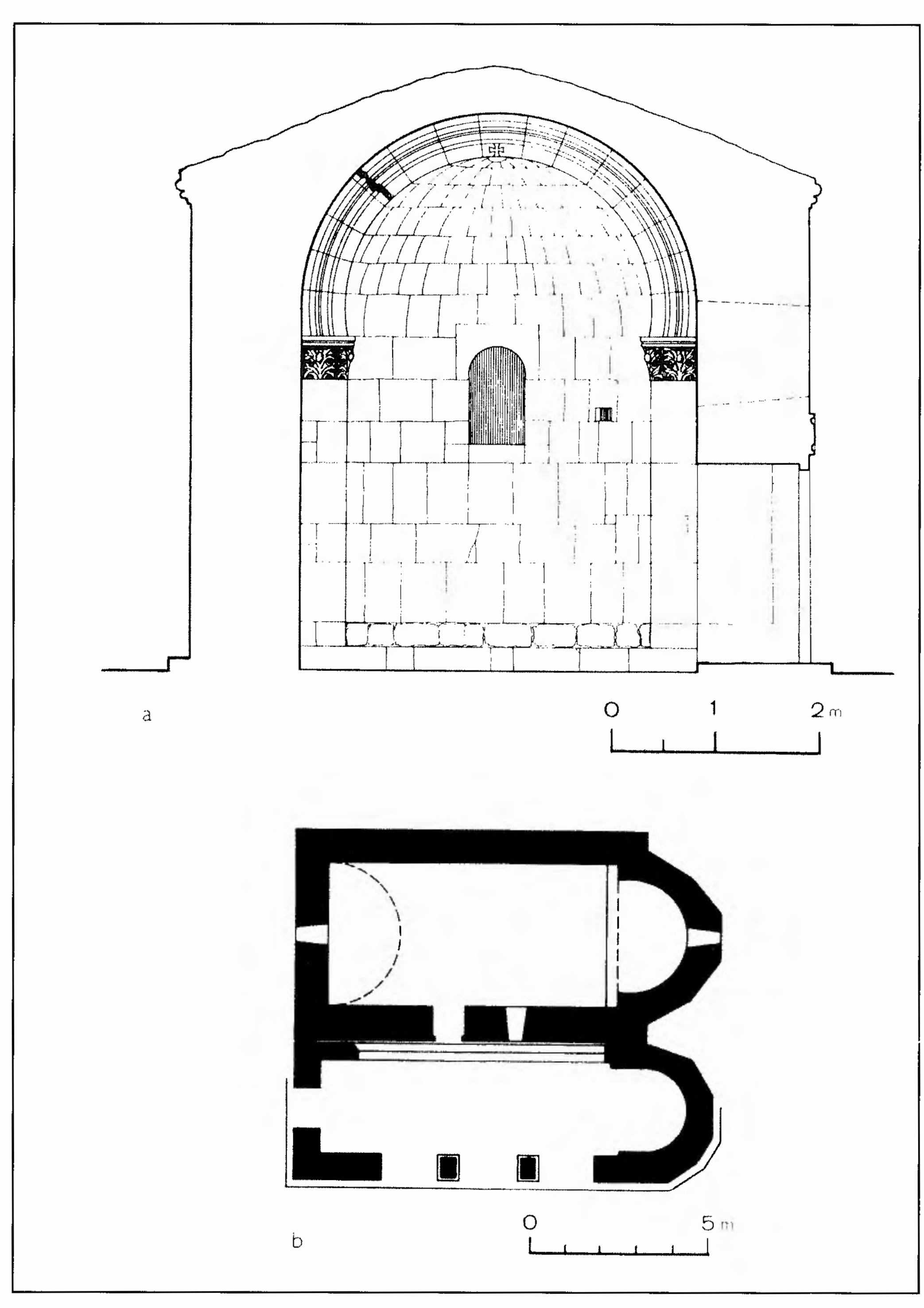
LX - كنيسة Djardjaris - الشكل من الجهة الجنوبية - الشرقية



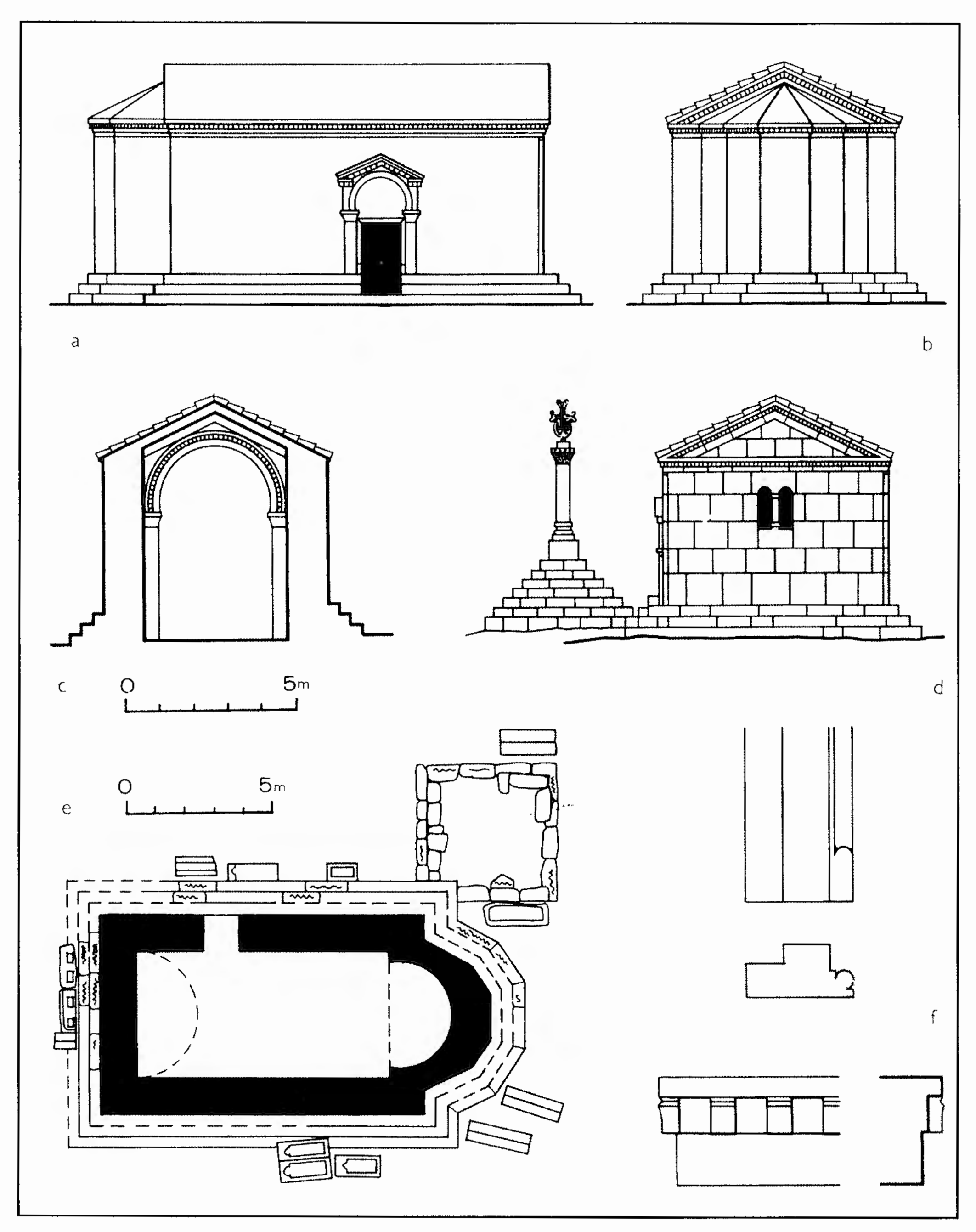
LX - كنيسة Djardjaris – الشكل من الجهة الجنوبية – الشرقية و صليب الحنية.



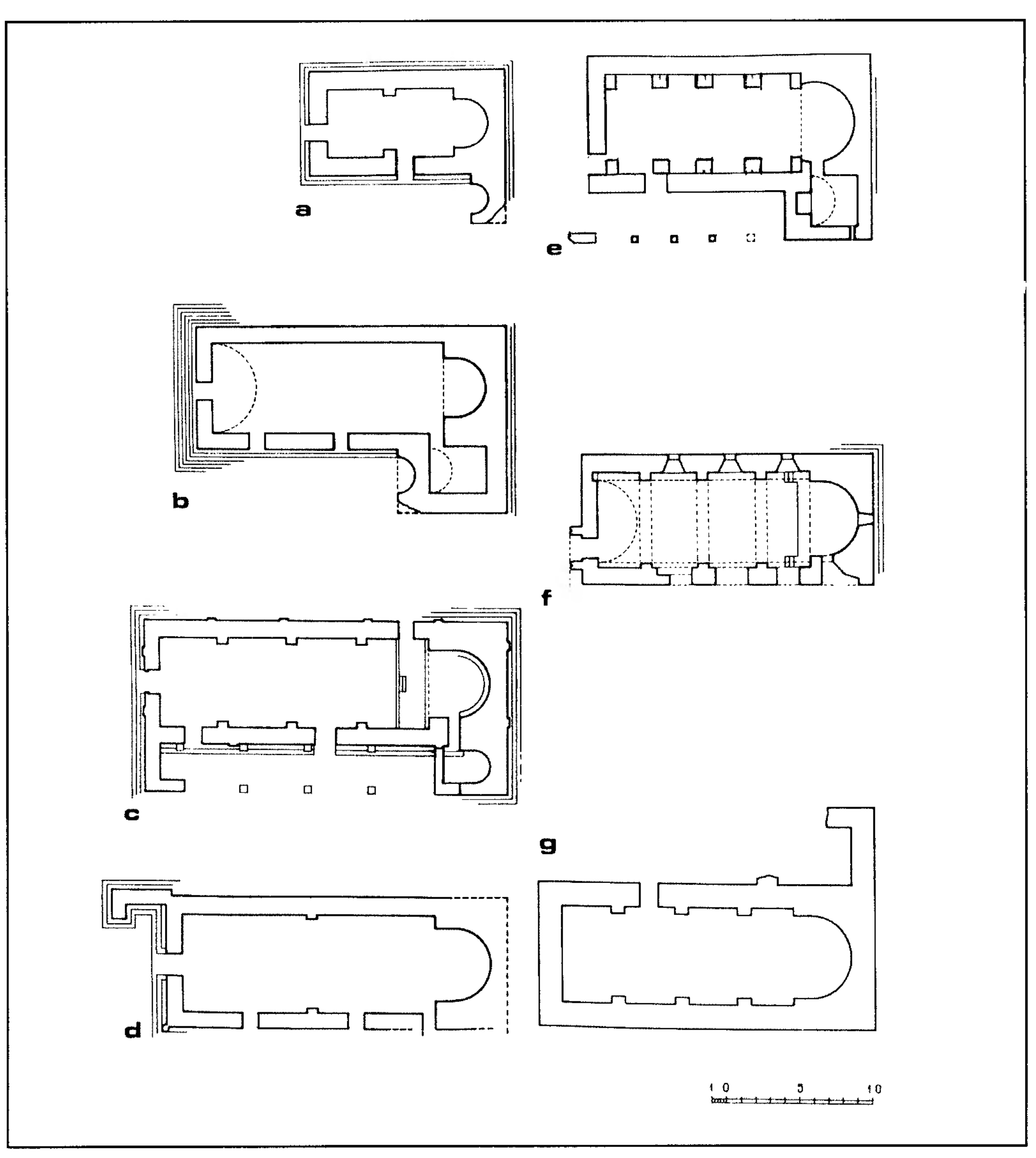
LXI - كنيسة Dziranavor - إعادة إنشاء و مسقط و تيجان حنيتها.



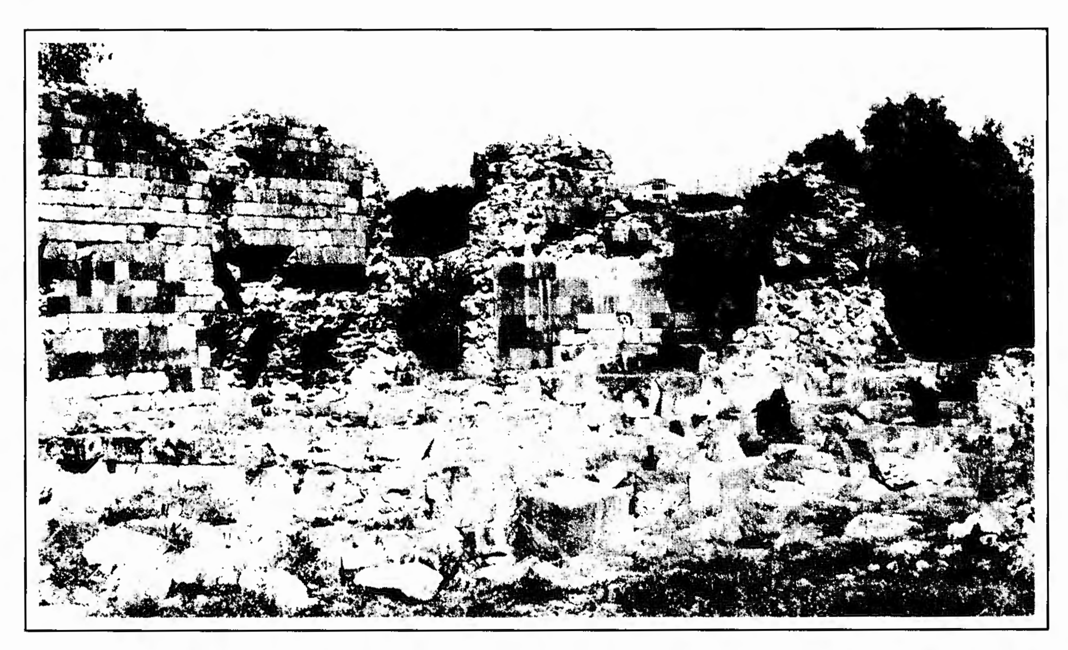
LXII - كنيسة Bayburt - مقطعها و مسقطها.

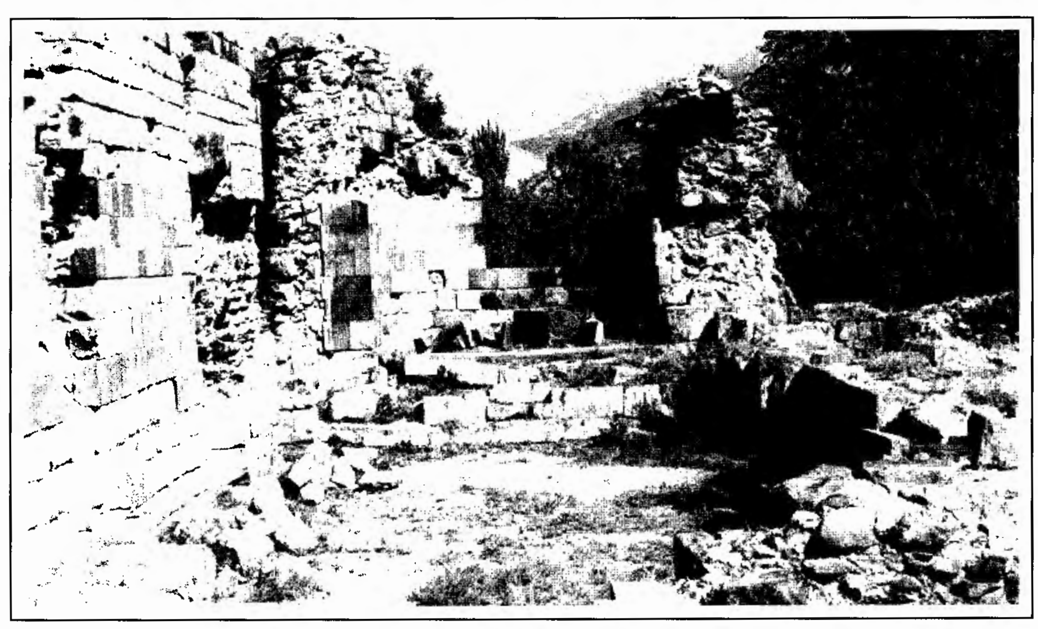


LXIII - كنيسة Djervej - جبهاتها و مقطعها و مسقطها و إفريزها . إعادة إنشائها حسب طوكارسكي .



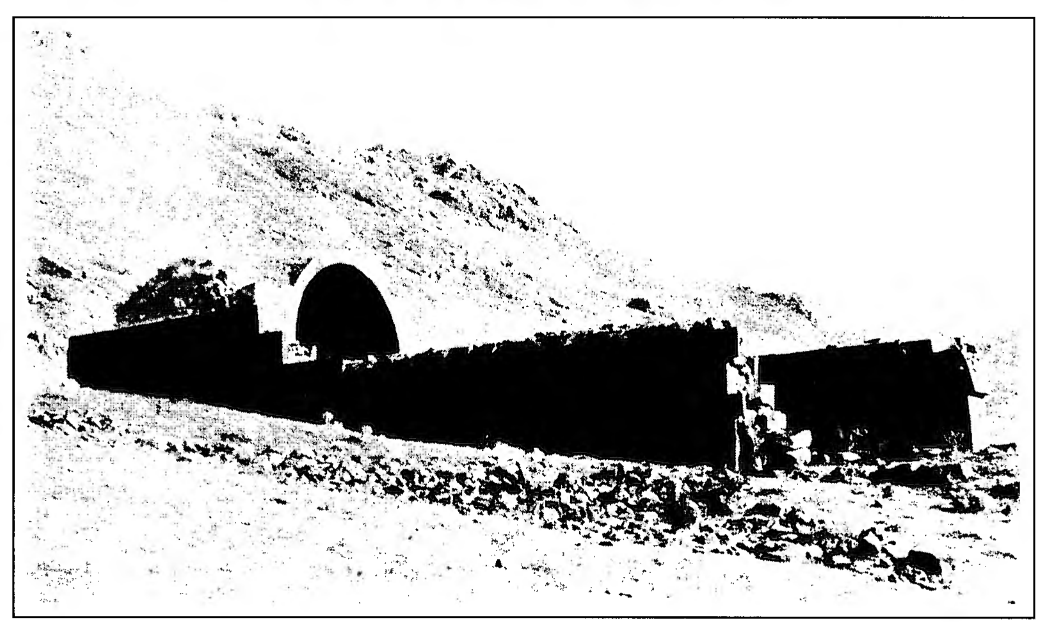
LXIV - مسقط كنائس أرمينيا البازيلكية ذات البهو الواحد و الرواق الخارجي التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة (حسب إعادة إنشاء م.م هاسرتيان) (a) Etchmidzin (القرن الرابع) (b) Garnoud (القرن الرابع) (c) Garni (القرن الرابع) (d) Yeghvart (القرن الخامس) (e) القديس ستيبانوس في تاناهاد (القرن الخامس) (f) Garnoud في دير Hovhannavank (القرن السادس) (g) القديس Yizbuzid في دبيل (القرن السادس) .



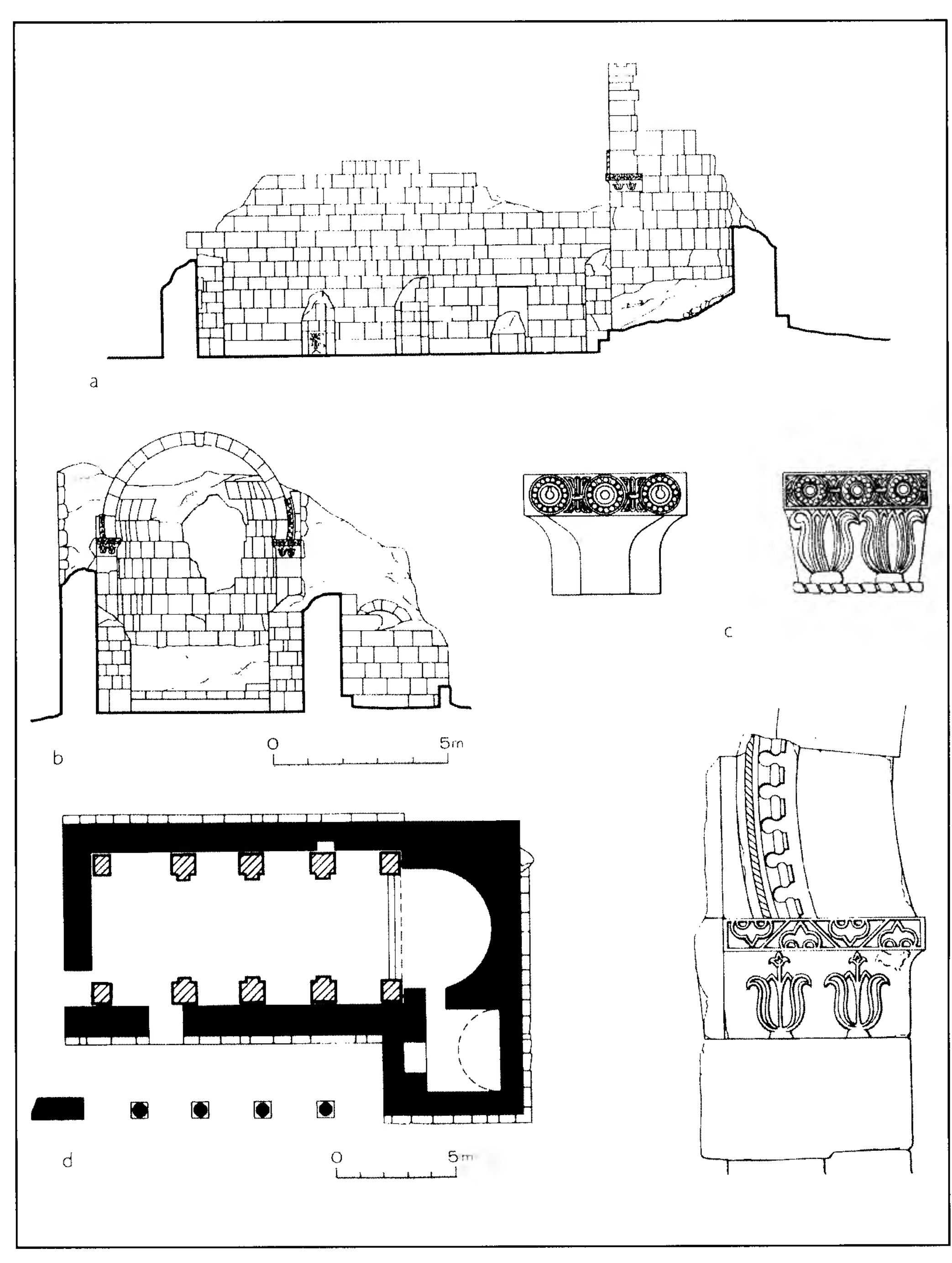


LXV - كنيسة Garni - شكلها من الجهة الجنوبية - الشرقية و حنيتها .

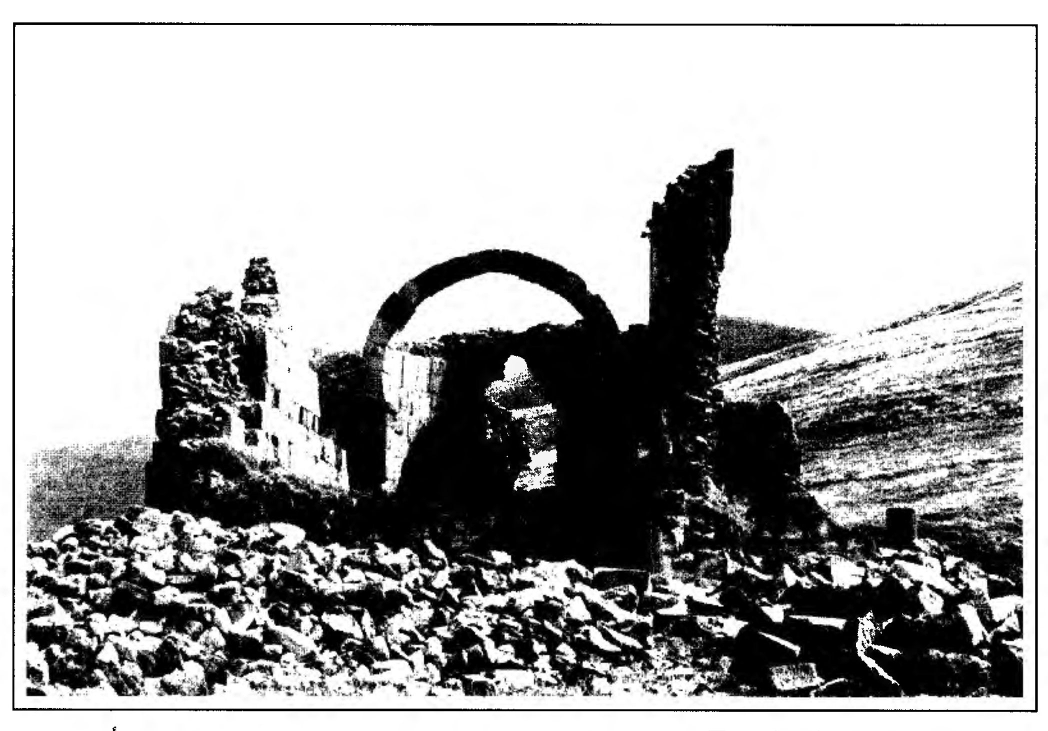




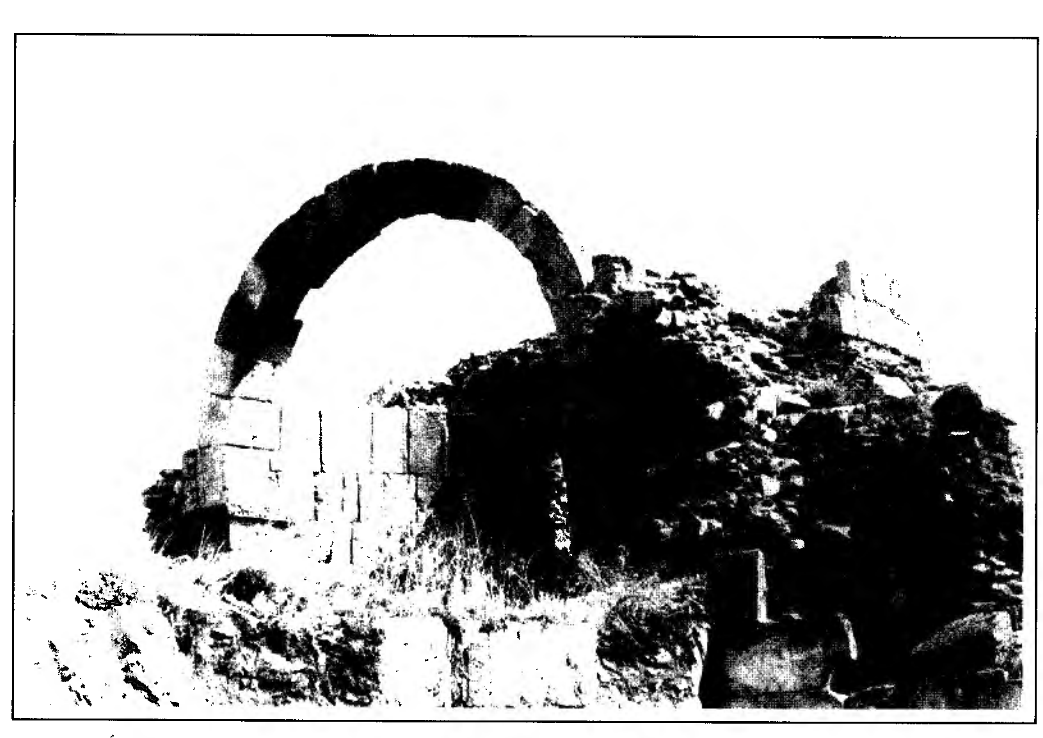
LXVI - كنيسة Garnoud - حنيتها و شكلها من الجهة الشمالية - الغربية .



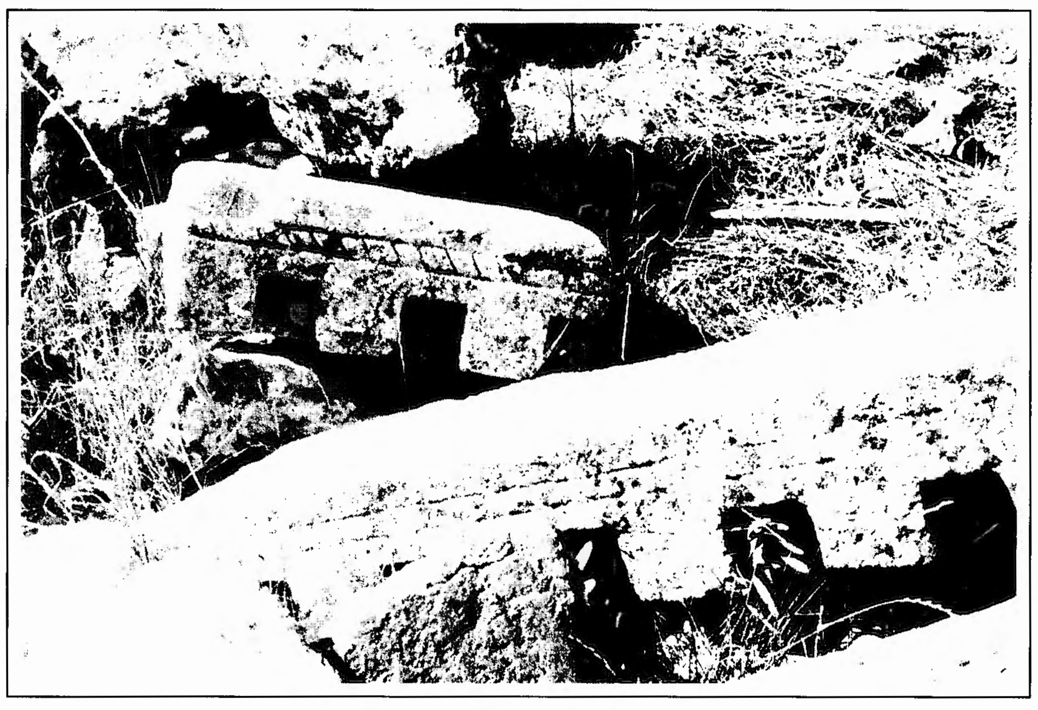
LXVII - كنيسة Tanahad - مقاطعها و مسقطها و تيجان حنيتها ورواقها .



LXVIII- Tanahad - شكلها من الجهة الغربية و قوس حنيتها الذي لا وجود له الأن .



LXVIII - Tanahad - شكلها من الجهة الغربية و قوس حنيتها الذي لا وجود له الأن .



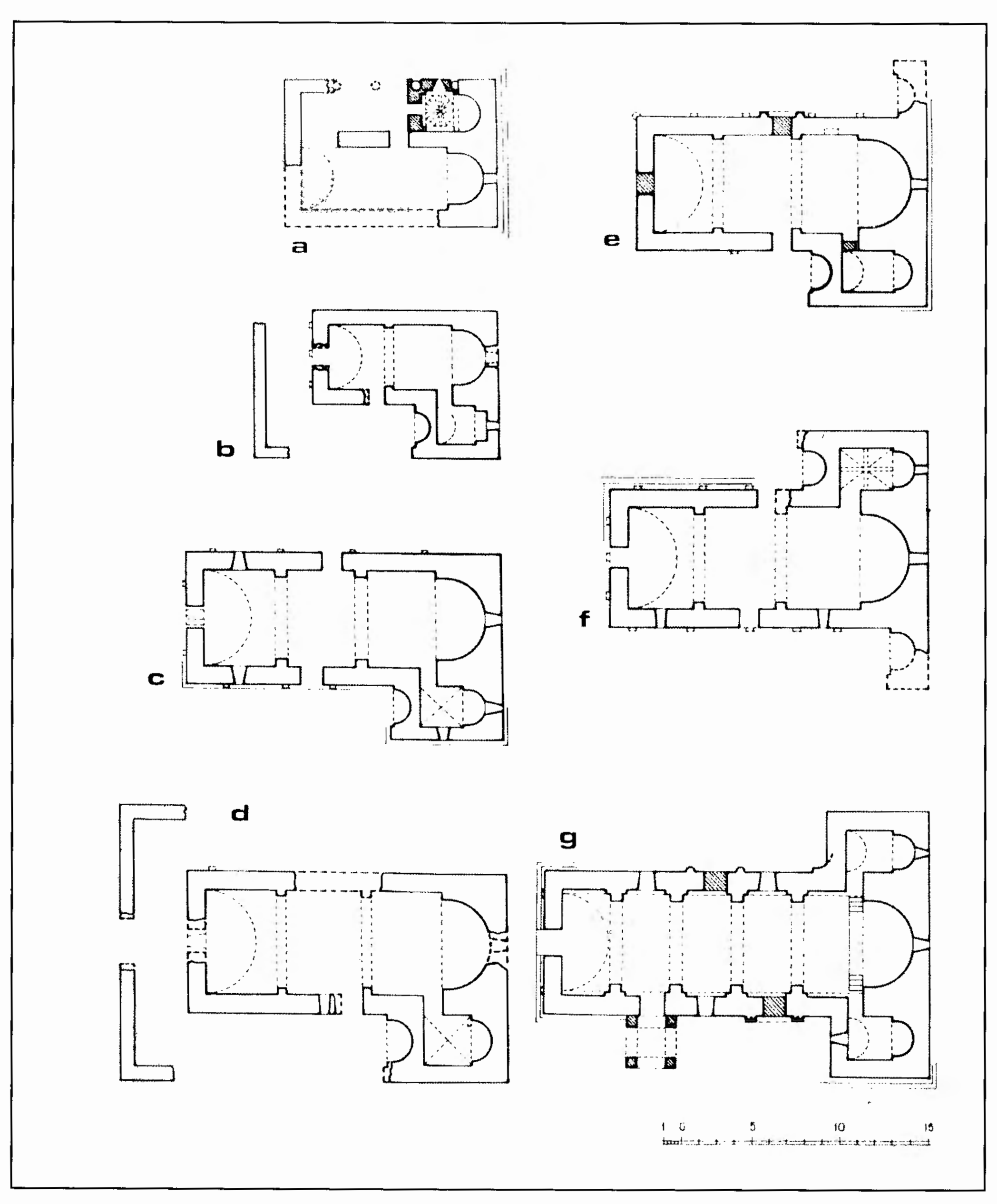
LXIX - Tanahad - التاج الشمالي للحنية و الإفريز .



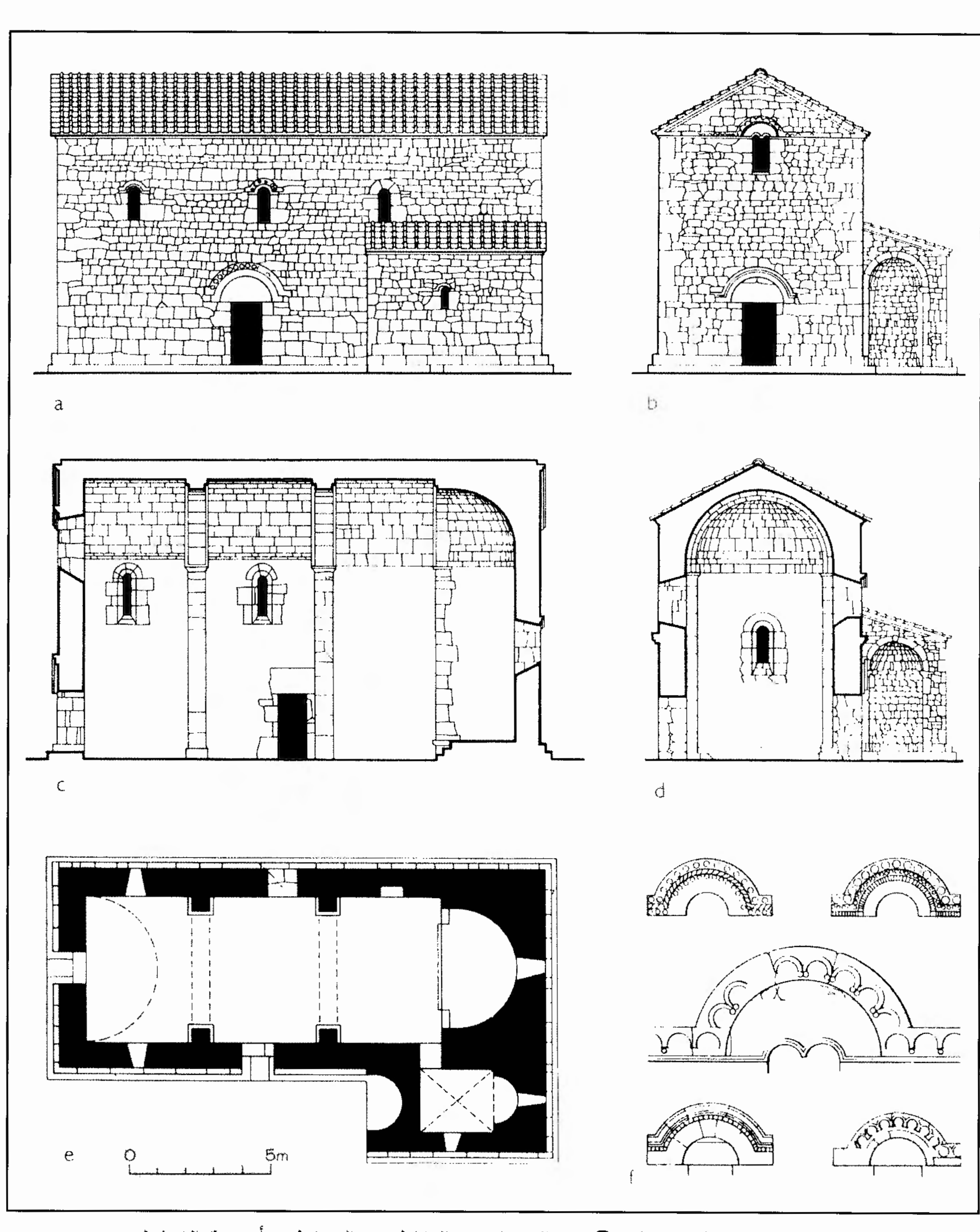
LXX - Tanahad - تيجان الرواق .



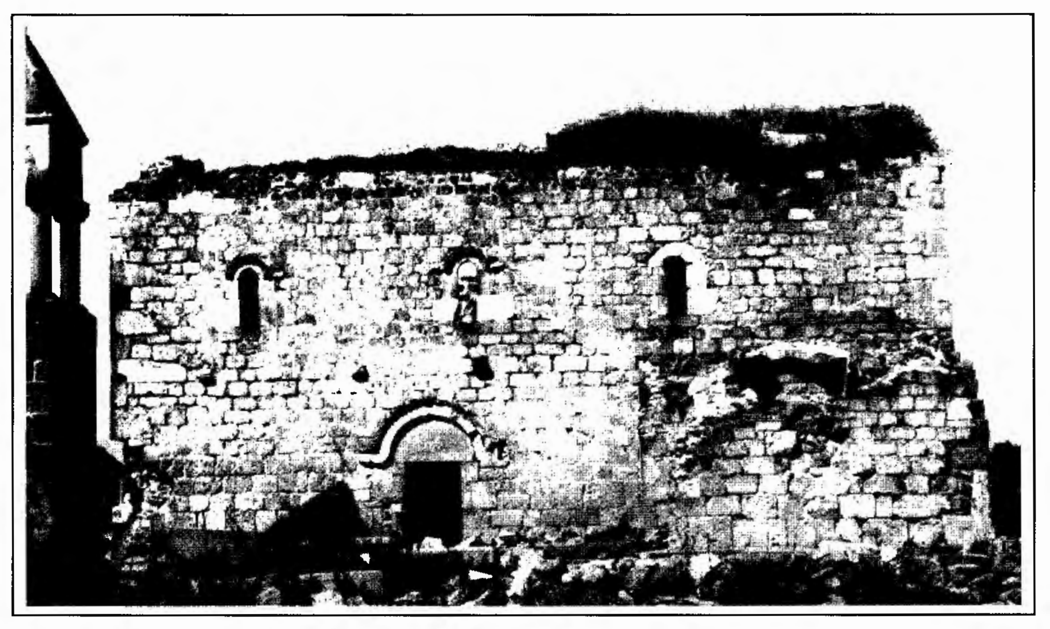
LXX - Tanahad - تيجان الرواق .

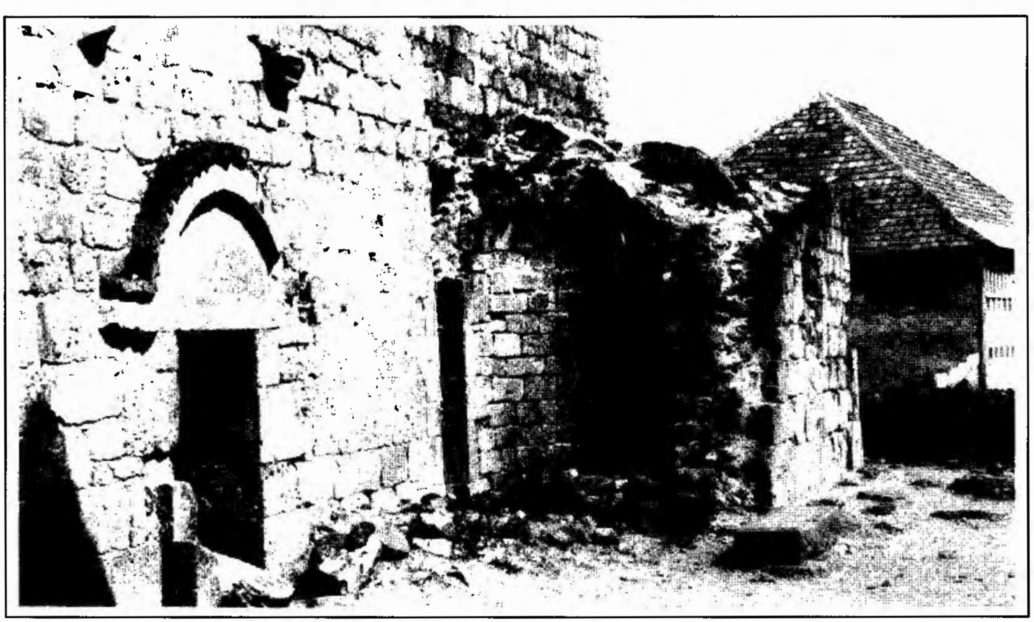


LXXI – مساقط الكنائس الأرمنية ذات البهو الواحد و الرواق الخارجي في مقاطعه داشير التاريخية التي تعود إلى القرن السادس (حسب م.م هاسرتيان) . (a) Dziranavor (b) Odzun (c) Gdevank (d) Gurtan (e) Gulakarak (f) Hobartsi (g) Djegrashen القديس كيفورك



-LXXII كنيسة Gurtan - الجبهات و المقاطع و المسقط و أحزمة الشبابيك.

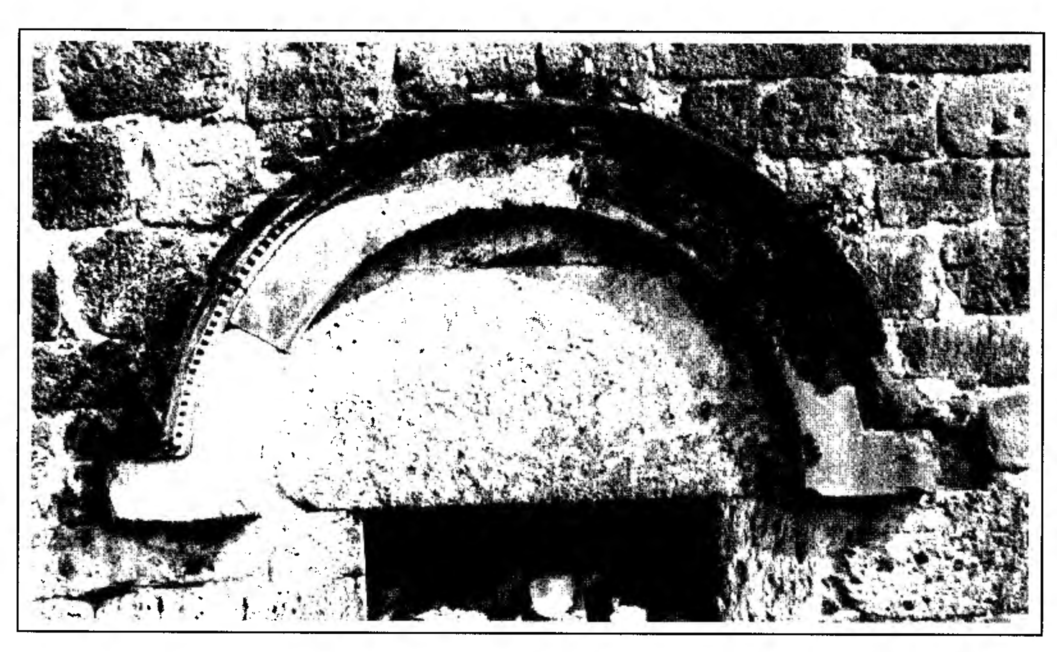




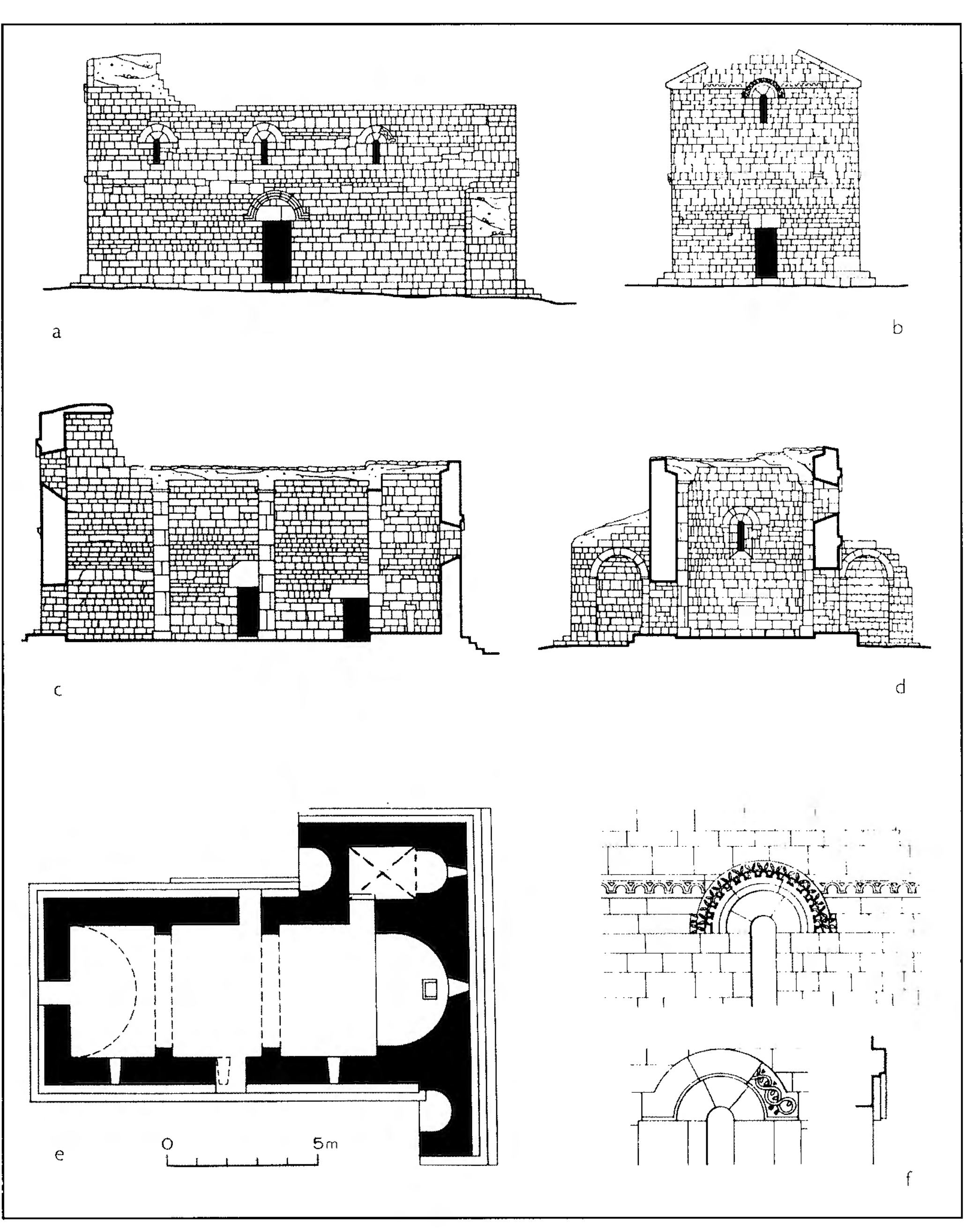
LXXIII - Gurtan شكلها من الجهة الجنوبية و حنية الرواق و المدخل الجنوبي .



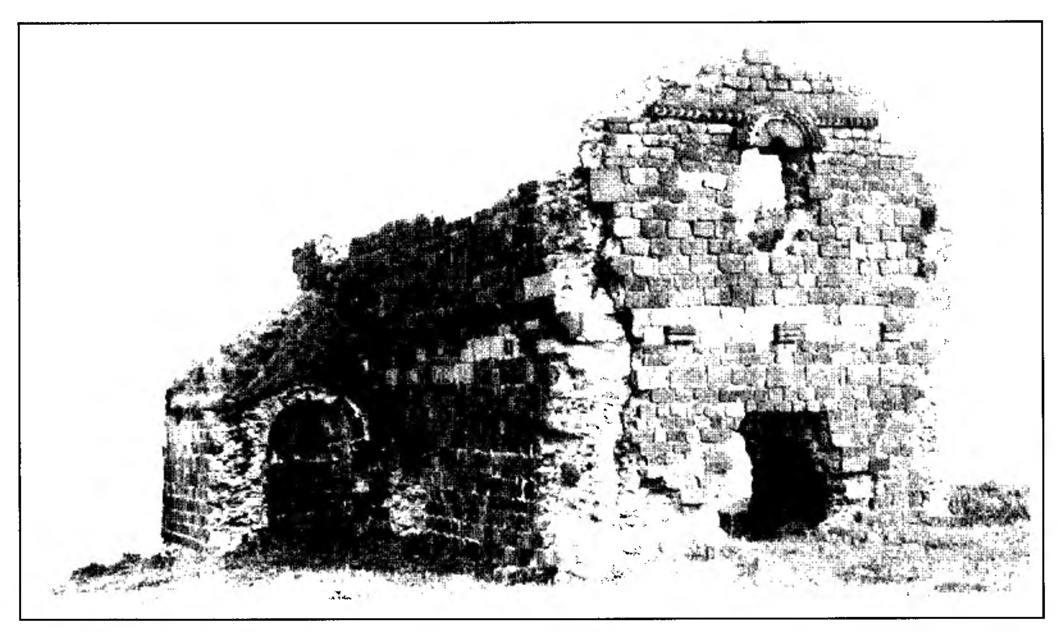
LXXIV - Gurtan شباك الجبهة الغربية .

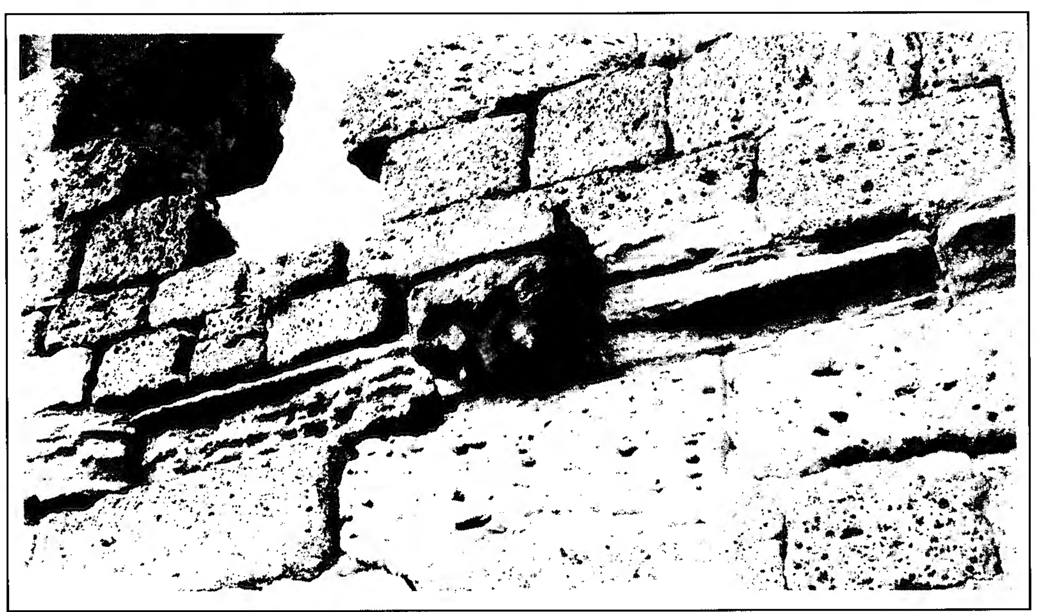


LXXIV - قوس المدخل الرئيس .

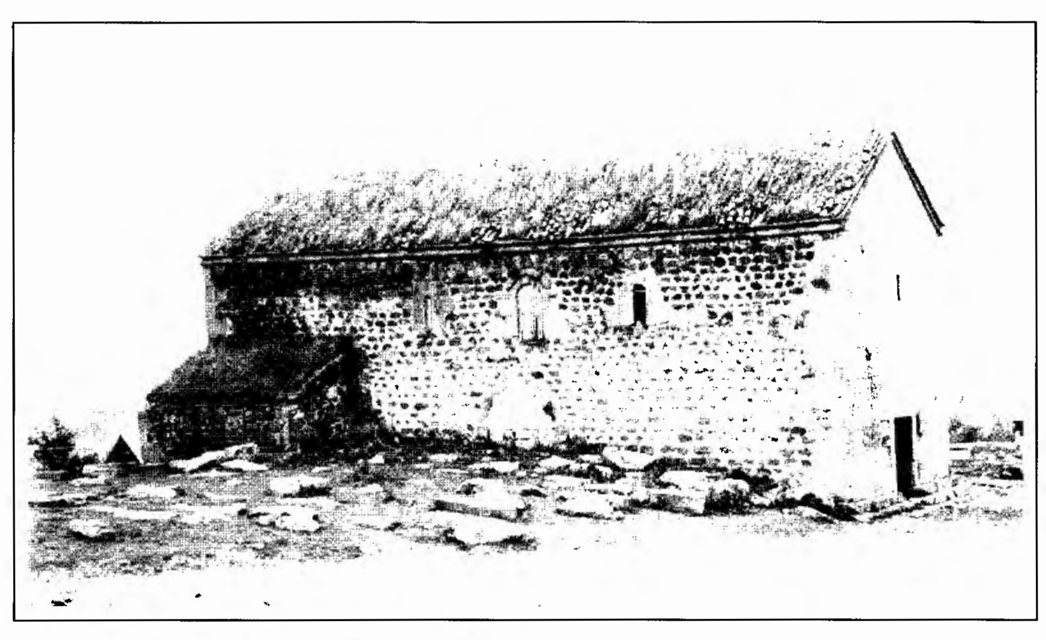


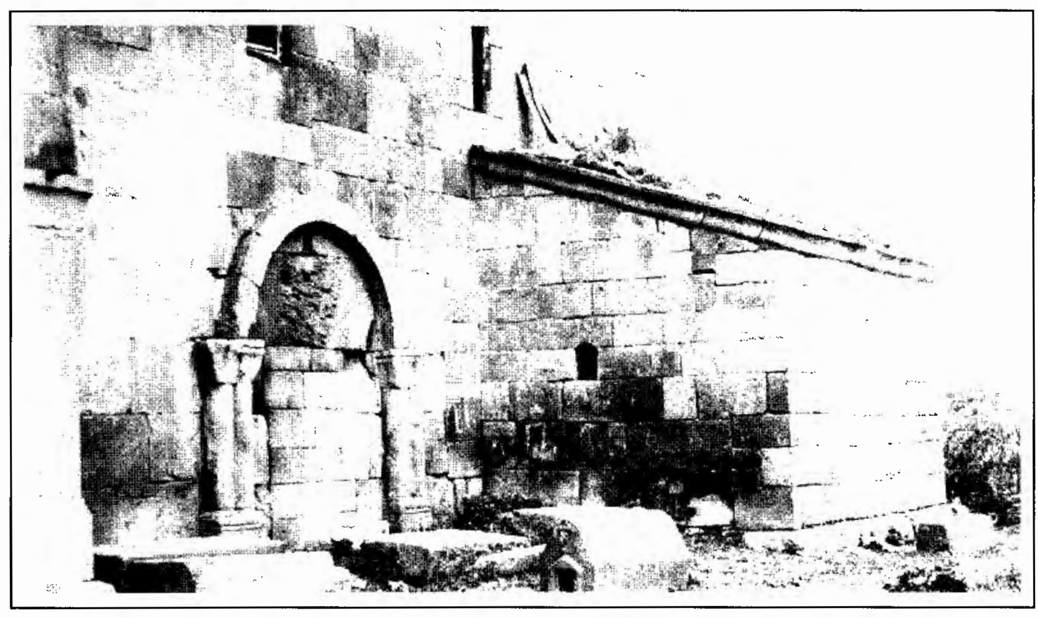
LXXV - كنيسة Djegrashen - جبهاتها و مقاطعها و مسقطها .



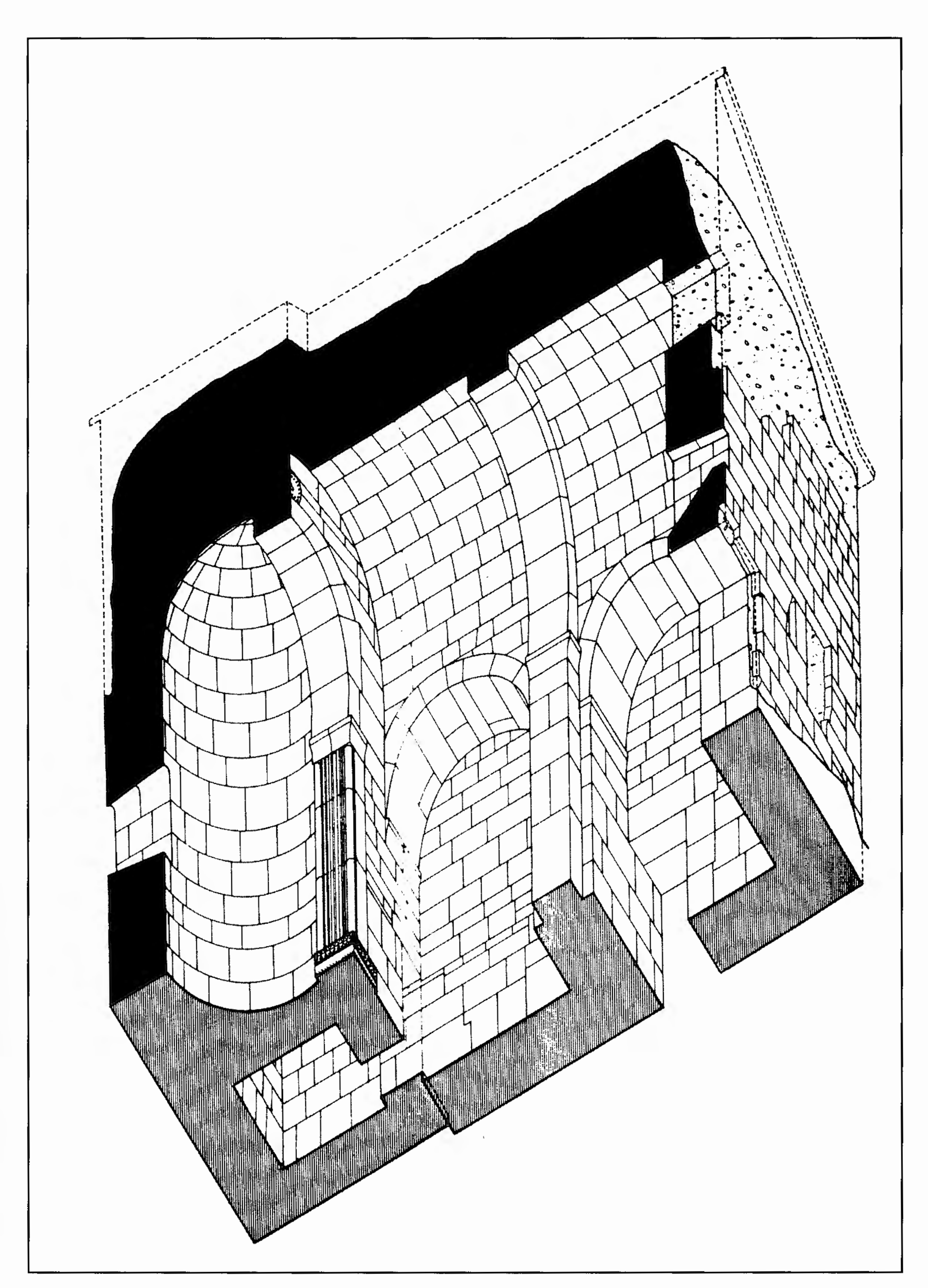


LXXVI - Djegrashen – شكلها من الجهة الشمالية – الغربية .

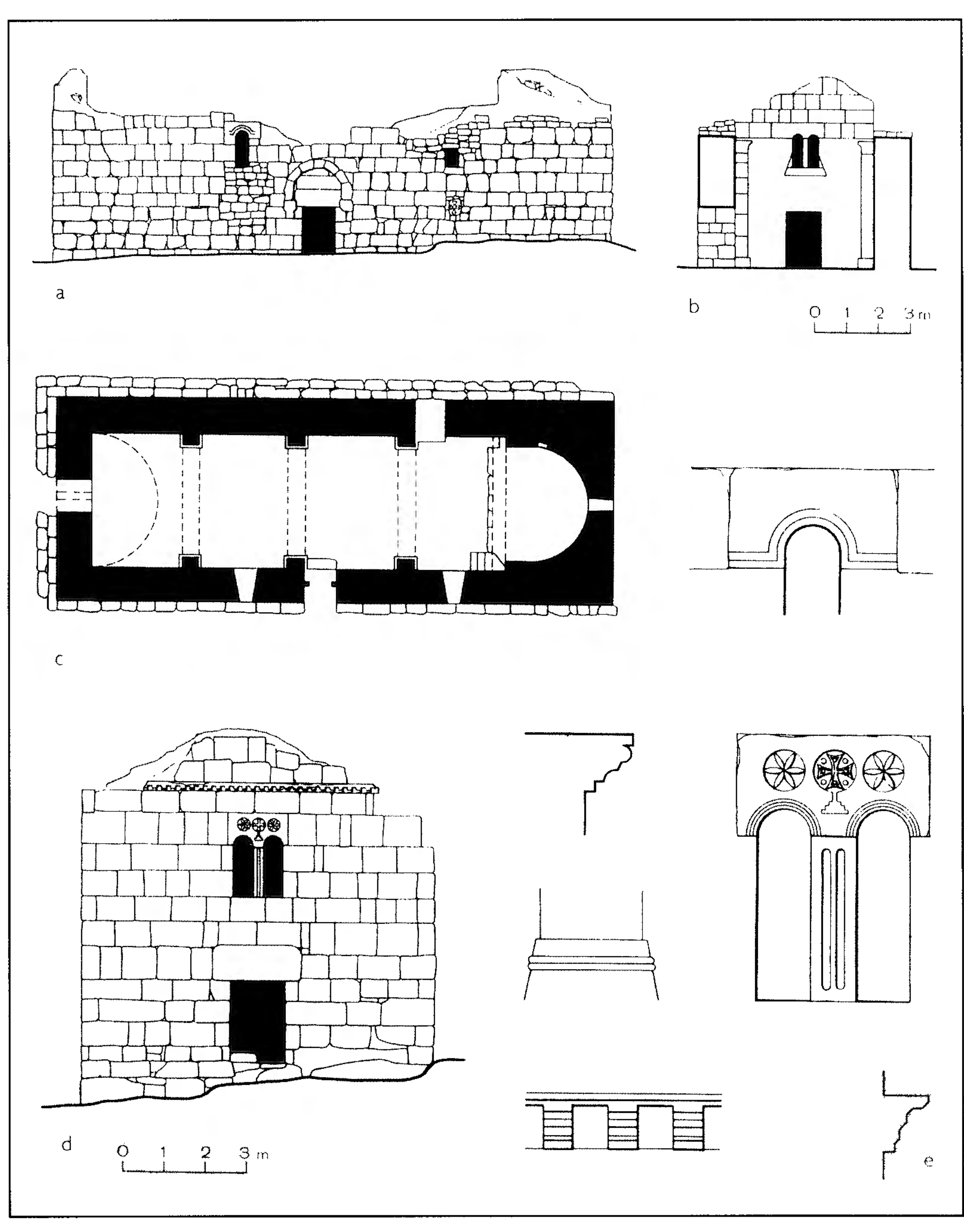




LXXVII – كنيسة القديس Kevork – شكلها من الجهة الشمالية – الغربية و مدخلها الجنوبي و غرفتها المساعدة .



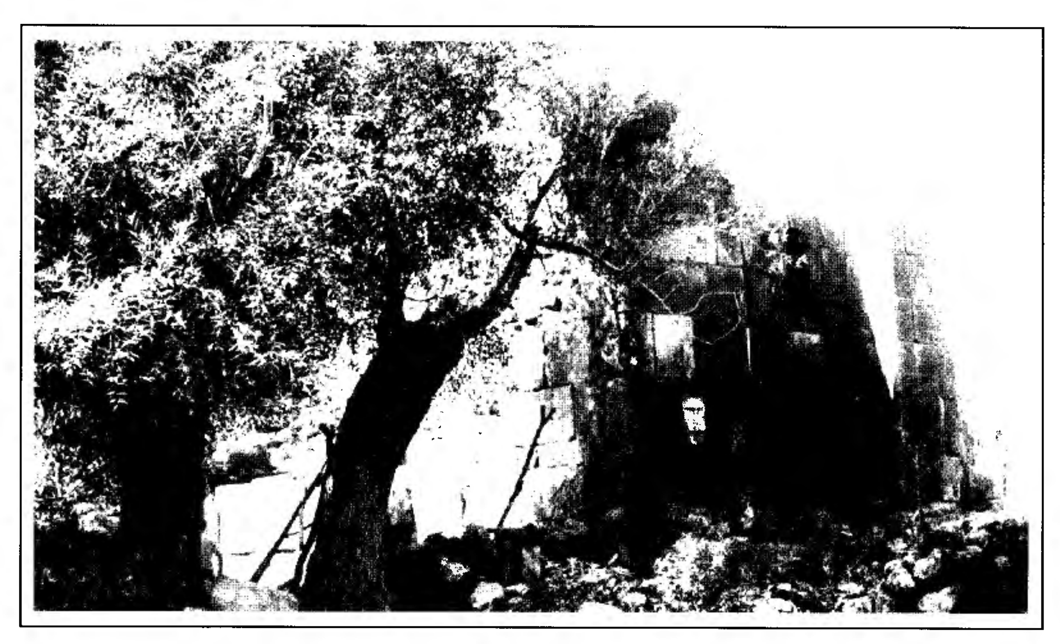
LXXVIII- كنيسة Tough (القرن الخامس) . مقطع محوري حسب P.Cuneo .



LXXIX - كنيسة Lernakerd (القرن الخامس) جبهاتها و مقطعها و مسقطها و شبابيكها و إفريزها .

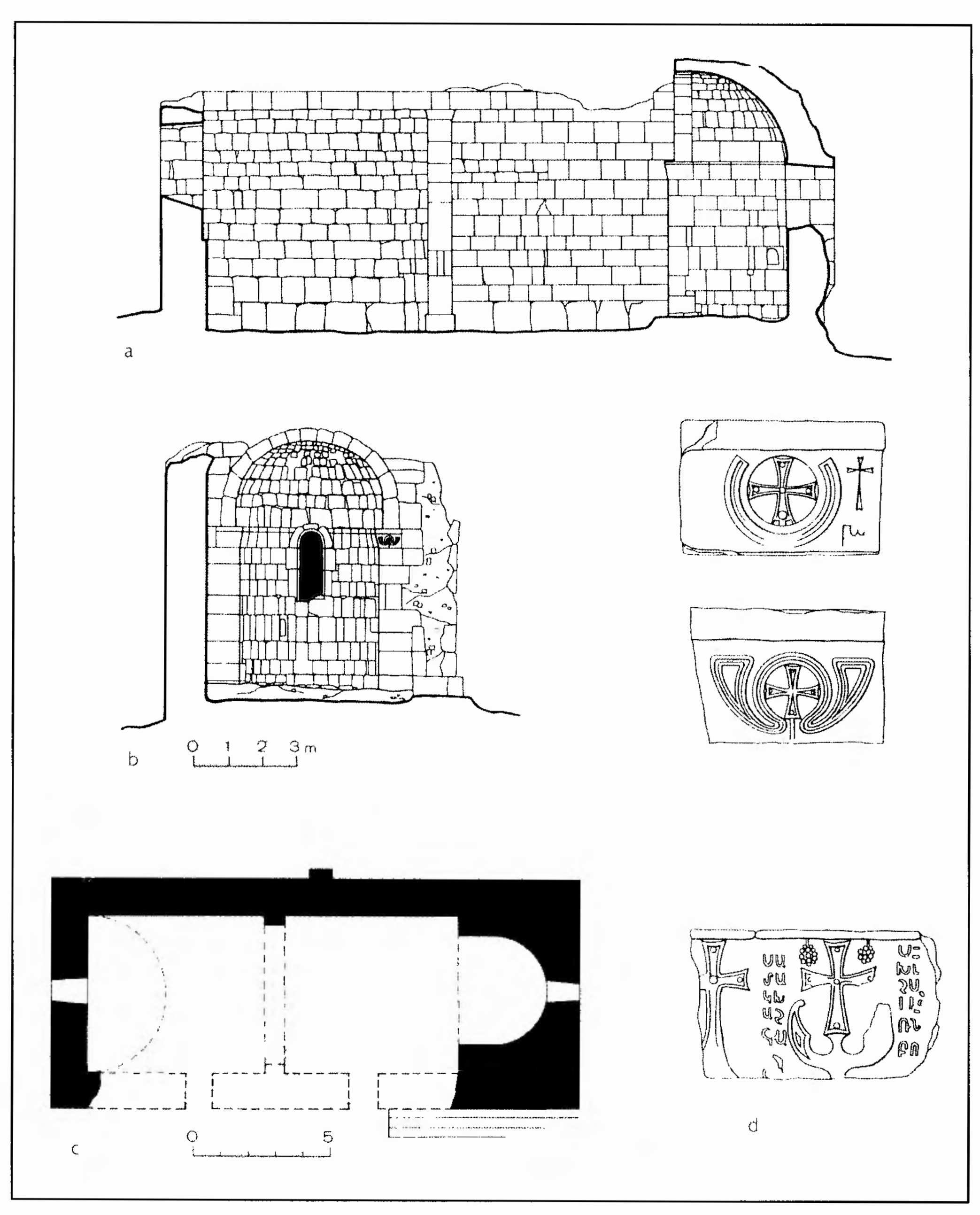


LXXX - Lernakerd شكلها من الجهة الجنوبية – الغربية و قسم من الجبهة الغربية .

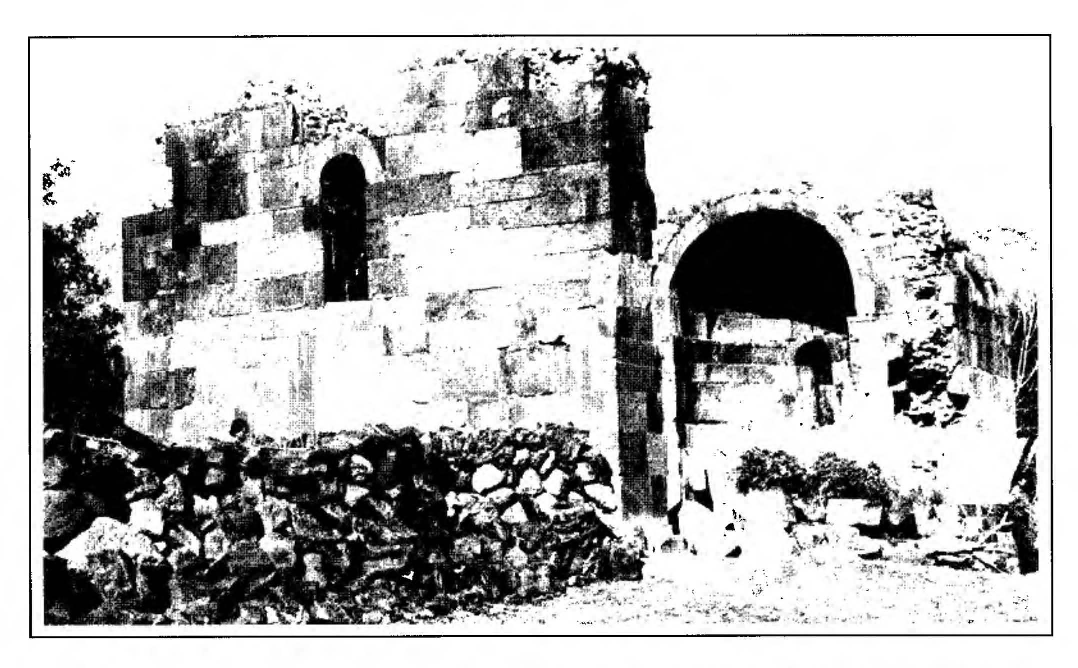


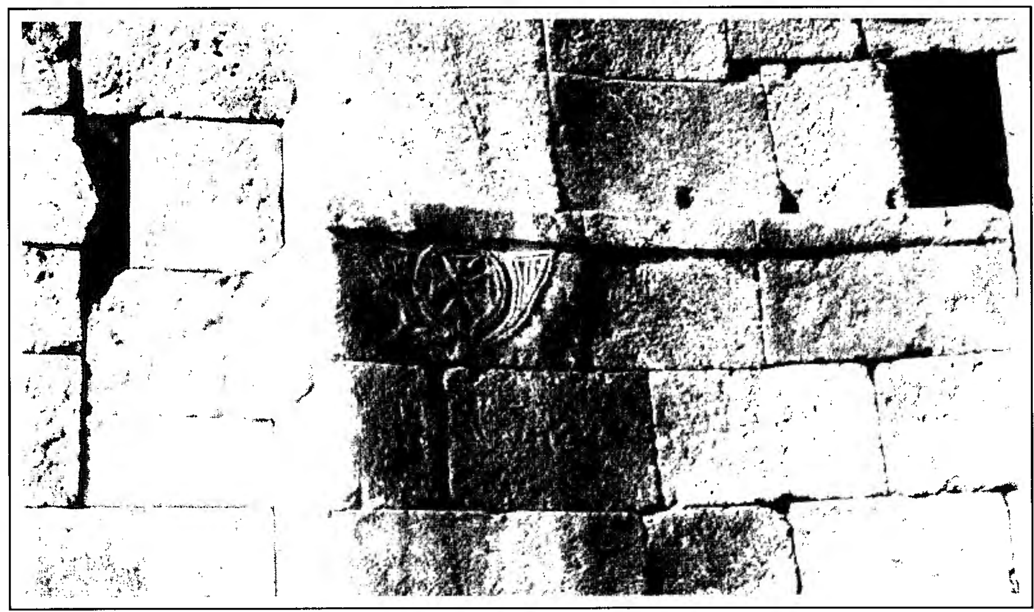


LXXXI – كنيسة Akarag (القرن الرابع) شكلها من الجهة الجنوبية – الشرقية و الصليب على جدار الخوروس Chorus .

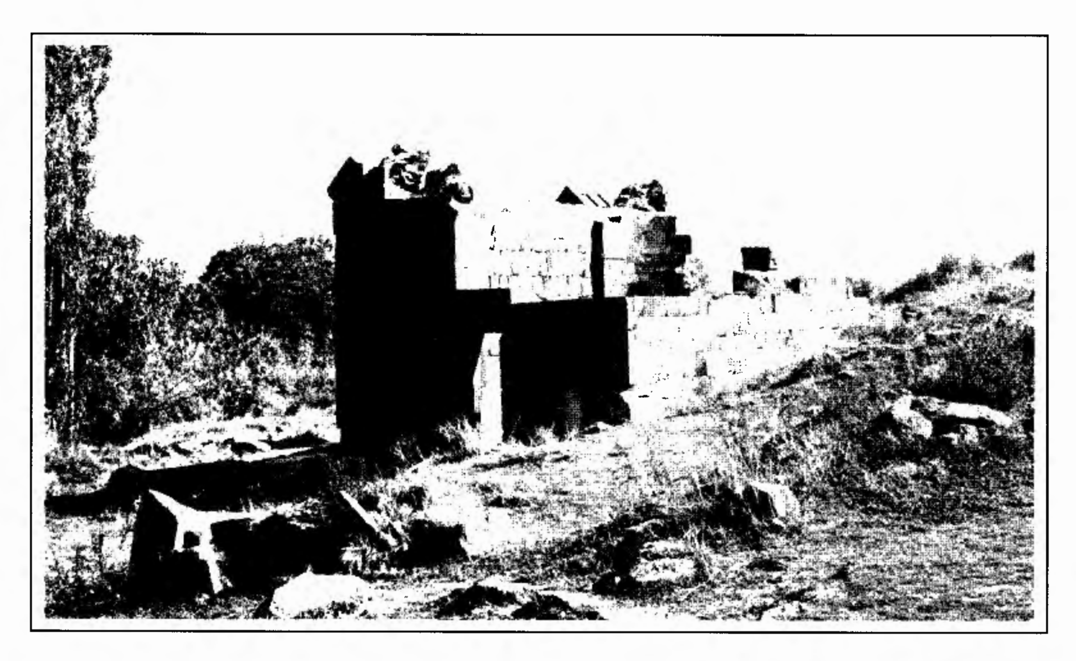


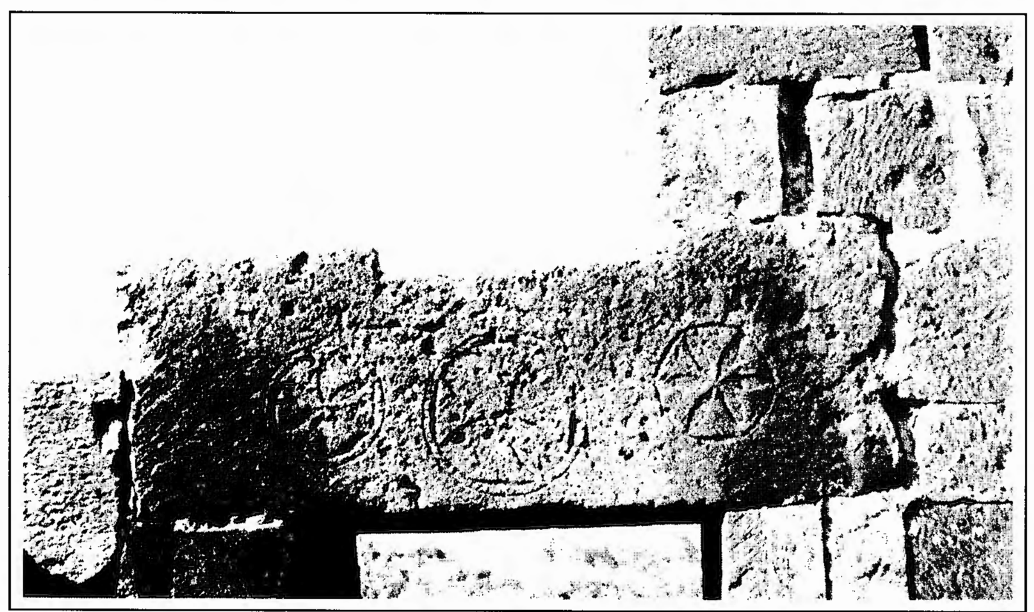
LXXXII - كنيسة Avan (القرن الخامس – منطقة أشداراك) . مقاطعها و مسقطها و تيجان حنيتها .



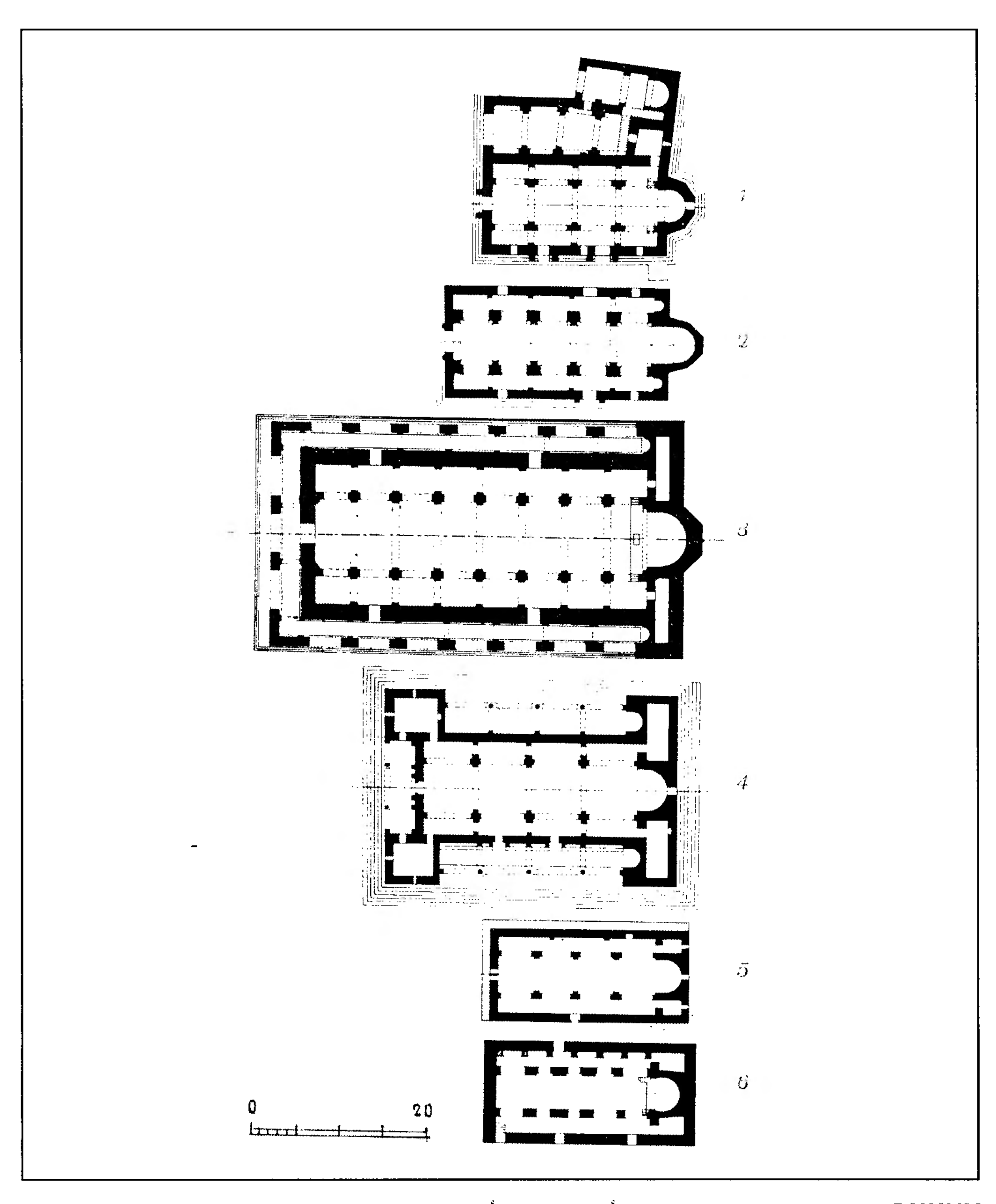


LXXXIII - Avan (أشداراك) . شكلها من الجهة الجنوبية - الغربية و الزاوية الشمالية للحنية .





LXXXIV - Avan (القرن الخامس - يريفان) . مظهرها من الجهة الجنوبية - الغربية و ساكف المدخل .



LXXXV – مساقط الكنائس البازيليكية الأرمنية ذات الأبهاء الثلاثة التي تعود إلى الحقبة المسيحسية المبكرة

(١) بازيليك كاساخ (الصليب المقدس – القرن الرابع) (٢) Yeghvart (القرن السادس) (٣)

كاتدرائية القديس كريكور في دبيل (القرن الخامس) . (٤) Yereruk (القرن الخامس) .(٥)

Dziranavor (منطقة أشداراك – القرن الخامس). (٦) Dzidzernavank (القرن الرابع) .





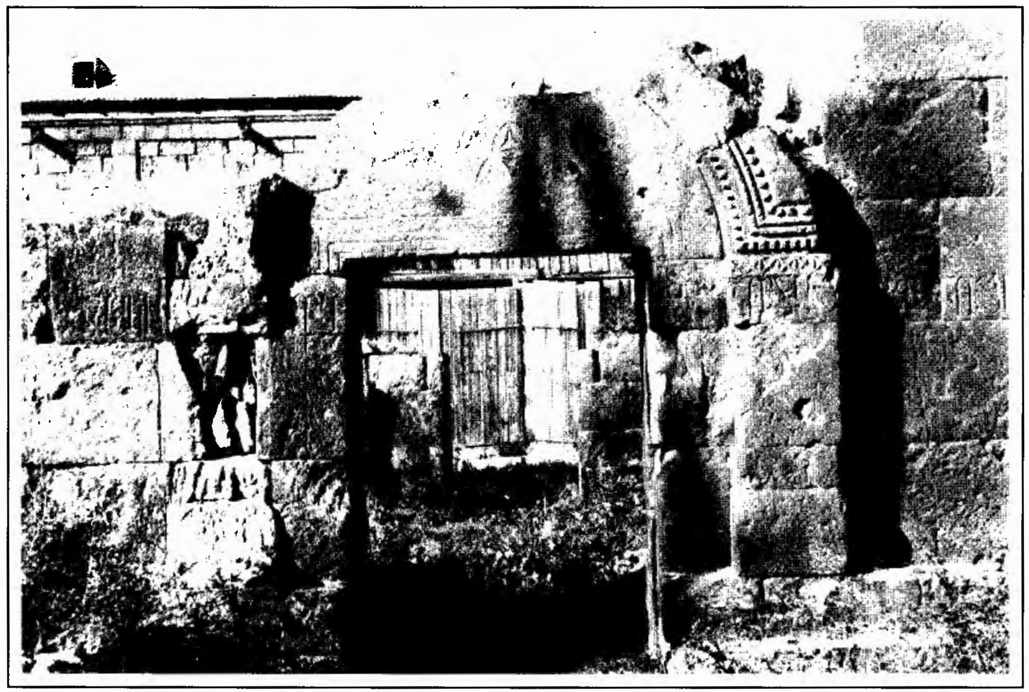
LXXXVI- بازيليك كاساخ - شبابيك الجبهة الجنوبية و قسم من الرواق الجنوبي .



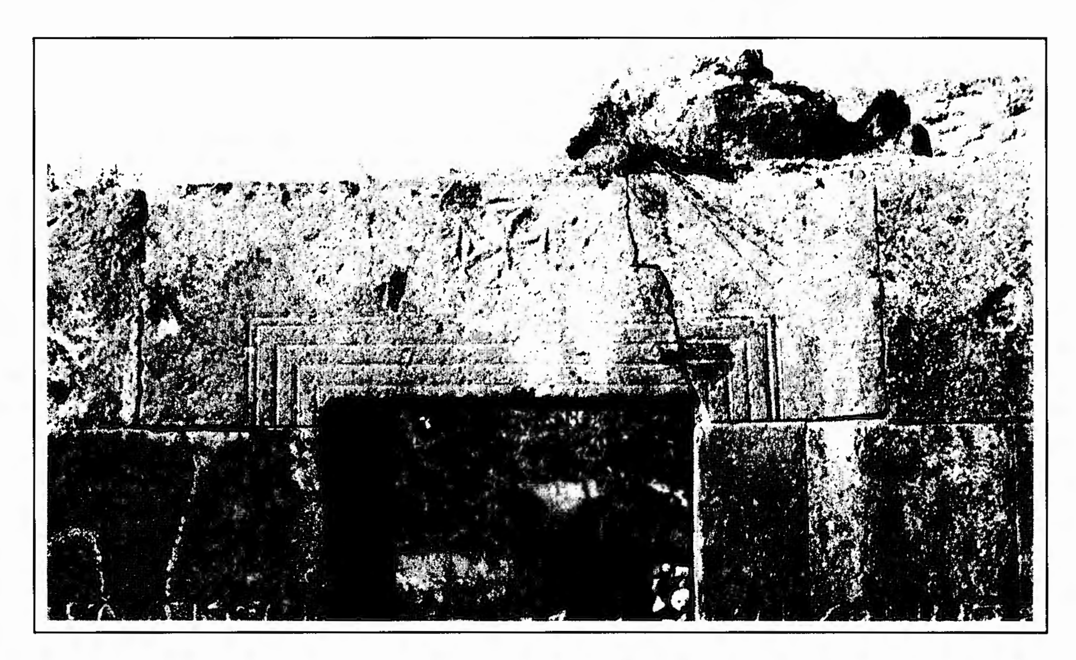


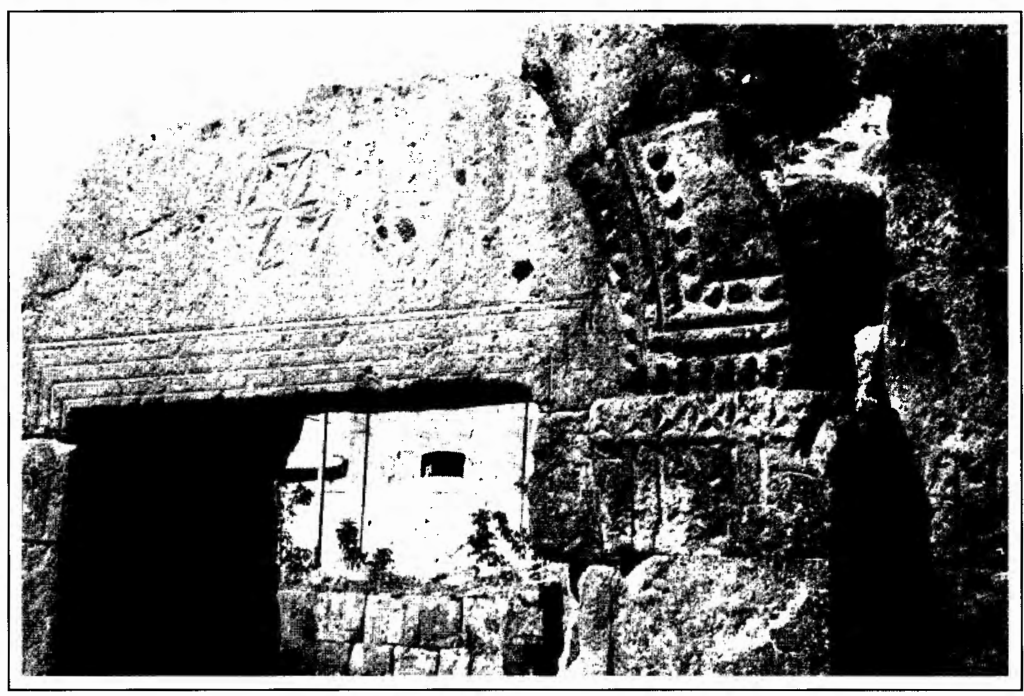
LXXXVII- بازيليك كاساخ - ساكف الباب الغربي و المدخل الشرقي على الجبهة الجنوبية .



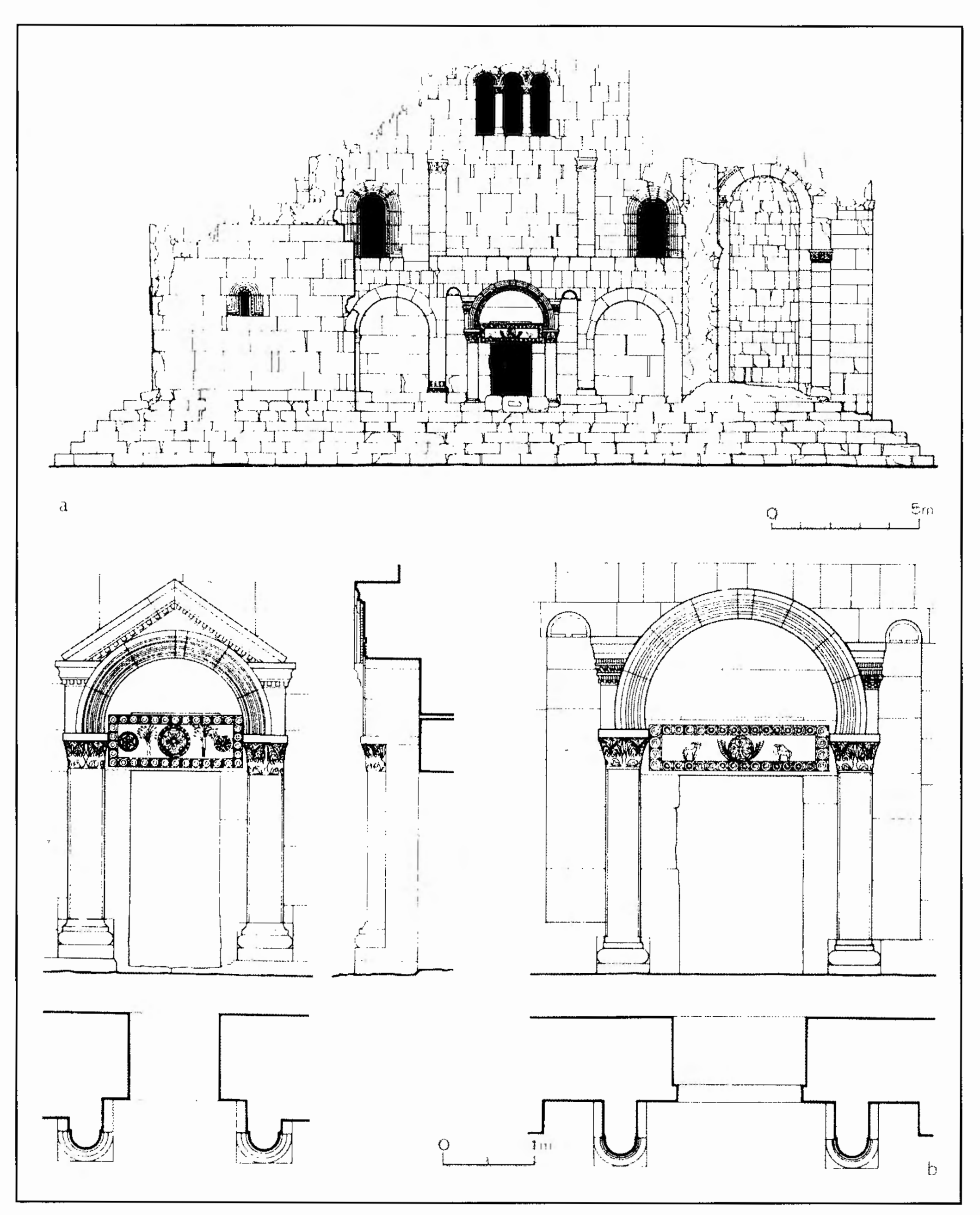


LXXXVIII - بازيليك Yeghvart مظهرها من الجهة الجنوبية - الغربية و مدخلها المركزي على الجبهة الجنوبية .

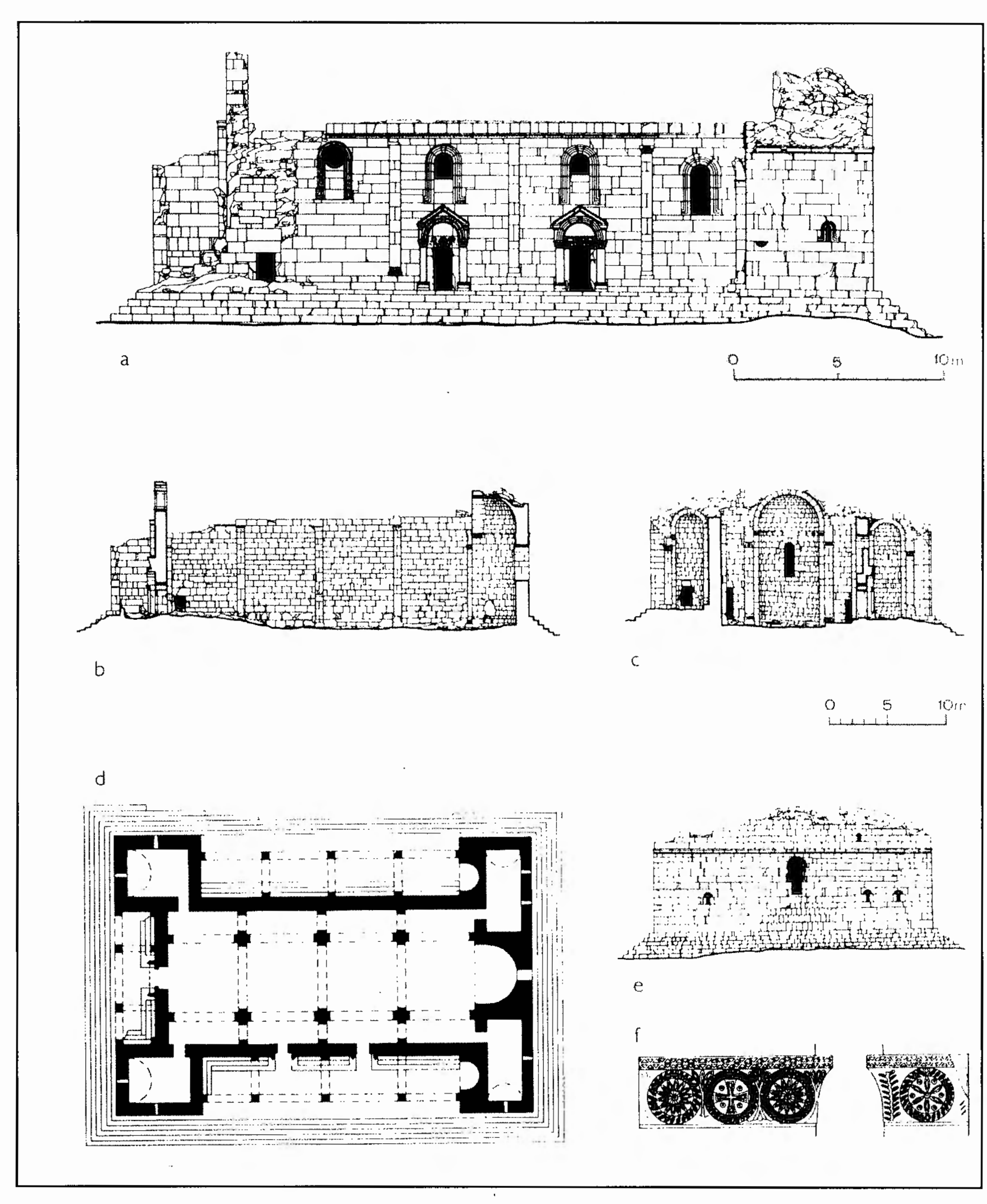




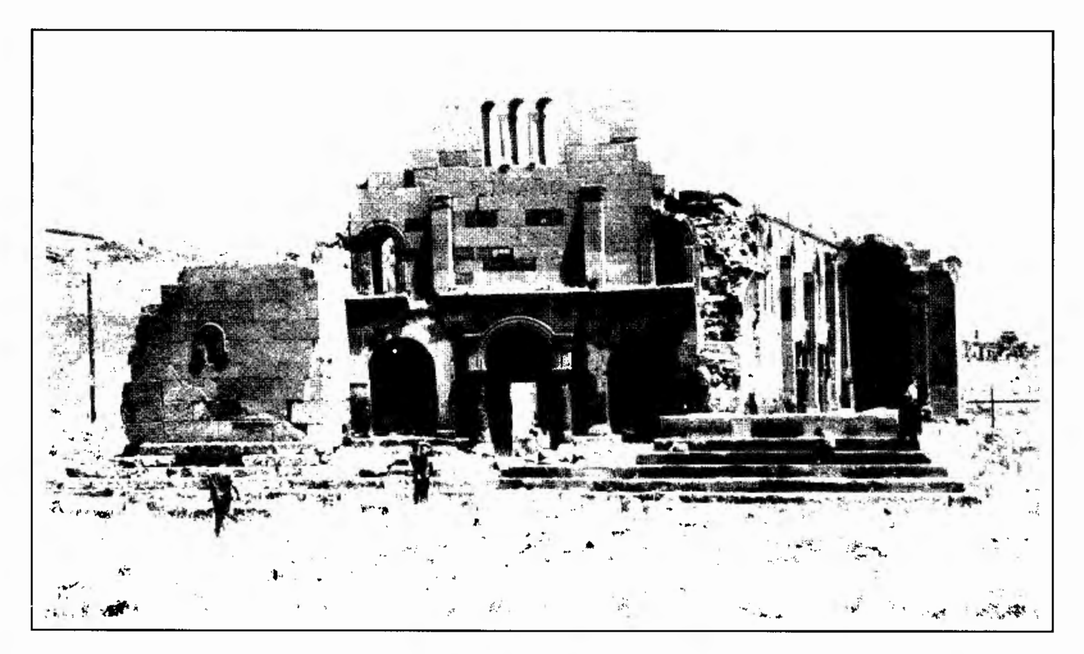
LXXXIX - Yeghvart - ساكف المدخل الشرقي على الجبهة الجنوبية و قسم من المدخل المركزي .



XC - كنيسة Yereruk - جبهتها الغربية و مداخلها الرئيسة .

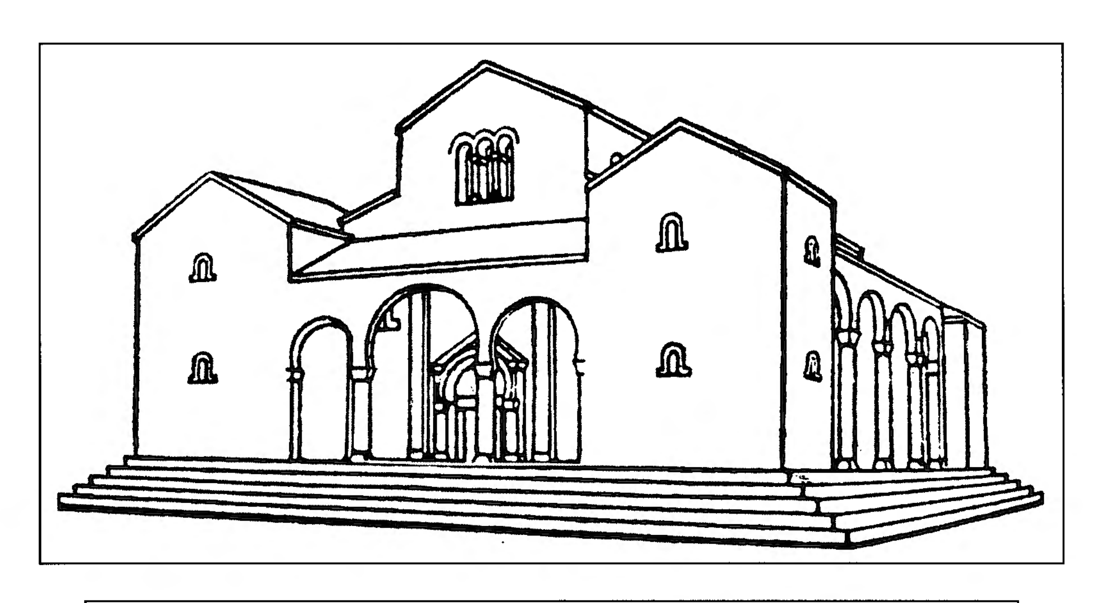


XCI - Yereruk - الجبهتان الجنوبية و الشرقية و مقاطع البازيليك و مسقطها و تاجها .



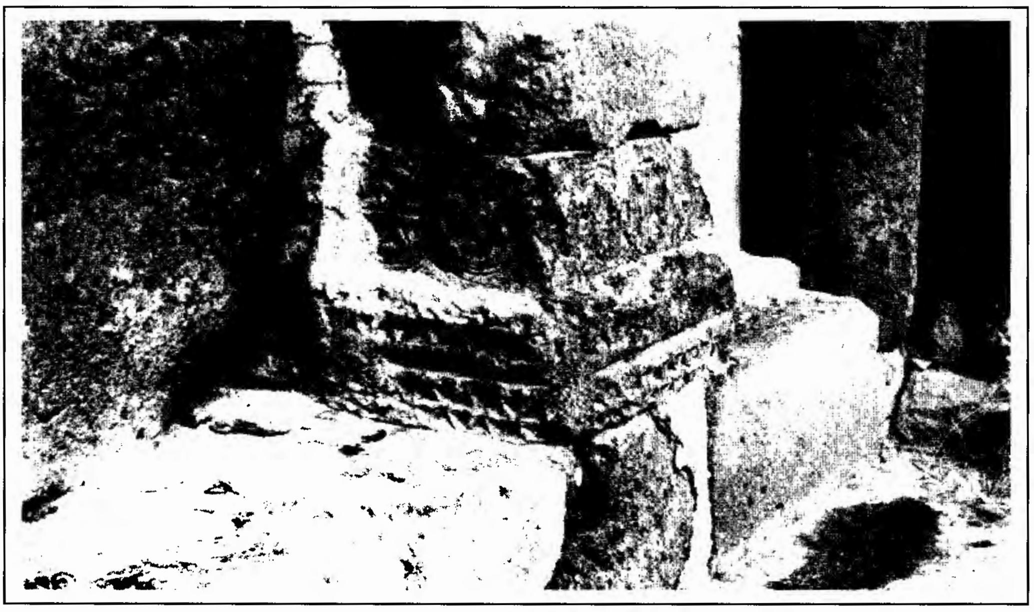


XCII - Yereruk - شكلها من الجهة الجنوبية الغربية و قسم من الداخل الغربي الرئيس على الجبهة الجنوبية .



XCIII - Yereruk - إعادة إنشاء (حسب طوكارسكي) و قسم من المدخل الشرقي للجبهة الجنوبية (حسب ش. أزاديان) .

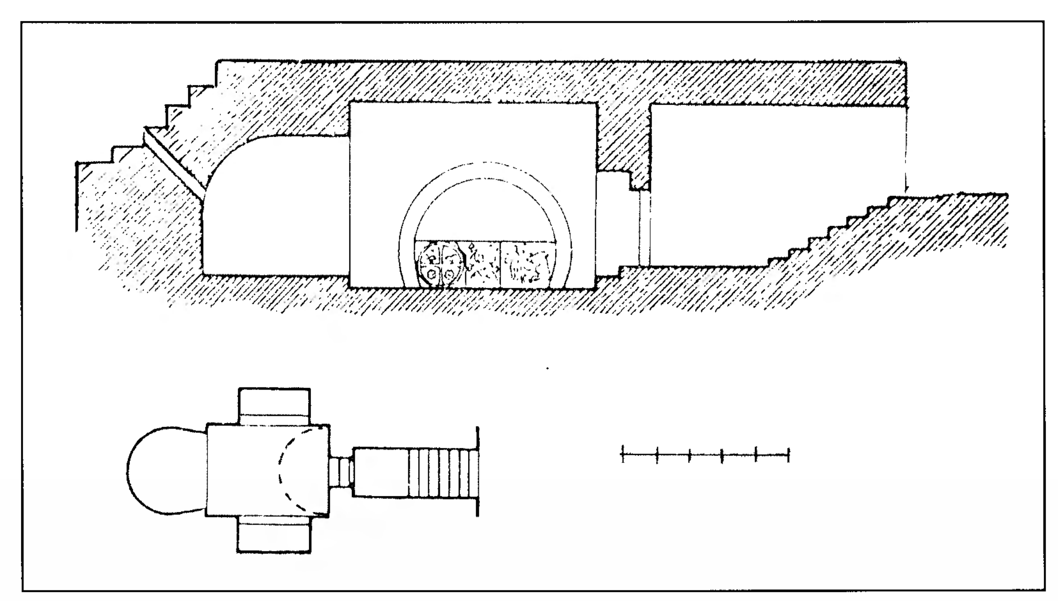




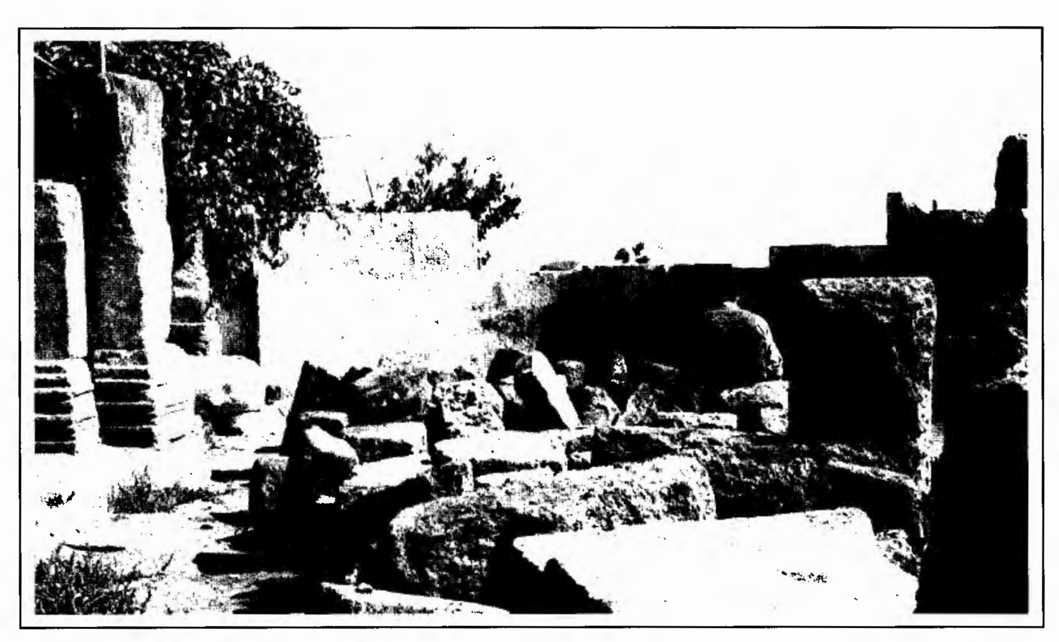
XCIV- Yereruk - ساكف المدخل الشرقي للجبهة الجنوبية و قاعدة الركيزة الجدارية للرواق الجنوبي .



XCV- كنيسة Dziranavor (في أشداراك) حنيتها و الجدار الغربي من الداخل .



XCVI – كنيسة Aghts مسقط المجمّع في القرن الرابع الذي يتألف من البازيليك ذات الأبهاء الثلاثة و مدفن الملوك الأرشاقونيين و النصب (حسب م.م هاسرتيان) و مقطع و مسقط المدفن (٣٦٤ م) (حسب طوكارسكي) .

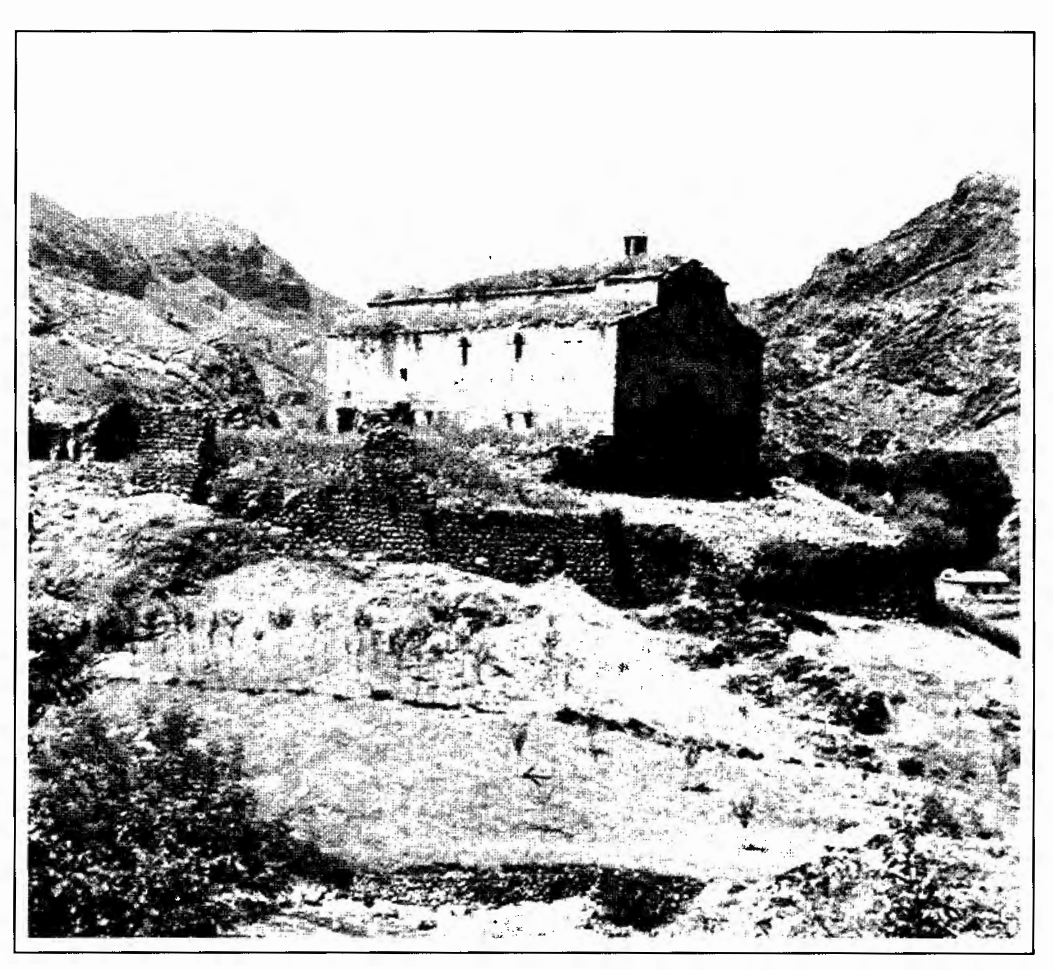


XCVII - Aghts - البازيليك و المدفن من الجهة الجنوبية – الغربية و حنية البازيليك .

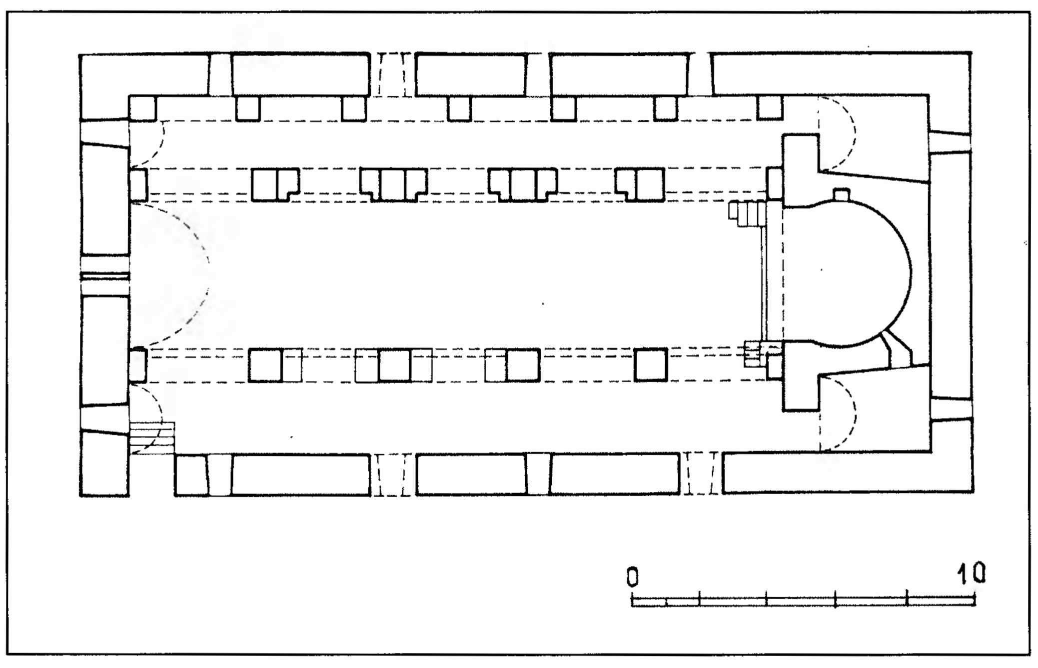




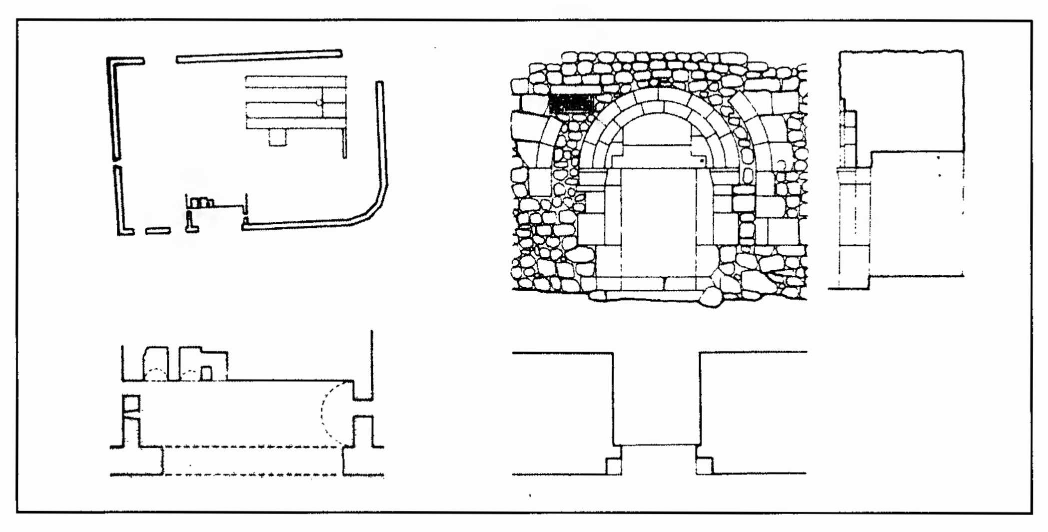
XCVIII- Aghts - ركائز البازيليك .



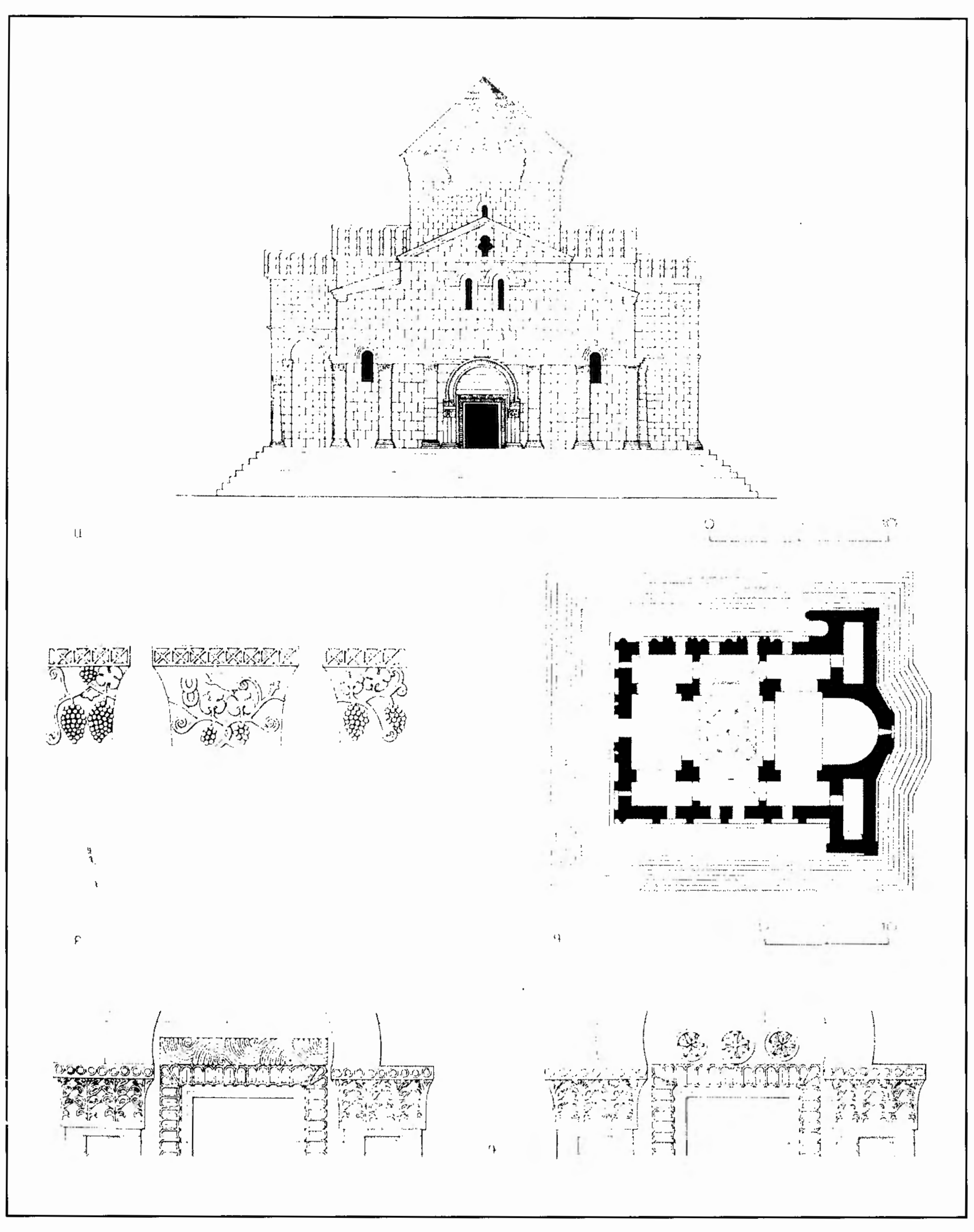
XCIX - Dzidzernavank - شكلها من الجهة الجنوبية - الشرقية .



C - Dzidzernavank (القرن الرابع) زخارفها و مداخلها الجنوبية و مسقطها .



CI- Dzidzernavank - مراحل بنائها (حسب م.س هاسرتيان) ومقطعها و مسقط الدير و غرفة الطعام و بوابتها .



Tekor - CII (٤٧٨ - ٤٩٠ م) الجبهة الغربية و المسقط و تاج العامود الجداري و المدخل (حسب ط . طورامانيان) .

الفصل الرابع

التحليل المقارن لهندسة الكنائس البازيليكية الأرمنية والسورية التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة

عند البحث حول الكنائس البازيليكية، التي تنتمي إلى الحقبة القروسطية المبكرة في كل من سوريا وأرمينيا، لم نستشهد بجميع الأوابد، بل قدمنا خصائصها العامة. وقبل المباشرة في التحليل المقارن بين هاتين المدرستين المعماريتين، نرغب بالتطرق إلى مسألة حيوية جدا ألا وهي نظرية إنتشار العقيدة المسيحية في أرمينيا عن طريق سوريا، وبالتالي اقتباس أشكال الأبنية الدينية منها.

بنى معظم الباحثين في تاريخ الهندسة نظريتهم حول علاقة هاتين البلدين في هندسة الكنائس في الحقبة المسيحية المبكرة على دخول الدين المسيحي إلى أرمينيا عن طريق سوريا. لذلك ظهرت فرضية غير علمية أن « المبشِّرين السريان هم الذين نشروا العقيدة المسيحية في أرمينيا وجلبوا معهم بالتالي مخطط الكنيسة البازيليكية ».

كانت بلاد سوريا وأرمينيا قبل العصور المسيحية بزمن بعيد على علاقات وطيدة. لنترك جانباً مسألة بدايات هذه العلاقات ولنبدأ من عصر ديكران الكبير وحتى القرن السادس. لقد كانت علاقات هذين الجارين متعددة الوجوه في حقل السياسة والأقتصاد والثقافة والدين. ويؤكد أحد المؤرخين الأرمن في مؤلفه حول ذلك قائلاً: « أفسحت علاقات الأرمن الأقتصادية مع السريان المجال واسعاً لوصول العقيدة المسيحية من الجنوب إلى أرمينيا عن طريق التجارة، لأن هؤلاء التجار السريان كانوا يُدخِلون إلى البلاد بذور العقيدة المسيحية إلى جانب البضائع التجارية. وبناء على المصادر الموثّقة التي بحوزتنا، فإن السريان واليهود في أرمينيا هم أول الجماعات التي اعتنقت الدين الجديد ».

(Hay-Asorakan Haraberutyunneri Badmutyunits III-V darer)

Yerevan-1970 p.9 H. Melkonian بالأرمنية

(صفحات من تاريخ العلاقات الأرمنية – السريانية بين القرنين ٣ – ٥م)

ليس من المستغرب أيضاً وجود أمكنة لتجمّع المؤمنين المسيحيين ومنازل تمّ تحويلها إلى كنائس في أرمينيا كما في سوريا. إلا أنه ليست لدينا مع الأسف أية أدلة تاريخية أو أثرية نتيجة التنقيبات المنهجية تؤكد على ذلك وخاصة أن مؤرخين أرمن من أمثال Zenob Klag و

Akatankeghos و Pavstos Püzant - الذين عاصروا الحقبة وكانوا من المشتركين في نشر العقيدة المسيحية – لم يذكروا عن وجود جاليات مسيحية أو كنائس في أرمينيا حتى بداية القرن الرابع.

على الرغم من كل ذلك فإن المسألة الأكثر حيوية والحادثة الفصل في حياة الشعب الأرمني هي اعتناق الدولة للدين المسيحي كأول دولة في العالم وذلك في عام ٣٠١م. وقد لعب هذا الحدث التاريخي دوراً محورياً هاماً جداً في خلق هندسة عمارة أرمنية. إلا أن العلماء وخاصة الغربيين منهم لم يعيروا اهتماماً لذلك.

تحتاج فرضية دخول العقيدة المسيحية وشكل الكنائس إلى أرمينيا عن طريق سوريا إلى براهين موثقة و مزيد من البحث المتأنّي. ونحن نعتقد أن دور سوريا في هذا الشأن بُولِغَ فيه كثيراً في معظم الدراسات وغضّ معظم الباحثين النظر عن دور كابادوكيا بينما كان لهذه الأخيرة تأثير كبير على المسيحيين الأرمن في القيصرية في القرن الثالث الميلادي. ويمكن التأكيد أن دور كابادوكيا أصبح حاسماً في القرن الرابع في مسألة تنصّر أرمينيا وإعلان المسيحية دين الدولة لأن حياة ونشاطات الملك الأرمني درطاد الثالث والمنِّور كريكور كانت مرتبطة مع روما ومقاطعاتها الشرقية وكابادوكيا. وقد لجأ درطاد ــ بعد مقتل والده خسروف ــ إلى اليونان وأمضى فترة شبابه عند الرومان وخدم في جيشهم. أما كريكور المنوِّر فقد أُرسل في طفولته إلى القيصرية حيث تمّ تعميده. وبعد نشره للعقيدة الجديدة في أرمينيا رجع إلى القيصرية ورُسم مطراناً عليها. ونعتقد أن جميع هذه الأحداث الأخيرة ساهمت في تشكيل هندسة الكنيسة الأرمنية.

Hay - Büzantakan Djardarabedakan Arentchoutyunnere Vagh -)
Midjnadaroum . Mianav Bazilikayi Orinakov)
"Badmabana sirakan Handes "1 - 2, p. 118/9- 1993 بالأرمنية
M.M. Hasratian

(علاقات هندسة العمارة بين أرمينيا وبيزنطة في الحقبة القروسطية المبكرة في حقل البازيليكات ذات البهو الواحد)

هناك ناحية حيوية أخرى وهي أن أصول التعبّد والطقوس الدينية الأرمنية الأولى لم تكن سريانية بل تعود إلى منطقة كابادوكيا لأن « كريكور المنوِّر درس وتربى وتعلم في القيصرية وأتى بمعظم معاونيه إلى أرمينيا من منطقتي القيصرية وسيواس، لذلك من البديهي أن يكون تأثيرهم أساسياً ».

بحث المؤرخ الأرمني ي. ديرميناسيان مسألة مساعدي كريكور المنوّر في نشر العقيدة المسيحية بشكل أعمق قائلاً: « يجب أن نذكر أولاً مساعدي كريكور المنوّر. يؤكد

أكاتانكيغوس في مؤلفه أن المنوّر عندما كان في سيواس حـــاول إقناع « عدد كبير من الإخــوة » للذهاب إلى أرمينيا لنشر تعاليم الكتاب المقدس فيها. وتتطابق هذه المعلومة طبعاً مع الحقائق التاريخية. إلا أن المؤرخ الأرمني لا يذكر – مع الأسف ــ إلى أي شعب ينتمي هؤلاء « الإخوة ». لكن من المؤكد تاريخياً أن مسيحية سيواس كانت هيللينية بحتة، لذلك يحق لنا التأكيد أن مساعدي كريكور المنوّر ــ حسب أكاتانكيغوس ــ كانوا ممثلي المسيحية الهيللينية. وذلك بديهي جداً لأن المنوّر شخصياً كان من ممثلي المسيحيين الهيللينيين ».

بالأرمنية Yerevan - 1977 p. 114,139(Badmutyun Hayots)Akatankeghos

(تاريخ الأرمن)

وقد أدىّ ذلك دون شك إلىالتأثير المباشر على هندسة الكنائس الأولى في أرمينيا التي قام بتشييدها كريكور المنوّر بعد رجوعه من كابادوكيا.

ويقدم لنا هذا المؤرخ شهادات عديدة كيف أن المنوّر كان يقوم بدور المهندس وذلك بتوجيه البنائين والإملاء عليهم أولى تصاميم الكنائس الأرمنية قائلاً: « قام المنوّر بزيارة مواقع المعابد الوثنية وجمع السكان وأرشدهم إلى الدين الحق ووضع هناك أساسات الكنائس ... كانت تلك الأمكنة الأولى التي شيدت عليها الكنائس...».

Idem

كان كريكور المنوّر في الحقيقة أول شخص أوجد شكل الكنائس الأرمنية الأولى. ويؤكد على ذلك العالم الأرمني المرموق س. بارخوداريان قائلاً: « لم يكن أي مهندس معماري في أرمينيا على علم بالأتجاه الجغرافي لكنيسة الدين الجديد أو على أقسامها وشكلها العام... لذلك من الطبيعي أن يقدم كريكور المنوّر تعليمات دقيقة مفصّلة حول بناء الكنيسة الأولى التي ستصبح مثالاً يحتذى في بناء الكنائس لاحقاً ».

(Midjnadaryan Hay Djardarabedner yev Karakordz Varbedner)
Yerevan - 1968 p.218 S. Barkhoudarian

(مهندسون معماريون وبناؤون أرمن في العصور الوسطى)

ابتنى كريكور المنوّر كنائس بازيليكية ذات بهو واحد وأبهاء ثلاثة كذلك كنائس مقبّبة (كاتدرائية أتشميادزين). و من أعماله أيضاً بناء كنيسة أماراس. ويؤكد على هذه الحقيقة المؤرخ الأرمني المعاصر الشهيد Movses Gaghangadvetsi قائلاً: « ذهب كريكور المنوّر إلى مقاطعة Haband في أرتساخ – قره باغ – المترجم ــ وهناك بدأ يعلّم الجموع وينصحها بالحفاظ على وصايا ابن الله وقام بوضع حجر الأساس لكنيسة في قرية أماراس بعد

أن عيّن بنائين و مسؤولين لتحقيق ذلك...».

Yerevan 1969 p. 26,48(Badmutyun Aghvanits Ashkharhi)
M. Gaghangadvetsi

(تاريخ العالم الأغواني)

أعيد ترميم هذه الكنيسة في القرن الثامن عشر فوصلت إلينا على شكل كنيسة ذات أبهاء ثلاثة.

(Amarasi Djardarabedakan Hamalire)M.M. Hasratian
“ Lraber Hasarakakan Kidutyunneri " Yerevan- 1975 No-5, p.36/7

تُعتبر مدافن القديسات هريبسيمة من أهم المواقع المقدسة في أرمينيا المسيحية التي قام بتشييدها كريكور المنوّرالتي أصبحت مثالاً يحتذى وسابقة للأوابد النصبية الأرمنية في الحقبة القروسطية المبكرة. وبسبب بنائه لكاتدرائية إتشميادزين، يُعتبر المنوّر مصمّم أول كنيسة مسيحية مقبّبة، لذلك يجب وضع اسمه بين سلسلة من رجال الثقافة المسيحية اللامعين من أمثال الكاثوليكوس كوميداس ونرسيس المُصلّح الذين يُعتبران مهندسي كنيستي القديسة هريبسيمة وزوارتنوتس المرموقتين.

(Vagh - Midjnataryan Hayasdani Djardarabednere)
" Badmabanasirakan Handes " 1985, 2 p. 124/5
M.M. Hasratian بالأرمنية

(مهندسو العمارة في أرمينيا في الحقبة القروسطية المبكرة)

ولأن أرمينيا كانت الدولة المسيحية الوحيدة الأولى مدة ربع قرن من الزمان، فمن الطبيعي أنها من الدول الأولى ـــ إن لم تكن الأولى ـــ في تصميم الأبنية الدينية.

أعلن الأمبراطور الروماني قسطنطين في عام ٣٢٥م أن المسيحية هي دين الدولة داخل حدود الأمبراطورية على الرغم من استمرار عبادة الأصنام لسنوات طويلة لاحقة. وقد تنصّرت الأمبراطورية كاملـــة في عهد الأمبراطور ثيوتوس (٣٧٩ - ٣٩٥ م) في القرن الرابع فقط. وهذا هو السبب الذي حال دون تمكن سوريا من تشييد الكنائس الكبيرة وتحديداً البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة حتى منتصف القرن الرابع وخاصة أن الحقائق التاريخية والدراسات الأختصاصية والميدانية التي قمنا بها في جميع أنحاء سوريا و خاصة في منطقة سوريا الشمالية لم تُشِرْ إلى وجود أية كنيسة ذات أبهاء ثلاثة بنيت قبل النصف الثاني من القرن الرابع.

استمرت منطقة كابادوكيا بلعب دور كبير في حياة الأرمن الدينية بعد وفاة كريكور المنوّر أيضاً. وقد ولد وترعرع ودرس فيها الكاثوليكوسان Vertanes و Aristakes (ولدي كريكور المنوّر) و تمّ رسمهما كرجال دين هنا. واستمر الحال في عهد الكاثوليكوس Housik الذي عاش في القيصرية طوال حياته ورسم فيها كاهناً وفي عهد المطران Nerses Bartev أيضاً.

لا نرغب ببحث العلاقات الأرمنية - السورية الثقافية والسياسية والأقتصادية بين القرنين ٤-٦م، لأن هذا موضوع نال كفايته من البحث الدقيق في الدراسات المنشورة. وما يهمنا من كل ذلك هو العلاقات العقائدية التي هي من الأهمية بمكان في هندسة عمارة الكنائس.

كانت قراءة الكتاب المقدس تتمّ باللغتين اليونانية و السريانية في الكنائس الأرمنية في القرن الرابع أثناء الطقوس الدينية حتى اختراع الأحرف الأرمنية في القرن الخامس. وبعد إيجاد الأحرف الأبجدية الأرمنية تمّ ترجمة الكتاب المقدس والكتب الدينية والدنيوية الأخرى إلى اللغة الأرمنية.

H. Melkonian......p. 10

انقلبت العلاقات الكنسية الأرمنية - السريانية الوطيدة رأسا على عقب بعد ظهور النسطورية. وكان السريان في هذه الحقبة يحاولون السيطرة على الكنيسة الأرمنية بدعم من الفرس. وقد عزل النسطوريون ساهاك بارتيف عن كرسي الكاثوليكوسية بمساعدة الفرس وعينوا عميلهم السرياني شموئيل بدلاً عنه. جاء ذلك في كتاب (تاريخ الأرمن) لموسيس خوريناتسي - أبي التاريخ الأرمني.

Movses Khorenatsi (Badmutyun Hayots) III, Yerevan – 1968 p. 310

إلا أنه بعد صراع ديني - سياسي دام مدة خمس سنوات أعيد تسمية ساهاك بارتيف كاثوليكوساً لعموم الأرمن. علاوة على ذلك دعّم لعن وتحريم النسطورية في عام ٤٣١م - أثناء مؤتمر إفس الديني العالمي - وضع الكنيسة الأرمنية كثيرا.

تغييرت الأحوال جذرياً ابتداء من النصف الثاني للقرن الخامس. ويؤكد المؤرخ الأرمني أنه « بصعود كاثوليكوسين من منازكرد على كرسي الكاثوليكوسية الأرمنية في هذه الحقبة وهما Melite I Manazkerdtsi (٤٥٢ - ٤٥٦م) و Movses I Manazkerdtsi (٤٥٦ - ٤٦١م) زال تأثير الكنيسة السريانية كاملة على الكنيسة الأرمنية وتبوأ المنصب رجال دين أرمن تشبّعوا بالعلم والثقافة اليونانيين. علاوة على ذلك لم تترك الصراعات التي انفجرت داخل الكنيسة السريانية ابتداء من القرن الخامس مجالاً للألتفات إلى الجيران... لذلك ليس

هناك من معنى للحديث عن تأثير أو هيمنة على الكنيسة الأرمنية، بل على العكس فإن هذه الكنيسة الأخيرة هي التي بدأت بالتأثير على جماعات الكنيسة السريانية المتصارعة الذين اعترفوا بسيادتها...».

Y. Der Minasian........p. 62

بدأت الكنيسة الأرمنية بالقيام بدور حيوي جدا في حياة كنائس الشرق الأوسط ابتداء من القرن السادس. وقد جمعت حولها الكنائس التي كانت تناضل من أجل استقلالها وتقاوم النسطوريين المدعومين من قبل الفرس والكنيسة الخلقيدونية التي كانت ركيزة بيزنطة. وقد أضحت الكنيسة الأرمنية منذئذ زعيمة الكنائس التي تؤمن بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح. وقد ساهمت مكانة الكنيسة الأرمنية الجديدة كثيرا في تطور هندسة العمارة الكنسية الخاصة بها. علاوة على ذلك كان السريان غير النسطوريين يلجؤون إلى الكنيسة الأرمنية يطلبون حمايتها ابتداءً من الحقبة الأخيرة للقرن الخامس وطوال القرن السادس.

Idem

لنبحث الآن في المسألة الحيوية الثانية وتحديدا مسألة إجلاء حقيقة العلاقات العمارية الأرمنية – السورية إنْ كانت هناك أبنية بازيليكية ذات أبهاء ثلاثة في أرمينيا قبل انتشار العقيدة المسيحية فيها.

يرى معظم العلماء ــ الذين يدرسون تاريخ العمارة في الحقبة المسيحية المبكّرة ـ أنه لا وجود لأبنية كبيرة بمسقط بازيليكي وأبهاء ثلاثة في أرمينيا قبل اعتناقها المسيحية، بل وصل هذا الطراز المعماري إليها من سوريا فقط في القرن الرابع. إلا أننا نؤكد أن هذا الرأي المعماري لا يمّت إلى الحقيقة بصلة أبداً لأن القاعات البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة في القصور الملكية المنتشرة على كامل الأرض الأرمنية كانت موجودة ومعروفة قبل تنصّر أرمينيا بحوالي ألف عام. وأهم دليل على ذلك أن القصور الموجودة في المدن الأورارتية كانت بازيليكية الشكل وذات أبهاء ثلاثة. ومثالنا على ذلك أكتشاف قصر أثناء التنقيبات الأثرية في انقاض مدينة أركيشتينخيللي التي شيدت من قبل الملك الأورارتي أركيشتي الأول في عام ٧٧٦ قبل الميلاد فيه قاعة طويلة جدا (٤١×١٦م) تنقسم إلى ثلاثة أبهاء عن طريق عشرة أزواج من الأعمدة. والبهو الأوسط بالمناسبة أعرض من البهوين الجانبيين.

(1) H. Martirosian (Arkishdinkhilli) Yerevan - 1974

(2) G. Ghafadarian (Arkishdinkhilli Kaghaki Djardarabedutyune) Yerevan - 1984 بالأرمنية

(هندسة عمارة مدينة أركيشتينخيللي)

وبعد سقوط دولة الأورارتيين أضحت هذه المدينة عاصمة حكام أرمينيا اليروانتونيين Yervantuni وأعيد تسميتها بأرمافير Armavir. وحسب الحقائق التي أكتشفت أثناء التنقيبات المنهجية، استخدمت أسوار القلعة الأورارتية والقصور الملكية والمعبد والمجمّع إلى جانب المعبد والمنازل بعد إجراء تغييرات طفيفة عليها وفي بعض الأمكنة حتى دون أدنى تغيير في الشكل.

K. Diratsian(Urartu yev Hayasdan Badmabanasirakan Handes 1971 , 1 , p. 59) بالأرمنية

(أورارتو و أرمينيا)

وبسبب الإنقطاع الكرونولوجي – الذي دام مدة ألف عام – بين القاعة البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة في أرمافير وحقبة ظهور الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة في الحقبة المسيحية المبكرة في أرمينيا، أعطى الباحثون الحق لأنفسهم واعتبروا هذا المسقط مستوردا دون تقديم أي دليل علمي. إلا أنه وفي التسعينات من القرن الماضي بدأت تظهر حقيقة استمرارية الشكل البازيليكي ذي الأبهاء الثلاثة على الأرض الأرمنية. وقد أكتشف مجمّع قصر يعود إلى القرن الأول الميلادي (يعتقد أن هذه المنطقة هي تراسخاناكرد التاريخية) يحتوي على قاعة ذات أعمدة تصل أبعادها إلى ١٠×٢٠م وتنقسم إلى ثلاثة أبهاء عن طريق إثني عشر عامودا دوريا شيّدت على صفين ولا تزال قواعدها باقية حتى الآن.

P. Ter Martirosov (Pamiatnik Klasitcheskoi Antitchnosti Armenii)
" Vestnik Yerevanskovo Universiteta " 1993 No - 3 p. 59 - 72

شيّدت أبنية بازيليكية ذات أبهاء ثلاثة في أرمينيا بعد اعتناق العقيدة المسيحية أيضا. ومثالنا على ذلك تلك القاعة المستطيلة (٢٨,٨٥ × ١٢,٥٠م) التي ابتناها الملك الأرمني خسروف الثاني كوداك (٣٣٠ – ٣٣٨م) في قلعة مدينة دبيل. وهذه القاعة مقسّمة إلى ثلاثة أبهاء (البهو الأوسط أوسع بكثير من البهوين الجانبيين) بمساعدة أربعة أزواج من الأعمدة وفي وسطها لا تزال آثار مصطبة العرش باقية حتى الآن.

(Dvinoum Beghvadz Djardarabedakan Yerkou Houshartsanne)
"Badmabanasirakan Handes " p. 113 - 121 , No. 4 , 1973 بالأرمنية
G. Ghafadarian

(آبدتان معماريتان مكتشفتان أثناء التنقيبات في دبيل)

وخرجت نظرية جديدة في المدة الأخيرة تقول أن هذه القاعة البازيليكية كانت كنيسة ذات أبهاء ثلاثة.

(Dvini Vagh - Midjnadaryan Monumental Djardarabedakan Vorosh Hartser)
" Badmabanasirakan Handes " 1990. No. 1 p. 139 - 151
A. Kalantarian
(بعض المسائل في هندسة الأوابد المعمارية التي تعود إلى الحقبة القروسطية المبكرة في مدينة دبيل)

كما نرى، إن الشكل البازيليكي ذا الأبهاء الثلاثة كان معروفا في أرمينيا أكان ذلك في الحقبة ما قبل المسيحية أم في السنوات الأولى لتنصّر البلاد. ونتساءل هنا حول شكل مسقط الكنائس السورية في القرن الرابع أي في الحقبة المسيحية المبكرة. ألم يؤكد معظم الأختصاصيين أن الكنيسة السريانية كانت الأساس في هندسة بناء الكنائس الأرمنية الأولى؟. وندعم استنتاجاتنا وتساؤلنا برأي طوروس طورامانيان الذي يؤكد على « استحالة وجود كنائس كبيرة متطورة من حيث مساقطها وبقية عناصرها في سوريا حتى القرن الرابع الميلادي كي تؤثر على هندسة الكنائس الأرمنية التي كانت تخطو أولى خطواتها ».

T. Toramanian ....I. p. 209

واستناداً إلى دراساتنا الميدانية التي قمنا بها في السبعينيات من القرن الماضي في سوريا، سنحاول تبيان أشكال ومساقط الكنائس السورية المبكّرة بين القرنين ٤ – ٧م. ومن حسن طالعنا أننا تمكنا من التعرف على معظم الكنائس التي لا تزال قائمة. أما تلك الكنائس التي كانت موجودة في الماضي وهي في حالة خراب الآن (أو لا وجود لها) استخلصنا معلومات قيمة حولها من أبحاث العالمين المرموقين بتلر و تشالنكو.

تتألف الأوابد السورية – التي تعود بقدمها إلى الحقبة الممتدة بين القرنين ٤ – ٧م – من الأبنية الدينية المسيحية (كالكنائس و المدافن) والمنازل السكنية والمنشآت الأقتصادية كالفنادق ومعاصر الزيتون والكرمة والمشاغل الصغيرة والكبيرة وغيرها. و من الملاحظ أن جميع الأبنية العامة وضعت بصماتها الواضحة على هندسة الكنائس المبكرة في سوريا وخاصة في الفترة الأولى لتشكلها.

تعدّ كنيسة فافرتين البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة – التي شيّدت في عام ٣٧٢م الكائنة في سوريا الشمالية – أقدم كنيسة مؤرخة حسب الباحث الأميركي بتلر. أما أقدم الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد فإنها موجودة في سوريا الجنوبية في منطقة أم الجمال وتحديدا كنيسة جوليانوس الآبدة التي يعود تاريخ إنشائها إلى عام ٣٤٥م. أما الكنيسة الشرقية فقد تمّ تشييدها في عام ٣٥٠م. وهناك تأكيد من قبل بتلر وتشالنكو أن كنيسة برج حيدر وسمخار

وبطوطة ذات الأبهاء الثلاثة تمّ بناؤها بعد النصف الثاني من القرن الرابع دون ذكر تاريخ بنائها الدقيق. وهكذا نرى أنه – انطلاقاً من الحقائق الموثقة – لم تكن هناك في سوريا حتى النصف الثاني من القرن الرابع كنائس بازيليكية ذات أبهاء ثلاثة.

لنصف الآن كيف كان شكل الكنائس السورية في العصور الموغلة في القدم.

هناك في مناطق عديدة من سوريا الشمالية سلسلة من الأوابد التي تعود بقدمها إلى الحقبة القروسطية المبكرة لم يُشار إليها أنها كنائس من قبل الباحثين الذين يدرسون أوابد تلك المناطق. لكن انطلاقاُ من دراساتنا الميدانية في تلك المناطق – تأكدنا أن بعضاً منها يعتبر أمثلة حقيقية لكنائس سوريا في الحقبة المسيحية المبكرة. وقد التقينا بعضاً منها في دير سيتا وجرادة وكرك بيزة ومجمّعات أخرى شيدت في القرون الوسطى المبكرة.

كنا قد ذكرنا سابقاً في هذا البحث أثناء سردنا حول كنائس سوريا البازيليكية ذات البهو الواحد أن كرك بيزة ذات البهو الواحد ــ الواقعة في شمال سوريا ــ كانت مسكناً تحوّل إلى كنيسة في النصف الأول من القرن الرابع. واكتشفنا أيضاً في خرائب ديرسيتا آبدة لم يعتبرها العلماء من أقدم الكنائس السورية ذات البهو الواحد. ويعود السبب ـ على ما يبدو ـ أن تلك الآبدة (القاعة) لا تنتهي جبهتها الشرقية بحنية بارزة. ونعتقد أن هذا البناء كان منزلاً تحول إلى مكان يجتمع فيه المؤمنون المسيحيون وبعد فترة تحول تدريجياً إلى كنيسة.

كان للكنيسة رواق أضيف حولها فيما بعد. وتحتوي الكنيسة على ثلاثة مداخل تقع جميعها على الجبهة الجنوبية. وقد نُقش على طرفي ساكف المدخل الجنوبي الغربي صليب متساوي الأضلاع داخل دائرة وإلى جانبي هذين الصليبين ترى حرفي الألفا والأوميغا اليونانيين. وهذان الصليبان دليل أكيد أن الآبدة كنيسة سورية شيدت في الحقبة المسيحية المبكرة.

كان هناك قبر إلى الجهة الشمالية من المدخل الجنوبي – الشرقي الذي من المحتمل يعود إلى قديس أو مبشّر. ولحفظ ذكراه حُوّلت هذه الفيلا إلى مصلّى في نهاية القرن الثالث على الأرجح عندما كان بناء الكنائس محظوراً في تلك الحقبة الرومانية. ولهذا السبب لا نرى حنية بارزة، بل توجد بدلاً منها تجويفة مركزية وتجويفتان صغيرتان إلى جانبيها. وتعتبر هذه التجويفات الثلاث بداية تشكل الحنية والغرفتين الجانبيتين.

على بعد ٢-٣م وارتفاع ٤-٥م شرقي الكنيسة المذكورة توجد كنيسة أخرى مشابهة في مسقطها غابت عن انتباه الباحثين. وكانت هذه الآبدة مسكناً في السنوات الأولى من القرن الرابع تحول إلى كنيسة.

لهاتين الكنيستين الواقعتين بين خرائب دير سيتا تطابق كبير في نقاط عديدة عامة كمكان توضعهما وشكل مسقطيهما مع كنيسة كرك بيزة والمنزل الكائن إلى الشرق من المجمّع السكني. وتقع كنيستا دير سيتا المذكورتان في مجمّع مماثل أيضا على بعد حوالي ٢٠٠م تقريباً إلى الجهة الجنوبية – الشرقية من الكنيسة الرئيسة ذات الأبهاء الثلاثة.

هناك طراز مختلف كليا في مسألة تحويل الفيلا إلى كنيسة ذات بهو واحد في المنطقة الواقعة في نهاية الجهة الشمالية – الشرقية من مجمّع جرادة. ومن المحتمل جداُ أن هذا التغيير جرى في أواخر القرن الثالث أو في نهاية القرن الرابع. وحسب الآثار المتبقية كانت هذه الآبدة فيلا ذات طابقين تحتوي على باحة واسعة ومعصرة زيتون. ونظرا لصعوبة بناء قوس للحنية داخل القاعة ذات الطابقين، يظهر أنهم قرروا بناء حنية كاملة يصل ارتفاعها إلى نهاية الطابق الأول وعلى الجهة الشرقية من الفيلا بسبب وجود مساحة حرّة على الجبهة الشرقية من الفيلا التي تقع على أطراف المجمّع.

وهذه الناحية لم تكن متاحة لا في كرك بيزة أو في دير سيتا. والحنية المضافة مستطيلة الشكل ومغطاة بسقف جملوني بمساعدة الألواح الحجرية المستوية. ولم نصادف في جميع الأوابد السورية – التي تنتمي إلى الحقبة الممتدة بين القرنين ٤-٧م- على أي شكل معماري مشابه. لذلك نعتقد أن هذا البناء كان منزلاً سكنياً في السابق والاحتمال كبير أنه حوّل إلى كنيسة في نهاية القرن الثالث. ومن الشيق الإشارة هنا إلى تجويفة على الجدار الشرقي للحنية تصل أبعادها إلى ٥٠×٥٠سم وعمق ٣٠ سم، وعلى زواياها الأربع نرى آثار فتحات صغيرة حيث كان يوضع غطاء عليها. وتذكرنا هذه التجويفة الموجودة في وسط الجدار المنقور في الصخر في الكنيسة الجنوبية – الشرقية في دير سيتا. ولا نجد تجويفات مشابهة في الأوابد التي شيدت في القرون اللاحقة.

شاهدنا ظاهرة تحوّل المنازل إلى كنائس في سرْجبلَة وبعض المناطق الأخرى. وعلينا هنا الإشارة إلى كنيسة دورا – أوروبوس ذات البهو الواحد التي هي أقدم كنيسة مؤرخة اكتشفت في سوريا في المدة الأخيرة. ويؤكد كرايلنغ انها شيدت في عام ٢٣٠ م كمنزل سكني أولاً ثم حُولت إلى كنيسة في عام ٢٤٠م.

تقدم لنا هذه الأمثلة حول دير سيتا وجرادة وكرك بيزة ودورا – أوروبوس فكرة عن مصادر تشكل الكنائس في الحقبة المسيحية المبكرة (التي نتجت ــ كما أسلفنا ــ عن الدور السكنية بشكل أساسي) وحول تطور مساقطها وأشكالها ابتداء من نهاية القرن الثالث وحتى النصف الثاني من القرن الرابـــع. وتتطابق هذه العمليـــة الخلاقة مع تلك الحقبة عندما كانت

التشريعات الدينية المسيحية تتبلور و العبادة كانت سرية.

بعد كل هذا نتساءل عن كيفية وصول الشكل البازيليكي للكنائس السورية ذات الأبهاء الثلاثة و التفاصيل المعمارية الأخرى عندما لم يكن هذا التصميم قد تشكل في سوريا بل كانت هناك فقط كنائس ذات بهو واحد بأشكالها البسيطة البدائية.

لدعم آرائهم يلجأ العلماء – الذين يدرسون علاقات هندسة عمارة الكنائس المبكرة في أرمينيا وسوريا – بتقديم دراسات مقارنة حول الكنائس البازيليكية الأرمنية والسورية في الحقبة الممتدة بين القرنين ٤–٦م ويركزون جلّ اهتمامهم على كنيسة Yereruk البازيليكية الأرمنية من جهة وكنيسة ترمانين ورويحة والبارة وقلب لوزة والرصافة وكنائس بازيليكية أخرى في سوريا مؤكدين أن لها مسقطا بازيليكيا هيللينياً. ويرى هؤلاء تشابها أيضا في مخطط الأروقة وشكل المداخل الرئيسة والعناصر الزخرفية. ويؤكدون في الوقت ذاته على بعض أوجه الاختلاف بين هاتين المدرستين المعماريتين ويذكرون مثلا أن كنائس أرمينيا في الحقبة المسيحية المبكرة كانت ذات قبو سريري حجري Barrel Vault بينما سقوف الكنائس في سوريا كانت خشبية. والكنائس البازيليكية تنقسم إلى ثلاثة أبهاء عن طريق صفين من الركائز الكبيرة بينما الكنائس السورية تنقسم إلى أبهاء ثلاثة بمساعدة صفين من الأعمدة. ويستشهد جميع العلماء تقريبا في أبحاثهم بكنيسة Yereruk و Tekor الأرمنيتين. أما الكنائس السورية التي يقومون بمقارنتها مع هاتين الكنيستين فهي عديدة.

لدى جميع العلماء الذين ذكرناهم تعميم موحّد في آرائهم (عدا أ. ساهينيان). وعلى الرغم من إشارة هؤلاء إلى أوجه الشبه والتباين بين هندسة الكنائس في الحقبة المسيحية المبكرة في كل من أرمينيا وسوريا (والتعميمات تنال الحصة الأكبر) يصلون إلى استنتاج غير علمي في نهاية المطاف مؤكدين أن هندسة العمارة السورية هي ينبوع هندسة العمارة الأرمنية. ولتوثيق ذلك يلجؤون إلى المثال الوحيد Yereruk وذلك بسبب الشبه الكائن في تصميم الجبهة الغربية الرئيسة للكنيسة مع الواجهات الغربية لبعض الكنائس السورية.

نعتقد أنه لن يكون تكرارا إذا بينّا وجهة نظرنا وذلك بتسليط الضوء حول أوجه التباين والتشابه في مساقط وأشكال وفن بناء وزخرفة الكنائس الأرمنية والسورية التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة جدا وذلك انطلاقا من أبحاثنا الميدانية في المواقع في كل من سوريا وأرمينيا لنصل معاً إلى بعض الاستنتاجات.

بحث علماء أرمن وأجانب عديدون علاقات هندسة العمارة الأرمنية والسورية البازيليكية ذات البهو الواحد التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة.

يرى هـ. كليوك مثلاً أن تطور الكنائس ذات البهو الواحد في كل من منطقة ما بين النهرين الشمالية وأرمينيا مرّ في مسار واحد. ويظهر ذلك – حسب رأيه – عند مقارنة كنائس طور عابدين مع كنائس أرمينيا ويخص بالذكر كنيستي (مار أوكين) و (كاخي مارسوفو) ذات البهو الواحد مع الكنيستين الأرمنيتين Yeghvartو Karnoud ذات البهو الواحد من حيث القبو السريري وشكل الحنية ومسائل المساقط.

Y. Strzygovski ....p. 378

يرى أ. خجادوريان أن هناك علاقات في مسألة الأروقة بين كنيسة ربيعة السورية وكنيستي Dvin و Tanahad ذات البهو الواحد الأرمنيتين.

A. Khatchadourian p.94

يلتفت أ. بابوجيان أيضاً إلى العلاقات المعمارية الأرمنية والسورية في الحقبة المسيحية المبكرة ويقوم بوضع جدول مقارنة بين كنيسة ربيعة في سوريا و Lernakerd في أرمينيا وكنيسة نورية مع Karnoud وسرير مع Tanahad وكنائس دبيل ذات البهو الواحد وكنيسة بَعودة السورية مع Karni و Dvin و Akarag و Djardjaris و Hovhannavank ذات البهو الواحد.

(Relations des armeniens et des Syriens du I-re Siecle avant Y.C au VII siecle après Y.C) "Armenian Studies" Beirut – 1973, p 122
P. Pabujian

تتبع أفكار كليوك وخجادوريان – حسب اعتقادنا – عندما يقارنان ويقدمان أمثلة حول الكنائس ذات البهو الواحد في البلدين التي ترجع إلى الحقبة المسيحية المبكرة جداً بسبب وجود بعض التماثل في شكل مساقط هذه الكنائس وعناصرها كالبهو والحنية والغرف الجانبية والأروقة. إلا أننا نعتقد أن هذه الظاهرة ليست عامة بين سوريا وأرمينيا فحسب، بل تسود أيضاً بين جميع الدول التي اعتنقت المسيحية ديناً كبيزنطة وشمالي ما بين النهرين وآسيا الصغرى وجيورجيا والدول البلقانية وغيرها، حيث نجد العناصر الأربعة للكنائس ذات البهو الواحد موجودة في مسقط هذه الكنائس وذلك بنسب وترتيب مختلف.

أتيحت لنا الفرصة المناسبة في سبعينات القرن الماضي لدراسة معظم الكنائس ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة ميدانياً- التي شيدت في الحقبة المسيحية المبكرة- في كل من سوريا وأرمينيا، وكانت الحصيلة اكتشاف سلسلة من الحقائق الجديدة الشيقة. لذلك سنحاول بدورنا إجلاء أوجه التباين والشبه بين الكنائس البازيليكية الأرمنية والسورية ذات البهو الواحد التي تعود بقدمها إلى الحقبة المسيحية المبكرة.

أ- النقاط العامة

لجميع الكنائس ذات البهو الواحد - التي شيدت في العصور المسيحية المبكرة - عناصرها المعمارية ذاتها التي شيدت لإقامة الشعائر الدينية فيها. وتعتبر القاعة المستطيلة العنصر الرئيس الذي خصص كمجْمع للمؤمنين ليقوموا بالصلاة والاستماع إلى الشعائر الدينية. وقد شيدت الحنية على الجهة الشرقية من هذه القاعة للقيام بالطقوس المسيحية.

تعتبر القاعة والحنية وحدة أساسية حيث تشاد بقية العناصر المتمّمة من غرف جانبية وأروقة. لنرى ما هي هذه المتممات وأوجه الشبه:

١.- توجد في كل من سوريا وأرمينيا كنائس ذات بهو واحد التي تعتبر من الكنائس البسيطة والبدائية جداً من حيث مساقطها وأشكالها الهندسية. وتتألف هذه الكنائس من المصلّى والحنية دون أية غرف جانبية أو أروقة. ومن هذه الكنائس في سوريا دير الجوّانية وخرّاب شمس وست الروم وكنائس أخرى ذات بهو واحد. والكنائس الأرمنية ذات البهو الواحد التي تمتاز بمسقط مشابه هي أكبر عدداً نسبياً ومثالنا على ذلك كنيسة Djardjaris و Djervej و Lernakard و Yeghvart و Lousakerd و Bemzashen و Aragügh و Parbi و Shenik و Talin وكنائس دير Karenis وغيرها.

٢.- من التصاميم المعمارية العامة بين البلدين وجود كنائس ذات بهو واحد تحتوي على غرفة أو غرفتين إلى جانبي الحنية وأروقة بمحاذاة الجدارين الطولانيين للكنيسة. ومثالنا على ذلك كنيسة كفر Fintcheh (المحاطة بأروقة على جهاتها الثلاث) وسرير وكرك بيزة وبنكفور وسرجبلة وكفير ودير سمعان (الدير الجنوبي - الغربي) وربيعة وغيرها في سوريا. ومن الكنائس الأرمنية نذكر karnoud و Tanahad و Garni و Dvin و Gülakarag و Hobartsi و Djegrashen و Gurtan و غيرها.

٣.- من النواحي المشتركة في تطور المساقط بين البلدين يمكن الإشارة إلى تلك الكنائس ذات البهو الواحد التي تحتوي على غرفة واحدة على كل من جانبي الحنية و محاطة بجدار

خارجي مستقيم. ومثالنا على ذلك كنيسة براد الجنوبية – الشرقية و أم الجمال الشرقية و ماسيخوس و غيرها من الكنائس السورية. أما في أرمينيا فإننا نشير إلى كنيستي Pashvank و Hokotsvank الواقعتين إلى الجهة الجنوبية من بحيرة Van في تركيا الحالية.

أما بالنسبة للشكل الداخلي لمسقط الحنيات فنرى أن جميع الكنائس في البلدين شيّدت على شكل نصف دائرة أو حدوة فرس و هناك تشابه أيضاً في أشكال أقواس الحنيات التي هي أيضاً على شكل نصف دائرة أو حدوة فرس على الأغلب.

٤.- وجود عنصر عام آخر بين كنائس أرمينيا و سوريا الجنوبية خاصة. و يعود الحديث إلى الركائز الجدارية الداخلية التي تعتبر مسنداً للأقواس الجدارية العرضانية. و هذه الركائز الجدارية تخفّف من ضغط القوى الدافعة بسبب ثقل السقف على الجدران الطولانية.

٥.- تتألف سواكف مداخل الكنائس ذات البهو الواحد في البلدين في معظم الأحيان من قطعة حجرية واحدة. ولهذه السواكف شكل حرف Π اليوناني في أحوال كثيرة التي تخفف الضغط الحاصل من الجدار الكائن على القسم العليوي منها وتحوله إلى الجانبين.

٦.- يكمن التعميم الأخير بين الكنائس ذات البهو الواحد أن عناصرها الزخرفية بسيطة جداً مقارنة مع الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة في كل من البلدين.

وعلى الرغم من جميع هذه النقاط العامة هناك سلسلة من نقاط التباين في كنائس أرمينيا وسوريا ذات البهو الواحد التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة.

(ب) أوجه التباين

يُعد الفكر المعماري من أهم نقاط التباين الرئيسة التي تلفت الانتباه في الكنائس الأرمنية والسورية ذات البهو الواحد في الحقبة المسيحية المبكرة جداً. فنرى ذلك منعكساً في ترتيب الغرف الجانبية للحنية والأروقة بالنسبة للقاعة. ونلاحظ بشكل عام أن المهندس السوري لم يلجأ إلى أية قاعدة معمارية محددة. ومثالنا على ذلك كنيسة سرجبلة ودير سمعان وسرقانيا وبراد وغيرها من الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد. ونلاحظ أيضاً أن مبدأ التناظر غائب في جميع هذه الكنائس الواقعة في المنطقة الشمالية من سوريا التي شيدت في القرن السادس.

لاتحتوي كنيسة دير الكهف ذات البهو الواحد – الواقعة في المنطقة الجنوبية من سوريا التي كانت معبداً وثنياً سابقاً – على رواق. إلا أنه كان لها غرفتان مساعدتان لا إلى جانبي الحنية بل على الجبهة الغربية. ويعتبر شكل حنيتها البارزة المضلّعة الثلاثية متميزاً بين جميع الكنائس السورية ذات البهو الواحد التي شيدت في الحقبة المسيحية المبكرة.

تعتبر مساقط بعض الكنائس السورية ذات البهو الواحد الواقعة في المنطقة الجنوبية من سوريا أكثر تنظيماً لأننا نرى انسجاماً ودقة في فنّها المعماري. ومثالنا على ذلك كنيسة أم الجمال الشرقية و جوليانوس و ماسيخوس ذات البهو الواحد وصبحة ودير الجوّاني. وتحتوي هذه الكنائس الأخيرة (كدير الكهف مثلاً) على غرفتين مساعدتين شيدتا إلى جانبي المدخل الغربي الرئيس. ومن كنائس المنطقة الشمالية في سوريا التي تمتاز أيضاً بمسقطها المنظم كنيسة براد الجنوبية – الغربية وكفر فنشاح وربيعة وخراب شمس ذات البهو الواحد.

ترتبط هندسة عمارة الكنائس السورية ذات البهو الواحد في سوريا بشكل عضوي مع هندسة البيوت السكنية كما ذكرنا سابقاً. وقد قدم كرايلنغ مثالاً حول ذلك كنيسة دورا أوروبوس وتشالنكو وأ. خجادوريان وغيرهم كنيسة كرك بيزة. وقد اكتشفنا بدورنا أثناء أبحاثنا الميدانية في جميع أنحاء سوريا أمثلة جديدة في مجمّعي جرادة ودير سيتا حيث تحولت بعض المنازل إلى كنائس ذات بهو واحد ابتداءً من نهاية القرن الثالث وحتى السنوات الأولى للقرن الرابع.

ليس عدد الكنائس ذات البهو الواحد الواقعة خارج المجمعات السكنية كبيراً لأنها تشاد عامة ضمن مجمعات الأديرة وتكون على اتصال بالمنشآت السكنية أو الاقتصادية. وتشكل كنيسة أم الجمال الشرقية وجوليانوس وعنـز وماسيخوس ذات البهو الواحد قسماً من مجمعات الأديرة. وتقع هذه الكنائس في مناطق سوريا الجنوبية. ويمكن ذكر بعض الكنائس ذات البهو الواحد في منطقة سوريا الشمالية ككنيسة دير سمعان الجنوبية وبراد الجنوبية – الشرقية وغيرهما.

إذاً من الميزات المهمة للفن المعماري السوري أن عدداً كبيراً من الكنائس ذات البهو الواحد تقع ضمن مجمعات الأديرة بينما الحالة معكوسة في أرمينيا لأن هذا الطراز من الكنائس نادر الوجود داخل مجمعات الأديرة الأرمنية.

على الرغم من تعدّد أشكال مساقط الكنائس السورية ذات البهو الواحد التي تنتمي إلى الحقبة المسيحية المبكرة، إلا أن حلول مساقط الكنائس الأرمنية البازيليكية ذات البهو الواحد المبنية في الحقبة القروسطية المبكرة تعتبر أدق معمارياً ووظيفياً مقارنة مع الكنائس السورية.

جرى تنسيق الغرف المساعدة والأروقة في كنائس أرمينيا البازيليكية ذات البهو الواحد مع القاعة العامة والحنية بدقة كبيرة. ولم يركز المعماريون الأرمن انتباههم على دقة تطبيق المخطط المساحي الأساسي فحسب، بل حافظوا أيضاً على النواحي الجمالية.

إن الكنائس السورية ذات البهو الواحد التي شيدت بجدار رقيق واحد دون استعمال الملاط تمّ دعم جدرانها الطولانية ببناء سلسلة من الغرف المساعدة إلى جانبيها لتحييد أو إزالة القوى الدافعة للسقوف. أما الكنائس الأرمنية ذات البهو الواحد فإنها مقارنة مع الكنائس السورية ذات البهو الواحد تمتاز بجدران ثلاثية حيث يشاد الجدار بأحجار صغيرة مع استعمال الملاط الجيري. وهذه الطريقة لرصف الجدران التي تسمى Medis مكنّت البنائين الأرمن على بناء سقوف حجرية ثقيلة معقودة وإزالة القوى الضاغطة عن طريق هذه الجدران السميكة. لذلك لم تكن هناك حاجة لإضافة أي عنصر معماري عدا الغرفتين إلى جانبي الحنية والأروقة إلا في حال الحاجة إليها. علينا التأكيد أيضاً أن هناك عدداً كبيراً من الكنائس في أرمينيا لا تحتوي على الغرفتين الجانبيتين أو الأروقة وتقف وحيدة بالكامل خارج مجمعات الأديرة.

من الصفات المميزة للكنائس البازيليكية الأرمنية ذات البهو الواحد وجود مصطبة مضلّعة وهذه الظاهرة غائبة كاملة في الكنائس السورية المشابهة التي تحتوي فقط على مصطبة أرضية بارزة قليلاً نحو الجهة الخارجية.

على النقيض من الكنائس السورية المشابهة فإن عزل الكنائس الأرمنية ذات البهو الواحد عن بقية المنشآت الدنيوية- حسب اعتقادنا- كان له معنىً روحانياً لخلق جو مؤثر على النفس البشرية. وهذه ميزة لا يمكن شمل الكنائس السورية ذات البهو الواحد فيها، لأنها في الحقيقة لاتختلف من ناحية شكلها ومسقطها كثيراً عن المنازل السكنية فحسب، بل أضيف إلى جانب جدرانها منشآت متممة أخرى.

إذا كان الضوء الطبيعي يندفع بغزارة من خلال الشبابيك الواسعة العديدة في الكنائس السورية ذات البهو الواحد فإن الإضاءة الطبيعية أقل بكثير في الكنائس الأرمنية المشابهة وذلك لإضفاء جو أكثر روحانية وتأثيراً عليها. وهذه دلالة تؤكد أن بنائي أرمينيا استطاعوا إيجاد طرق ووسائل في أوائل القرن الرابع تساهم في جعل جو الكنيسة أكثر تأثيراً من الناحية النفسية والعقيدة المسيحية.

من الفروقات الأخرى أن شبابيك الكنائس الأرمنية ذات البهو الواحد تنتهي بأقواس فقط، بينما شبابيك كنائس سوريا المماثلة هي إما مستطيلة الشكل أو تنتهي بقوس. ومن ميزات الشبابيك في الكنائس السورية ذات البهو الواحد وجود حزام تزييني بارز حولها يمتد عادة من شباك إلى آخر ويستمر على الجدران الطولانية ويلتقي طرفا الحزام بشكل عام. وتعتبر كنيسة ديروني من أكمل وأجمل الأمثلة على ذلك.

توجد أحزمة زخرفية على شبابيك الكنائس الأرمنية ذات البهو الواحد أيضا، إلا أنها تختلف عن الكنائس السورية المشابهة من حيث أن هذا الحزام ينقطع عند كل شباك ويقف عند المستوى السفلي للأقواس ويمتدّ بعد ذلك أفقيا على مسافة قصيرة جدا. وتحتوي هذه الأحزمة في معظم الأحيان على أشكال هندسية ونباتية. ومثالنا على ذلك الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد الموجودة في منطقة داشير الأرمنية.

من أوجه الاختلاف أيضا أن مداخل الكنائس السورية ذات البهو الواحد أوسع من أبواب الكنائس الأرمنية المشابهة وأجمل فنا. وتحتوي جميع مداخل هذه الكنائس السورية على أحزمة بارزة تبدأ من الجهة العلوية للساكف وتنتهي على جانبي المدخل من الأسفل على شكل حلقة ملتوية. ومن النواحي المهمة أيضا طريقة تزيين سواكف الأبواب حيث نرى بشكل عام صليباً متساوي الأضلاع داخل حلقة وإلى جانبيه وعلى طرفي الساكف زخارف نباتية. وهذا الأسلوب للفن الزخرفي في الكنائس السورية نادر الوجود في كنائس أرمينيا.

الاختلاف المهم الآخر أيضا هو أن أقواس حنيات الكنائس البازيليكية الأرمنية ذات البهو الواحد عالية. أما في الكنائس السورية المماثلة فإنها منخفضة نسبيا، إلا أنها تمتاز بغناها من حيث عناصر وطريقة زخرفتها.

لكن الاختلاف المعماري الأهم والرئيس بين كنائس أرمينيا وسوريا ذات البهو الواحد – التي تعود بقدمها إلى الحقبة المسيحية المبكرة – هو أن سقوف الكنائس السورية كانت خشبية بينما سقوف الكنائس الأرمنية كانت مبنية بالحجر. وكنا قد ذكرنا في فصل سابق أوجه التماثل بين كنائس البلدين من حيث وجود الركائز الجدارية الداخلية التي شيدت لحمل الأقواس العرضانية التي تحمل السقف في الكنائس الواقعة في سوريا الجنوبية وأرمينيا. ويكمن الفرق هنا أن الكنائس السورية ذات البهو الواحد الواقعة في سوريا الجنوبية لم تُبْن ببلوكات من الأحجار، بل تمّ تغطيتها بالألواح الحجرية المبسّطة التي تذكرنا إلى حد ما بفن البناء الحديث بالجدران المسبقة الصنع. ويجب أن نشير هنا أيضا أن بعضا من كنائس منطقة طور عابدين ذات البهو الواحد ــ الواقعة في شمالي ما بين النهرين ــ كانت مغطاة بسقف ذي قبو سريري مبني بالآجر المشوي على النقيض من الكنائس السورية.

نلخص ما جاء ونستنتج أن الأقسام الأربعة الرئيسة في الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد نتجت من متطلبات طقوس الدين المسيحي وتجتمع جميع هذه العناصر في كنيسة ما أحيانا ويغيب بعضها في كنائس أخرى. وتعتبر هذه الأقسام من الميزات المشتركة في هندسة عمارة أرمينيا وسوريا والدول المجاورة لهما التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة.

أما الاختلاف في المسقط وأشكاله في كل من أرمينيا وسوريا، فإنه يتعلّق بالأوضاع المحلية والمناخية وطلبات أصحاب العلاقة والإرث المعماري المتراكم. وهذه الشروط والأحوال هي التي تحدد خصوصية الكنائس ذات البهو الواحد في سوريا وأرمينيا.

دراسة مقارنة حول هندسة الكنائس الأرمنية والسورية ذات الأبهاء الثلاثة التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة

ليست الدراسة المقارنة بين هندسة البازيليكات ذات الأبهاء الثلاثة في أرمينيا وسوريا سهلة بسبب قلة عدد هذا النموذج من الكنائس في أرمينيا الذي يصل إلى ٧-٨ كنائس فقط. وعلى الرغم من ذلك تقدم لنا هذه الكنائس مادة علمية كافية للمقارنة.

أ- أوجه الشبه

تمتاز الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة أيضا ـــ كما في كنائس سوريا وأرمينيا ذات البهو الواحد التي تنتمي إلى الحقبة المسيحية المبكرة – من حيث مساقطها وأشكالها بإحتوائها على العناصر الأربعة التي جاء ذكرها. ويشكل عنصران منها وتحديدا القاعة والحنية الأساس الرئيس لمسقط وشكل هذه الكنائس. أما العنصران الآخران أي الغرفتان المساعدتان والأروقة فإنهما نتاج التعاليم والطقوس الدينية ومستجداتها.

هناك طبعاً تباين أساسي مبدئي بين الكنيسة ذات البهو الواحد وتلك التي تمّ تقسيمها إلى أبهاء ثلاثة. فنرى أن قاعة الكنيسة البازيليكية المستطيلة ذات البهو الواحد لم تقسَّم بعنصر إنشائي (إذا غضضنا النظر طبعا عن الركائز الجدارية)، لذلك تشكل مساحة عامة واحدة، بينما قاعة الكنيسة البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة تنقسم إلى ثلاثة أقسام بمساعدة صفين من الأعمدة أو الركائز حيث البهو الأوسط أوسع من البهوين الجانبيين دون استثناء. ويحتاج هذا الشكل من المساقط إلى حلول إنشائية مختلفة التي ينتج عنها بالتالي تصاميم مختلفة جدا من الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة مقارنة بمساقط الكنائس ذات البهو الواحد الداخلية وشكلها الهندسي.

هناك بعض أوجه الشبه بين عدد قليل من الكنائس البازيليكية في أرمينيا وسوريا عدا أوجه الشبه الرئيسة.

توجد في كنائس أرمينيا البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة حنيات خارجية مضلّعة ككنيسة Dvin و Kasakh و Yeghvart . وهذا الطراز من الحنية موجود في Simj (سوريا

الجنوبية) وكنيسة الأندرين الجنوبية اللتين تحتويان على حنية مضلّعة بارزة نحو الجهة الخارجية. ولكنيستي دير الصليب ذات الأبهاء الثلاثة أيضاً حنيتان بارزتان الأولى منهما نصف دائرية والثانية مضلّعة. وتحاط الحنيات والغرف المساعدة على جهتها الشرقية في بعض الكنائس بجدار عام. ومثالنا على ذلك الكنائس الأرمنية Dzidzernavank و Dziranavor (في أشداراك) و Yereruk، بينما الكنائس البازيليكية المشابهة عديدة جدا في سوريا.

تُعدّ الكنائس ذات الغرف البرجية على زاويتي الجبهة الغربية من أوجه الشبه الخاصة بين بعض الكنائس ذات البهو الواحد التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة في كل من أرمينيا وسوريا التي هي من المظاهر النادرة في أرمينيا (كنيسة Yereruk أدق مثال على ذلك) وشائعة أكثر في كنائس سوريا البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة. وقد كان لهذا الشكل من الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة انتشار واسع في آسيا الصغرى وكابادوكيا وسوريا، إلا أن كنيسة Yereruk هي المثال الوحيد على كامل مساحة أرمينيا كما ذكرنا.

قـام الاختصاصيون بإجراء مقارنة بين Yereruk و Tekor الكنيستين الأرمنيتين ذات الأبهاء الثلاثة وبعض الكنائس السورية المشابهة كترمانين وقلب لوزة ورويحة والرصافة (سرجيوس) والبارة (الحصن) وكراتين (القديس ستيفانوس). ويقارن ب. بابوجيان كنيسة دير الصليب البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة الواقعة في وسط سوريا مع الكنائس الأرمنية ذات الأبهاء الثلاثة مثل Yereruk و Tekor (المقّببة) و Kasakh.

P. Pabujian ……………………p. 123

لمعظم الكنائس السورية المذكورة أعلاه غرف على شكل أبراج على زاويتي جبهتها الغربية، لذلك يقوم الباحثون بمقارنتها ببازيليك Yereruk. وليست الغرفة البرجية السبب الوحيد للمقارنة، بل هناك شبه رئيس آخر – كما هو الحال عامة في الكنائس السورية البازيليكية ذات البهو الواحد – أن لكنيسة Yereruk أيضا مقطعا عرضانيا كالبازيليكات الهيللينية. وبسبب هذا التماثل أيضا يقوم الاختصاصيون بمقارنة بازيليك Tekor المقببة مع الكنائس السورية ذات الأبهاء الثلاثة.

ولّد الشكل الهيلليني للبازيليك بديهيا تماثلا آخر الذي يُلاحظ في عدد وترتيب الشبابيك (قريبة إلى بعضها بعضاً وُشيّدت على شكل مجموعات) على الجبهات الغربية لكنيسة Yereruk وكنائس سوريا ذات الأبهاء الثلاثة.

هناك تشابه أيضا في التفاصيل الزخرفية في الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة. ومن أولى العناصر الزخرفية على الكنائس السورية – التي تعدّ رمز العقيدة المسيحية وتعود بقدمها إلى الحقبة المسيحية المبكرة – رسم الصليب المتساوي الأضلاع الذي هو من ميزات هندسة العمارة الأرمنية أيضا في الحقبة القروسطية المبكرة. ومن الملاحظ أيضا أن زخرفة سواكف الكنائس في كل من البلدين تمّت بدقة واهتمام خاص. وهناك زخارف نباتية وهندسية إلى جانب الصليب ولا يمكننا غض النظر طبعا عن إحدى ميزات هندسة الكنائس السورية الرئيسة وتحديدا الأحزمة الزخرفية حول الشبابيك التي استخدمت أيضا في كنيسةTekor و Yereruk و Kasakh الأرمنية وغيرها. علاوة على ذلك استخدم المهندس الأرمني أنواعا عديدة من التيجان الكورنثية الشائعة جدا على الأوابد السورية في كنيستي Yereruk و Tekor.

قدمنا أوجه الشبه الأهم في مساقط وأشكال وعناصر الزخرفة في الكنائس السورية والأرمنية البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة. لنرى الآن كيف استخدمت هذه العناصر الرئيسية في كنائس أرمينيا وسوريا ذات الأبهاء الثلاثة وذلك لإجلاء أوجه التباين فيما بينها.

ب- أوجه التباين

ذكرنا نقاط الشبه وأكدنا على أن مسقط الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة في البلدين يتشكل من أربعة عناصر رئيسة وهي القاعة والغرفتين الجانبيتين والحنية والرواق. إلا أننا نجد بعض التباين في ترتيب تلك العناصر. ويمكن اعتبار كنيسة Yereruk ذات الأبهاء الثلاثة من أغنى الكنائس من حيث مسقطها وشكلها العام مقارنة مع الكنائس التي شيدت في سوريا و أرمينيا وآسيا الصغرى في الحقبة الممتدة بين القرنين ٤-٦م. وقد أضيف إلى عناصرها الأربعة الرئيسة في وقت لاحق النارتكس والحنيتين الصغيرتين على الجهة الخارجية من جبهتها الشمالية – الشرقية والجنوبية – الشرقية اللتين لا نراهما في هندسة الكنائس السورية المبكرة. ومن جهة أخرى لا توجد غرف مساعدة على زاويتي الجبهة الغربية في كنيستيDvin و Tekor، لذلك زالت حاجة بناء النارتكس. ولبازيليك Kasakh رواق وغرفة مساعدة واحدة فقط على جهتها الشمالية ــ الشرقية. ولكنيستي Ashdarak و Dziranavor غرفتان مساعدتان إلى جانبي الحنية دون أروقة. أما كنيسة Aghtsi ذات الأبهاء الثلاثة فإنها تحتوي على غرفة مساعدة إلى الجنوب – الشرقي من حنيتها. وقد أبقت

الكنائس البازيليكية الأرمنية ذات الأبهاء الثلاثة على شكل مسقطها المتطاول بشكل عام على الرغم من اختلاف ترتيب تلك العناصر الرئيسة الأربعة.

إن عدد الكنائس السورية المستطيلة ذات الأبهاء الثلاثة كبير جداً. إلا أننا نجد بعض الكنائس السورية التي تقترب بشكلها إلى المربع كما في كنيسة أم الجمال الشمالية ودانا الشمالية وأم الكودين وباشمشلي وغيرها من الكنائس. ونرى هذا المسقط في كنيستي تفقا ودير الصليب ذات الأبهاء الثلاثة. ولكنائس الأوبري والعيون ودير الجواني شكل عرضاني وتشبه الكنيستان الآخرتان الكنائس ذات البهو الواحد من حيث مسقطيهما.

تُعدّ الغرفتان ذات الطابقين اللتين تشبهان الأبراج وتقعان على زاويتي الجبهة الغربية في كنيسة Yereruk إحدى أهم نقاط الشبه بين كنائس البلدين البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة التي تعود بقدمها إلى الحقبة المسيحية المبكرة. لكننا إنْ أمعنّا النظر في أشكال مساقط الكنائس السورية ذات الأبهاء الثلاثة التي يقوم بعض الباحثين بمقارنتها مع Yereruk، سنتأكد من وجود سلسلة من نقاط تباين رئيسة فيما بينها.

وتُعدّ كنيستا ترمانين والقديس ستيفانوس في كراتين ذات الأبهاء الثلاثة متشابهتين من حيث شكل مسقطيهما وخاصة في تصميم جبهتيهما الشرقيتين أي الحنيتين والغرفتين الجانبيتين اللتين لهما ترتيب مشابه تقريباً. ولمسقطي كنيسة القديس سرجيوس في الرصافة وكنيسة رويحة ذات الأبهاء الثلاثة تشابه كبير جداً بسبب استخدام ركائز مصلّبة الشكل فيهما. أما كنيسة قلب لوزة فإنها تختلف بشكل عام عن الكنيستين السابقتين بسبب شكل ركائزها المستطيلة وحنيتها نصف الدائرية البارزة نحو الجهة الخارجية. ويجب أن نشير هنا أيضاً إلى كنيسة أم الجمال الغربية ومعرّاتا اللتين تحتويان على غرفتين مساعدتين على جبهتيهما الغربيتين إلى جانب الشبه الكبير في مسقطيهما.

تدخل الغرف على جبهتي الكنائس السورية الشرقية والغربية ذات الأبهاء الثلاثة المذكورة أعلاه ضمن جدرانها الطولانية الرئيسة ولا تبرز بشكل عام عن الجهة العرضانية، ولهذا السبب لا وجود لأروقة حول هذه الكنائس لأن وجودها مشروط -- كما ذكرنا في فصول السابقة- ببروز الغرف المساعدة على جانبي الجدران الطولانية. أما الغرفتان المساعدتان في كنيسة Yereruk فإنهما تبرزان عرضانياً على طول الجدارين الطولانيين. وتوجد أروقة بحنية صغيرة بارزة على الجهة الخارجية من جبهتي الكنيسة الشمالية والجنوبية التي لا نراها في كنائس سوريا التي شيدت في الحقبة المسيحية المبكرة.

توجد في سوريا كنائس تحتوي على غرف مساعدة على زواياها وهي بارزة نحو الجهة الخارجية عرضانياً. ومثالنا على ذلك كنيسة (الحصن) في مجمّع البارة وكنائس دير الصليب ذات الأبهاء الثلاثة. ولكنيسة سَرجلا ذات الأبهاء الثلاثة غرفتان مساعدتان بارزتان على جبهتها الشرقية فقط، أما كنيسة الحص وكالوتا الشرقية ذات الأبهاء الثلاثة فإنهما تحتويان على غرفة واحدة فقط إلى الجهة الجنوبية من حنية خربة الحص والجهة الشمالية من الحنية في كنيسة كالوتا الشرقية.

قارن أ. ياكوبسون كنيسة الحصن ذات الأبهاء الثلاثة مع كنيسةYereruk مؤكدا أن هناك شبه كبير بينهما انطلاقاً من الغرف المساعدة الواقعة على جبهتيهما الشرقيتين والبارزة عرضانياً نحو الجهة الخارجية كذلك من حيث الغرف البرجية الواقعة على الجبهة الغربية ووجود الأروقة على جبهتيها الشمالية والجنوبية. وقارن ياكوبسون أيضاً مسقطي الأقسام الشرقية لكنيستي الحصن و Tekor . ويشير بشكل خاص إلى العلاقات الكائنة بين كنيستي Tekor وسرجلا وإلى مسقطي قسميهما الشرقيين والشبه الكائن بين الأروقة الشمالية والجنوبية.

A.-Yacobson (Arminia i Siria: Arkhitekturi Sopostavlenia "Vizantitchesk ii Vremennikh" Tom – 37 Moskva – 1976 p. 194

تعطي النظرة الأولية السريعة انطباعاً في تشابه مسقطي الكنيستين البازيليكيتين Yereruk والحصن ذات الأبهاء الثلاثة. إلا أننا إنْ أمعنّا النظر في تطور شكل مسقطي هاتين الكنيستين سنتأكد عندئذ أن هناك اختلافات مبدئية رئيسة بينهما.

إذا كانت كنيسة Yereruk استثناء من حيث شكل مسقطها بين سلسلة الكنائس البازيليكية الأرمنية التي تنتمي إلى الحقبة المسيحية المبكرة، فإن كنيسة الحصن في البارة تعدّ بدورها استثناء بين الكنائس السورية التي ترجع إلى الفترة الزمنية ذاتها. وقد قمنا بتصنيف هذه الأوابد إلى مجموعات مختلفة انطلاقاً من شكل مساقط الكنائس السورية ذات الأبهاء الثلاثة التي شيدت بين القرنين ٤-٧م. والشكل الرئيس السائد بين جميع هذه الأوابد وجود غرفة إلى كل من جانبي الحنية على الجهة الشمالية والجنوبية لا تبرزان عن الجدران الطولانية عرضانياً ولا تحتوي على غرف برجية الشكل ونارتكس على جبهتها الغربية. وهناك بعض الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة التي لها مسقط مشابه تحتوي على نارتكس على جبهتها الغربية. وبعد فترة شيدت كنائس ذات بهو واحد تحتوي على غرفتين مساعدتين إلى جانبي

الحنية على الجبهة الشرقية وغرفتين على شكل برجين على زاويتي الجبهة الغربية بالإضافة إلى النارتكس. ولا تحتوي الكنائس السورية التي تمتاز بهذا المسقط الأخير على أروقة أيضاً.

تحتوي على أروقة تلك الكنائس السورية ذات الأبهاء الثلاثة التي توجد إلى جانبي حنيتها غرفتان مساعدتان تبرزان عن الجدران الطولانية عرضانياً أو تمتاز بوجود معموديات ذات حنية نصف دائرية بارزة جداً. وتعدّ هذه الأقسام المعمارية (الأروقة والغرف المجاورة والمعمودية) عناصر أضيفت لاحقاً في معظم الأحيان. ولم تكن كنيسة الحصن البازيليكية – حسب اعتقادنا – بمنأى عن الإضافات اللاحقة لذلك لا يمكن اعتبار مسقطها الحالي أنه الشكل الأولي. والكنيسة الآن مع الأسف الشديد في وضعية تعيسة جداً، لذلك لا يمكن استخلاص حقائق جديدة لمعرفة العناصر التي أضيفت إليها في وقت لاحق. إلا أنه انطلاقاً من أشكال المساقط التي تحققت في الكنائس السورية ذات الأبهاء الثلاثة وتطورها اللاحق، يمكننا التأكيد بشكل تقريبي على شكل المسقط الأولي لهذه الكنيسة وبالتالي وصف تطورها اللاحق ووصولها إلى الشكل النهائي الحالي.

هناك احتمال كبير أن المسقط الأولي لكنيسة الحصن كان مؤلفاً من قاعة عامة ذات أبهاء ثلاثة وحنية نصف دائرية وغرفتين مساعدتين إلى الجهة الشمالية والجنوبية للحنية نصف الدائرية. وكان هذا الشكل من المساقط – كما أكدنا – سائداً بين القرنين ٤–٥م في الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة.

أضيفت إلى مسقط هذه الكنيسة في سنوات لاحقة النارتكس والغرفتين البرجيتين على جبهتها الغربية. وهناك شبه كبير في هذه المرحلة بين مساقط هذه الكنيسة وكنيسة ترمانين ورويحة والقديس سرجيوس ومعرّاتا والأندرين وقلب لوزة وكراتين وكنائس عديدة أخرى. وقد استُمرّ في تطبيق هذه المساقط في سوريا ابتداءً من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن السادس. وإذا كانت النارتكسات والغرف البرجية في هذه الكنائس قد شيدت بشكل متناظر مع المحور المركزي والجدران الطولانية للكنائس، فإنها غير متناظرة في كنيسة الحصن. لذلك تُعدّ من المساقط الاستثنائية بالنسبة لسلسلة الكنائس السورية ذات الأبهاء الثلاثة التي ذكرناها قبل قليل. ولهذا السبب نُصرُّ أن النارتكس والغرفتين البرجيتين هي من العناصر التي تمّ إضافتها لاحقاً. وفي المرحلة التالية والأخيرة أضيفت إلى الكنيسة وعلى زواياها أربع غرف مساعدة تبرز عرضانياً بالإضافة إلى أروقة على جبهتيها الشمالية والجنوبية. وعلى الرغم من جميع هذه الإضافات تنفرد كنيسة الحصن البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة بمسقطها وشكلها المركّبين عن مساقط وأشكال الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة التي شيدت في

الحقبة المسيحية المبكرة ليس في سوريا فحسب، بل في جميع الدول المجاورة. وتُعدّ كنيسة الحصن الاستثناء الأكثر جمالاً والأشد تعقيداً معمارياً بين جميع الكنائس السورية البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة. ويجب أن نذكر هنا أيضاً أن هذا الترتيب النهائي- الذي أُحدث على مسقط كنيسة الحصن بعد إضافة جميع العناصر التي تمّ ذكرها- ليست من خواص الهندسة السورية في العصور المسيحية المبكرة.

من الاختلافات بين هذه الكنيسة والكنائس السورية الأخرى أيضاً أن الغرفتين الجانبيتين ــ اللتين أضيفتا إلى جانبي الحنية ــ برجيتا الشكل كالغرفتين الكائنتين إلى جانبي النارتكس.

G. Tchalenko ………………II, PI, CCXII

نقطة الاختلاف التالية هي احتواء الكنائس السورية المشابهة الأخرى على أربع غرف إثنتين منها على الجبهة الشرقية والاثنتين الأخريين على الجبهة الغربية بينما لكنيسة الحصن أربع غرف على كل من جهتيها الشرقية والغربية. والغرف الموجودة على الأطراف تبرز عرضانياً بمساحتها كاملة محتضنة الأروقة الشمالية والجنوبية. ويعتبر تشالنكو هذه الكنيسة من أوابد القرن الخامس.

Ibid …….. I, XII

ونعتقد أن هذا التأريخ يعود إلى وضع الكنيسة الأوّلي بسبب تطور مسقطها وتعقيدها بعد الإضافات العديدة عليها. وهذه المرحلة الأخيرة لتطور مساقط الكنائس السورية ذات الأبهاء الثلاثة في الحقبة المسيحية المبكرة انتهت في نهاية القرن السادس أو في الربع الأول من القرن السابع.

يمكننا تطبيق المنطق ذاته أيضاً أثناء البحث في تطور مسقط كنيسة سرجلاّ ذات الأبهاء الثلاثة. إلا أننا لا نملك أية دلائل حول وجود الغرفتين المساعدتين على جبهتها الغربية بسبب حالة الكنيسة السيئة جداً. لكننا وجدنا أثناء أبحاثنا الميدانية بعض البقايا القليلة على زاويتها الشمالية الغربية التي تشير إلى احتمال وجود غرفة مساعدة في ذلك الموقع.

من المحتمل جداً أن مسقط هذه الكنيسة الحالي ليس الشكل الأوّلي لأن مسقطها الأوّلي – كما في كنيسة الحصن – كان مؤلفاً من قاعة ذات أبهاء ثلاثة وحنية وغرفتين مساعدتين إلى جانبيها الشمالي والجنوبي. وقد تم لاحقاً بناء غرفتين بارزتين على كل من الجانبين الشمالي والجنوبي بالإضافة إلى الرواقين الشمالي والجنوبي. ومن المحتمل جداً أن هذه التغييرات جرت في نهاية القرن السادس.

عند حديثنا عن الكنائس الأرمنية ذات الأبهاء الثلاثة التي تعود بقدمها إلى الحقبة المسيحية المبكرة، ذكرنا أن شكل مسقط كنيسة Yereruk الحالي يُعدّ حصيلة التطور المنظّم لعمارة الكنائس. وإنّ وجود النارتكس– الذي هو من الإضافات اللاحقة في هذه الكنيسة–كان مشروطاً بوجود الغرفتين البرجيتين اللتين وجدنا بعض بقاياهما في الموقع.

هناك علاقة وثيقة بين كنيسة Yereruk وكنيستي Tekor وDvin انطلاقاً من قسمها الشرقي فقط لأننا نرى تشابهاً بين الغرف المساعدة الموجودة إلى جانبي هذه الكنائس التي هي ممطوطة عرضانياً. لذلك فإن كل واحدة منها تتقاطع مع أحد الأبهاء الجانبية. وبسبب بروزها عن الجدار الطولاني تفسح المجال على خلق مساحة كافية للأروقة. وانطلاقاً من هذه الناحية يمكن التأكيد أن الأروقة وضعت على مسقط كنائس أرمينيا البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة بشكل كي تقوم بمهمة وظيفية وفنّية وتتوّحد مع جوهر البناء الأساسي وذلك بإستخدام أقل المساحات الممكنة. ويختلف الوضع كثيراً في الكنائس السورية المذكورة أعلاه وتحديداً الحصن وسرجلا وكنائس بازيليكية أخرى ذات أبهاء ثلاثة التي كانت تحتوي على رواق واحد أو أروقة على جهاتها الشمالية والجنوبية. وقد شيدوا غرفاً عديدة مساعدة في كنيسة الحصن يصل عددها إلى ثمانية بينما لا يزيد عدد هذه الغرف عن الإثنتين في كنيسة Dvin و أربع غرف في كنيسة Tekor.

نجد على جدران الأروقة الكائنة إلى جانبي الغرفتين المساعدتين لحنية كنيسة Yereruk وTekor وDvin البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة حنيات خارجية نصف دائرية أو على شكل حدوة فرس.

تشكل كنيسة الحصن وسرجلا وكنيسة دير الصليب الغربية ذات الأبهاء الثلاثة استثناء بين كنائس سوريا التي تعود بقدمها إلى الحقبة المسيحية المبكرة. وعلى الرغم من وجود بعض الشبه بينها وبين كنيسة Yereruk (من ناحية الغرف الأربع المساعدة البارزة على الزوايا) فإن لهذه الكنيسة سلسلة من نقاط التباين عنها.

لم تضاف الغرفتان الموجودتان على القسم الشرقي من كنيسة دير الصليب إلى جانبي الحنية مباشرة بل تبدأان من الجدارين الطولانيين كي تبرز الحنية نصف الدائرية لوحدها إلى الجهة الخارجية على الجبهة الشرقية. والغرفتان مربعتان وهما على اتصال مع البهوين الجانبيين بمدخلين كائنين على الجدارين الطولانيين. ويرتبط البهوان الجانبيان مع العالم الخارجي بباب واحد في كل جانب من الحنية.

إذا أعدنا التذكير بمخطط القسم الشرقي لكنيسة Yereruk، سنرى أن لغرفتيها الواقعتين إلى جانبي الحنية شكلاً مستطيلاً ممطوطاً. وبسبب إضافتهما إلى جانبي الحنية بشكل مباشر فقد تمّ إحاطتهما مع الحنية بجدار عام واحد على الجبهة الشرقية من الكنيسة. وقد تمّ فتح باب على الجهة الطولانية من جداري الغرفتين الكائنتين على جانبي الحنية التي تُعدّ من الميزات المعمارية التي تمّ تطبيقها في الكنائس البازيليكية ذات الأبهاء الثلاثة في الحقبة المسيحية المبكرة. وبسبب وجودهما إلى جانبي غرفتي الحنية، لم تكن للبهوين في Yereruk أبواب خروج من الجهة الشرقية كما هو الحال في كنيسة دير الصليب.

لا تحتوي كنيسة دير الصليب على حنيات خارجية نصف دائرية في القسم المتقاطع بين غرفتيها إلى جانبي الحنية والأروقة. ونشير في هذه المناسبة أن هذا الفن المعماري لم يُطبّق في Yereruk فحسب بل في سلسلة من كنائس أرمينيا ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة عامة التي تعود بقدمها إلى الحقبة المسيحية المبكرة. ولا نملك أي دليل حتى الآن على استخدام هذه الحنيات نصف الدائرية الخارجية في سوريا.

إذا كانت كنيسة Yereruk تحتوي على أروقة بارزة على جبهتيها الشمالية والجنوبية، فإنه لا يمكننا التأكيد على الناحية ذاتها في كنيسة دير الصليب، لأننا لم نجد أية دلائل تؤكد على وجود الأروقة على هاتين الجهتين أثناء دراستنا الميدانية في الموقع. ولكننا نعتقد مع ذلك – انطلاقاً من شكل مسقط الكنيسة – أن المساحات الكائنة بين الغرفتين المساعدتين البارزتين كانت مخصصة للأروقة مسبقاً. وكان وجود الأروقة في الكنائس التي تمتاز بمثل هذا المخطط (الحصن ورصافة وYereruk) إلزامياً. وهناك أمثلة عديدة حول هذه الناحية في كنائس سوريا وأرمينيا التي شيدت في الحقبة المسيحية المبكرة.

تحتوي كنيستا دير الصليب وYereruk على جبهتيهما الغربيتين على زوج من الغرف البرجية ذات المسقط المربع. إلا أن هناك اختلافاً واحداً في شكل مسقط القسم الغربي للكنيستين من حيث ترتيب هذه الغرف إلى جانبي النارتكس. وتشكل الغرفتان الموجودتان إلى جانبي نارتكس كنيسة دير الصليب استمرارية للنارتكس تقريباً، وذلك لوجود مدخل إليه عن طريق كل غرفة جانبية وعدم وجود اتصال مباشر لهما مع البهوين الجانبيين. أما مساحة نارتكس كنيسة Yereruk فهي أصغر نسبياً وجدار الجبهة الغربية مدفوع إلى الأمام مما ساعد الغرفتين الجانبيتين على الاتصال المباشر بالبهوين الجانبيين عن طريق مدخلين.

ونرى أن نارتكس كنيسة دير الصليب على اتصال مع المصلّى عن طريق ثلاثة مداخل بينما نارتكس كنيسة Yereruk له باب رئيس واحد فقط. ولنارتكس دير الصليب – مثل Yereruk – اتصال مع الجهة الخارجية للكنيسة عن طريق البهو المركزي وله بابان أيضاً على كل من طرفيه الجانبيين. والفارق الآخر في شكل المسقط بين دير الصليب و Yereruk أن نارتكس الكنيسة الأولى مربع الشكل بينما نارتكس الثانية مستطيل.

هذه هي باقتضاب مشاهداتنا حول الكنائس الأرمنية والسورية ذات الأبهاء الثلاثة من حيث أوجه التباين والشبه.

بعد هذه المقارنة لهندسة الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة في كل من أرمينيا وسوريا سنسرد باقتضاب مسألة ظهور هذين النوعين من الأوابد الدينية.

يُعزي الباحثون ظهور المبنى الديني الأقدم والأكثر انتشاراً في الحقبة القروسطية المبكرة وتحديداً الكنيسة البازيليكية ذات البهو الواحد في الأوابد السورية والبيزنطية إلى المنازل السكنية التي شيدت في القرون الميلادية الأولى. لنبحث في مزايا هذه المنشآت السكنية.

كانت مناطق سوريا السكنية في الحقبة الكلاسيكية والمسيحية المبكّرة لاحقاً مؤلفة من مجمّعات سكنية ودينية واقتصادية. وكان القسم الاقتصادي يضم بعض المشاغل الصغيرة ومعاصر الزيتون وهي المنشآت الأكثر انتشاراً في المنطقة الشمالية من سوريا التي لا زالت مشهورة حتى الآن بوفرة الزيتون فيها. ولجميع المجمعات السورية– أكانت في الفترة الكلاسيكية أم في الحقبة المسيحية المبكرة (المدن الميتة كما عبر عنها ج ماترن) – معاصر عديدة كانت تبنى إلى جانب البيت السكني في أغلب الأحيان. ونرى على مداخل المعاصر – التي شيدت في الحقبة المسيحية المبكرة – صلباناً متساوية الأضلاع موضوعة ضمن حلقات. ويتراوح عدد الصلبان من بناء إلى آخر من واحد إلى ثلاثة صلبان، ويكون الصليب الأوسط أكبر عامة من الصليبين الجانبيين وأكثر غنىً زخرفياً.

كانت المنازل السكنية ذات طابقين بشكل عام ومؤلفة من باحة كبيرة شيدت حولها غرف عديدة تحتوي على رواق على جبهتها الجنوبية ومبنية استناداً على نظام الجسور والأعمدة الحجرية. وهناك صهريج منقور في الصخر في صحن الباحة. والأغنياء من السكان كانوا يملكون معصرة خاصة داخل منازلهم. وهذه المنازل ذات الطابقين تسمى بالفيلات في المصادر الاختصاصية لدى بتلر وتشالنكو.

قبل إعلان المسيحية ديناً رسمياً وبعد ذلك مباشرة استخدمت الطوابق الأولى لهذه الفيلات كمجمّع للتعبّد. وقبل ذلك كانت هذه الأمكنة عبارة عن قاعات بسيطة مستطيلة الشكل يتراوح

عدد أبوابها من واحد إلى ثلاثة أبواب على جبهتها الجنوبية. وقد نقشت صلبان متساوية الأضلاع داخل حلقات على ساكف أحد الأبواب أو البابين. وإلى جانب هذه الصلبان- التي كانت توضع على مداخل معاصر الزيتون أيضاً - نرى حرفي الألف والأوميغا وهما الحرف الأول والأخير للأبجدية اليونانية الذين يعنيان « الله هواالبداية والنهاية ». وقد التقينا بمثل هذه الصلبان على مداخل الكنائس المبكرة جداً أثناء دراساتنا الميدانية. ونجد رسم الصليب أيضاً على جميع الأوابد السكنية والاقتصادية التي شيدت بعد ذلك لكن دون نقش هذين الحرفين.

لم تكن لقاعات التعبّد المسيحية المبكرة - حسب اعتقادنا - حنية في الفترة الأولى، بل جرت التغييرات لاحقاً عندما أعلن عن اعتناق المسيحية ديناً رسمياً. وانطلاقاً من طقوس وقواعد هذا الإيمان الجديدأضيفت إليها تدريجياً الحنية (الهيكل) والغرفتين المساعدتين والأروقة وغيرها من العناصر. وفي بعض الأحوال عندما لا تصلح قاعة ما لمثل هذه الإضافات كانت تترك كما هي.

تعتبر كرك بيزة المثال الأمْيز بين الكنائس التي تحولت إلى الوضعية الجديدة من مسكن سابق. وكنا قد تكلمنا عنها بإسهاب في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

تقع جبهة الفيلات الرئيسة على الجهة الجنوبية بشكل عام حيث كان يشاد الرواق. وتمتاز معظم الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد بالمسقط ذاته أي يكون مَدخلها الرئيس أو مداخلها على الجهة الجنوبية وإلى جانبيها الرواق الجنوبي. ومثالنا على ذلك كنيسة كرك بيزة وبنكفور ونورية وكفير وسرجبلة وكنيسة دير سمعان الجنوبية - الغربية وغيرها.

أما الكنائس الأرمنية ذات البهو الواحد فعلاقتها مباشرة مع الأوابد الوثنية الأرمنية التي تعود إلى الحقبة ما قبل المسيحية. ويؤكد على ذلك المؤرخ الأرمني المعاصر Zenop Klag قائلاً: ((بعد هدم معظم المعابد الوثنية في أوائل القرن الرابع كانوا يبنون كنائس على أساساتها بالأبعاد ذاتها الموجودة في المعابد)).

1.- Zenop Klag (Badmutyun Darono) p.95 بالأرمنية
(تاريخ منطقة دارون)

2.- (Kasakhi Bazilikayi Djardarabedutyune) p. 231 A. Sahinian بالأرمنية
(هندسة عمارة بازيليك كاساخ)

بينما نلاحظ في الوقت ذاته أن تحول مسقط الكنائس السورية ذات البهو الواحد من الشكل العرضاني إلى الشكل المستطيل جرى بعد القرن الخامس الميلادي عندما كان للكنائس الأرمنية البازيليكية ذات البهو الواحد مسقط طولاني هيلليني منذ البداية.

يختلف أيضاً توضّع الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد في البلدين. فبينما كانت هذه الكنائس في سوريا قسم من المجمعات السكنية في القرن الرابع وبدؤوا لاحقاً ببنائها بعيدة عن هذه الأمكنة، كانت الكنائس الأرمنية تقف وحيدة وبعيدة عن المجمعات السكنية منذ البداية. وتضفي هذه الظاهرة على الكنائس الأرمنية مسحة الأنصاب التذكارية. وعدا عن الفروقات في طبيعة نشوئها، فإن لتطور كنائس أرمينيا وسوريا ذات البهو الواحد ميزات محلية.

أعطى البلدان الأولوية لبناء مجموعات مختلفة من الكنائس: « شيدت في سوريا كنائس بازيليكية ذات بهو واحد وحنية مستطيلة وكنائس أحيطت حنيتها بجدار مستطيل الشكل على جبهتها الشرقية (قصر إبليسو – القرن الخامس) كذلك كنائس بحنيات بارزة نحو الجهة الخارجية (ست الروم – القرن السادس). وقد تمّ أيضاً استخدام حنية مستطيلة في الكنائس ذات البهو الواحد التي تحتوي على رواق (بنكفور – القرن الخامس) و (سرجبلة – القرن السادس) وغيرهما. وقد شيدوا في هذه المنطقة أيضاً كنائس ذات بهو واحد تحتوي على رواق بحنية بارزة نحو الجهة الخارجية. ونلاحظ أنه لا وجود لجميع هذه المجموعات في العمارة الأرمنية. علاوة على ذلك هناك بعض العناصر المعمارية غير المعروفة في الأوابد الأرمنية كالإيكونوستاز والبيما والمعمودية والمارتيريوم وغطاء الحنية ذي الأعمدة. ولا وجود في الوقت ذاته لأروقة ذات حنيات وحنيات مضلّعة في سوريا التي تعتبر من ميزات الكنائس الأرمنية ».

(Hay – Büzantakan Djardarabedakan arentchoutyunnere Vagh – midjnadaroum – mianav Baziliki orinakov) p, III, M.M. Hasratian بالأرمنية

(العلاقات المعمارية الأرمنية البيزنطية في حقل البازيليكات ذات البهو الواحد في حقبة القرون الوسطى المبكرة)

ومن جهة أخرى نجد الشكل الأولي لمسقط الكنيسة البازيليكية السورية ذات الأبهاء الثلاثة في الأبنية البازيليكية الرومانية والبيزنطية. وكان هذا الطراز من مساقط الكنائس موجوداً منذ مئات سنين خلت. وكنا قد ذكرنا في هذا البحث أن قاعات القصور الملكية في المدن الأورارتية كانت بازيليكية الشكل وذات أبهاء ثلاثة، واستمر بناء هذا الشكل في أرمينيا لاحقاً أيضاً. ومن الأمثلة الجيدة حول ذلك القاعات البازيليكية في مدينة أركيشتينخيللي الأورارتية وتراسخاناكرد الهيللينية ودبيل في الحقبة المسيحية المبكرة. وإن استمرار هذا الشكل الهندسي مدة تنوف عن الألف عام ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي دليل على عدم حاجة أرمينيا على استيراد هذا الشكل من المساقط من الخارج.

تحتل الأروقة مكانة مهمة في مساقط الكنائس السورية والأرمنية ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة التي هي من الميزات الخاصة لهندسة العمائر السكنية والأبنية العامة السورية قبل تنصّرها وفي الحقبة المسيحية المبكرة. وقد استعيرت أروقة الكنائس من الأبنية السكنية.

لانجد أروقة أمام الكنائس السورية الكبيرة بعد القرن السادس ومثالنا على ذلك كنيستي ترمانين وقلب لوزة.

لتمتين نظريتهما في تأثير هندسة العمارة السورية على الأرمنية يعتقد طوكارسكي وياكوبسون وغيرهما أنه وصلت إلى أرمينيا في القرون الوسطى المبكرة مجموعات من البنائين السوريين الذين اشتركوا في تشييد الكنائس. إلا أن هؤلاء العلماء لا يملكون دلائل لتأكيد نظريتهم ولا بدّ للدراسة العلمية أن تقوم طبعاً على حقائق موثّقة. ولا نرى وجود هؤلاء البنائين محتملاً انطلاقاً من منطق بسيط وهام جداً وذلك بسبب الاختلاف الجذري في الفن الإنشائي بين البلدين. وكما ذكرنا سابقاً شيدت الكنائس السورية في الحقبة القروسطية المبكرة ببلوكت كبيرة من الأحجار المنحوتة جيداً ورصفت دون استعمال الملاط، والكنائس السورية مغطاة بسقف خشبي بينما شيد البناؤون الأرمن جدراناً مزدوجة واستخدموا الملاط المؤلف من الحجارة الصغيرة المخلوطة بالكلس. وعلى النقيض من نظام الجسور والأعمدة الحجرية – الذي هو الطريقة الرئيسة في تشييد الأبنية السورية– فإن الكنائس الأرمنية بنيت باستخدام الركائز المقنطرة لذلك فإن تكنيك البناء كان مختلفاً جداً في هذين البلدين إلى درجة يستحيل تصور استخدام بنائين لا علم لهم البتة بالفن المعماري الأرمني.

نرى لدى معظم العلماء ومنهم مار وياكوبسون وطوكارسكي ومانكو وكراوتهايمر وخجادوريان تعميماً غريباً على طريق سعيهم لتأكيد تأثير هندسة العمارة السورية في الحقبة المسيحية المبكرة على أرمينيا مشيرين في المقام الأول وبشكل مستمر إلى كنيسة Yereruk البازيليكية التي يقومون بمقارنتها مع الكنائس ذات الأبهاء الثلاثة في سوريا ومنطقة آسيا الصغرى بوضع الثقل الرئيس على البرجين الكائنين على الجهة الغربية من هذه الكنائس. وتعتبر الغرفتان – اللتان تشبهان برجين على الجهة الغربية من كنيسة Yereruk – التأثير السوري الوحيد في هندسة العمارة الأرمنية التي تعود إلى الحقبة المسيحية المبكرة. ونتساءل هنا بالذات: لماذا إذاً لم يضيف المهندسون الأرمن هذين البرجين على بقية الكنائس البازيليكية الأرمنية في تلك الحقبة الزمنية إنْ كانت هذه الأبراج الكبيرة من العناصر الحيوية الهامة في مسألة التعبّد أو إضفاء جمالية هندسية على الأبدة؟. مع ذلك علينا أن نقبل أيضا أن مسقط بازيليك Yereruk مرتبط بشكل وثيق مع هندسة الكنائس السورية ذات الأبهاء الثلاثة التي

تعود إلى الفترة المسيحية المبكرة. ويؤكد على ذلك أ. خجادوريان قائلاً: « هناك تأثير لهندسة الكنائس السورية ذات السقوف الخشبية على كنيسة بازيليكية أرمنية وهي Yereruk من حيث بعض عناصرها كالأفاريز والشبابيك والمداخل الرئيسة. ويشبه مسقطها مسقط كنيسة رويحة ....أما القاعة فإنها تشبه قاعة كنيسة ترمانين ».

A.- Khatchadourian ....p. 95/6

لعناصر كنيسة Yereruk ذات الأبهاء الثلاثة وكنيسة Tekor البازيليكية المقبّبة الزخرفية نقاط شبه مع العناصر الزخرفية للكنائس السورية المبكرة. لكن هناك فروقا كبيرة منها أن العناصر التزيينية في Yereruk وTekor ليست غنية ومعقدة كالتي نراها على الكنائس السورية. ولا تحتوي الأوابد الأرمنية على عناصر تزيينية كثيرة بل هي تتّصف بالوضوح والصرامة والإيجاز لأنها مدعوة لإبراز عناصر الجبهة الرئيسة فقط.

(Arminia i Siria: Arkhitektourni Sopostovlenia, Vizantiskii Vremennikh) Tom 37, Moskva, 1976 p. 202/3 A. Yacobson

إن الباحثين – الذين يعتبرون هندسة العمارة السورية نموذجاً أولياً لهندسة الكنيسة الأرمنية التي تعود بقدمها إلى الحقبة المسيحية المبكرة – ليسوا على علم كاف بخصوصية الأخيرة ومسار تطورها. ويؤكد على ذلك أ. خجادوريان أيضا قائلاً: « ليس هناك شبه كامل بين الكنائس الأرمنية والسورية البازيليكية. فحتى الكنائس البازيليكية السورية ذات الركائز تختلف عن الأرمنية لأن الكنائس الأرمنية البازيليكية تنتمي إلى مدرسة خاصة بسبب عقودها وركائزها وسقوفها .... نعم هناك شبه في الشكل العام بين Yereruk من جهة وبازيليك ترمانين والبارة والرصافة من جهة أخرى، لكن هناك أوجه تباين عديدة رئيسة .... ».

A.- Khatchadourian 95/6

يكمن الاختلاف المبدئي بين هاتين المدرستين – حسب اعتقاد هذا الباحث الأرمني – في فن البناء وهو في استخدام القبو السريري Barrel Vault في الكنائس البازيليكية الأرمنية.

Ibid p.101

ويستطرد هذا الباحث مؤكداً أيضا أنه لا وجود للتماثل في شكل المساقط بين الكنائس البازيليكية الأرمنية والسورية.

Ibid p. 97, 101

على الرغم من إشارة أ. ياكوبسون إلى تأثير هندسة العمارة السورية على الأرمنية، إلا

أنه بدوره يؤكد على الاختلاف الكلّي بين مساقط كنائس هاتين المدرستين وعناصرها الزخرفية قائلاً: « تختلف كنيسة Yereruk البازيليكية بشكل جلي جدا عن الكنائس السورية المشابهة كما في شكلها العام كذلك في نسب عناصرها المختلفة ».

ويؤكد أيضاً على الاختلاف الرئيس في فن البناء في هاتين المدرستين للعمارة ويرى أن السقف الحجري هو فتح مبدئي على طريق تطور هندسة العمارة الأرمنية.

A.- Yacobson ....p. 204/5

هذه الدراسة مهداة إلى علاقات هندسة العمارة في كل من سوريا وأرمينيا في حقل الكنائس ذات البهو الواحد والأبهاء الثلاثة، إلا أنه هناك في الواقع علاقات أيضا في ساحة فن الأنصاب وهندسة الكنائس المقبّبة.

يشيربعض العلماء عند بحثهم حول هندسة الأنصاب الأرمنية، التي تنتمي إلى العصور المسيحية المبكرة، إلى العلاقة بين مدفن الملوك الأرشاقونيين الأرمن في Aghtsi – الذي شيد في عام ٣٦٤م – وتلك الكائنة في منطقة سوريا الشمالية في دانا الشمالية ومجليّا وقاطورة المنقورة في الصخر التي تنتمي إلى القرن الثاني الميلادي.

(Arkhitektura Armenii IV – XIV Vekov) Yerevan, 1961
N.M. Tokarsky

إلا أننا نعتقد أن أوجه الخلاف هي أكثر من نقاط الشبه في هذه المدافن التي تعود بقدمها إلى الحقبة القروسطية المبكرة. ومثالنا على ذلك المدفن المذكور في Aghtsi « الذي على النقيض من المدافن السورية مبني على محور شرق – غرب. والأهم من ذلك أنه يحتوي على حنية كاملة على جهته الشرقية، لذلك فإنه يشبه المعبد. وابتداء من أواخر القرن الرابع وطوال حقبة القرن الخامس أصبحت المدافن الأرمنية متميزة بينما سار تطور المدفن السوري باتجاه آخر كلياً. وتعتبر مدافن Hripsimeh و Gayaneh و Mashdots وكريكوريس قاعات ذات قبو سريري Barrel vault بدون تجويفات جانبية. وبالمناسبة فإن المدافن الكائنة في منطقتي Oshakan و Amaras الأرمنيتين متشابهة لوجود تجويفة مستطيلة الشكل على الجهة الشرقية ومدخلين على جبهتيها الشمالية والجنوبية على امتداد الجدارين الطولانيين ».

M.M. Hasratian (Amarasi Djardarabedakan Hamalire) p.50 بالأرمنية
(مجمع أماراس المعماري)

يُشبّه بعض العلماء النصب الكائن في المنطقة الأرمنية Aghoudi – الذي يعود إلى القرن السادس – بالأنصاب ذات العمودين Distyle التي شيدت قبل الحقبة المسيحية- وفي المقام الأول مع مدفن القاطورة السوري الوقع في منطقة جبل سمعان.

A. Khatchadourian ....p. 91 – 93

إلا أننا نشير أن نصب Aghoudiيحتوي على ثلاث ركائز بدلا من عامودين اسطوانيين التي تتصل مع بعضها بعضا عن طريق الأقواس ويحتوي على ثلاث قبب وله « شبه بعيد مع أنصاب سوريا الهيللينية ....لأنه نتاج الثقافة الأرمنية المحلية ».

(Haykakan Badkerakantagnere IV – VII Darerum) Yerevan – 1948 p. 137 بالأرمنية

(الصور المنحوتة على جدران الأوابد الأرمنية التي تنتمي إلى القرنين ٤–٧م)

جرى أوّل تحوّل من البازيليكات ذات الأضلاع المربعة والأبهاء الثلاثة إلى المساقط ذات الأضلاع المربّعة المقبّبة على مدفن القديس سيرجيوس في Tekor الذي شيد بين عامي ٤٧٨ – ٤٩٠م حسب الكتابة الموجودة عليها. وقد بوشر ببناء هذا المدفن إلا أن تشييده توقف بسبب ثورة الأرمن ضد الفرس. وقد تمّ بعد ذلك بناؤه على شكل كنيسة مقببة. وقد أضحى هذا الشكل بعدئذ المسقط الرئيس والأكثر شيوعا للكنائس البيزنطية.

تلفت العلاقات الهندسية المعمارية الأرمنية والسورية في مسألة المساقط ذات الأضلاع المربعة والقبة المركزية انتباه الباحثين الكبير. وهناك علماء يعزون تشكل مسقط كاتدرائية زوارتنوتس إلى الأوابد السورية وخاصة كاتدرائية بصرى وكنيسة أفاميا وكنائس سورية مشابهة. إلا أننا نرى اختلافات مبدئية بينها، لأن الأبنية السورية البيزنطية المماثلة مؤلفة من عنصرين وهما ال Tetraconch الداخلي والجدار الخارجي الذي يكرر أشكاله بينما كاتدرائية زوارتنوتس مؤلفة من ثلاثة عناصر وتحديدا ال Tetraconch الداخلي ومسنده وجدار دائري الشكل من الجهة الخارجية.

(Zevartnotse yev Nouynadib Houshartsannere) Yerevan – 1971 p.108 Stepan Menatsakanian) بالأرمنية

(كاتدرائية زوارتنوتس وأوابد مشابهة لها)

يعتبر مسقط زوارتنوتس الأكثر تطوراً مقارنة بالكاتدرائيات السورية لأن البنائين الأرمن بلجوئهم إلى فن البناء ال Tetraconch ساهموا في تصغير مقاييس البناء عامة والحفاظ على قطر القبة بمقاييس قبب الكاتدرائيات السورية. وتكمن الناحية الثانية من الاختلاف أن حلولها

المعمارية الخارجية من حيث الحجم تتطابق مع الصياغةالداخلية. وتشكل هذه الكنيسة أيضا وحدة فنية من حيث حلولها التي ليس لها وجود في التتراكونخات السورية. أما الناحية الثالثة لم تكن زوارتنوتس تكراراً لكنائس سوريا بل هي استمرارية لميزات الأنصاب الأرمنية الكلاسيكية الخاصة بالقرن السابع.

(Zakonomernotsi v razvitii rannosrednevekavoi arkhitekturii) Leningrad – 1983 p.134 A. Yacobson

إذا كان هناك بعض الشبه في حنيات وأروقة وعناصر زوارتنوتس الزخرفية مع الأشكال المشابهة في العمارة السورية والبيزنطية، فإن التيجان ذات النسور على الأوابد الأرمنية ظاهرة استثنائية في الهندسة العالمية بشكل عام . ولا توجد تيجان مشابهة لا في هندسة العمارة اليونانية – الرومانية الكلاسيكية ولا في الأنصاب البيزنطية والسورية.

S. Menatsakanian .... p. 114

وكان مظهر جبهات كاتدرائية زوارتنوتس الخارجي الفنّي ظاهرة فريدة غير معهودة في هندسة العمارة في الحقبة المسيحية المبكرة.

Ibid p.124

أما ما يخص بالأوابد السورية المقبّبة حيث تنصهر ال Rotunda والقبة التي شيدت على قاعدة مربعة، فهذا الشكل وصل إلى سوريا على أرجح من آسيا الصغرى وأرمينيا ووجد له مكاناً مناسباً في هندسة العمارة السورية كبعض الأشكال الهندسية السورية التي وجدت لها قبولاً في بعض الكنائس الأرمنية التي ترجع إلى القرن الخامس.

Ibid p. 150

كان باستطاعة الأشكال المعمارية للكنائس الأرمنية المقبّبة الدخول إلى سوريا عن طريق فلسطين حيث ابتنى الأرمن هناك ٧٢ ديراً ومنشآت نسكية بين القرنين ٤-٦م (بقي منها فقط بعد الأرضيات الموزاييكية والكتابات الأرمنية والزخارف). ومن المحتمل أن هذا الفن الإنشائي- الذي كان شائعاً في أرمينيا في تلك الحقبة التاريخية – أدخلها البناؤون الأرمن، لذلك يجب التفتيش عن المساقط التي تحتوي على أربعة هياكل في تلك الأوابد السورية التي شادها هؤلاء البناؤون الأرمن في الأماكن المقدسة في فلسطين وسوريا.

Ibid p. 151/2

حاول المهندسون الأرمن بينَ القرنين ٤-٥م بناء كنائس مقببة إلى جانب الكنائس البازيليكية. وحسب تأكيدات المؤرخ الأرمني المعاصر Akatankeghos كان لكاتدرائية إتشميادزين(٣٠١ – ٣٠٣م) مسقط ذا أضلاع مربّعة ومقبّبة.

Akatankeghos ....p. 139

وابتداء من القرن السادس أضحت الكنائس الأرمنية مقببة وخلقت أشكال تمتاز بقببها المركزية والبازيليكية المقببة.

نهاية نرى أن نلفت النظر باقتضاب إلى مسألة حيوية أخرى أيضاً وتحديدا إلى موقع هندسة الكنائس السورية في الهندسة التي تعود بقدمها إلى الحقبة المسيحية المبكرة. ويشير باحثون عديدون إلى هندسة العمارة السورية التي تعود إلى الحقبة ٤-٦ م أنها تنتمي إلى الهندسة البيزنطية. وهذه الناحية – كما هو الحال في هندسة العمارة الأرمنية – بعيدة عن الحقيقة لأن هندسة العمارة السورية في الحقبة المسيحية المبكرة تشكلت وتطورت على قاعدة من تراكم الخبرات الإنشائية الهيللينية الغنية المحلية ثم خلقت الأشكال والمساقط والوسائل الخاصة بها. وقد تبلورت هندسة الكنائس في القرن الرابع عندما لم تكن هناك دولة بيزنطية.

- شكلت هندسة العمارة في كل من سوريا وأرمينيا في الحقبة القروسطية المبكرة مدرسة خلاقة متميزة خاصة بسبب انجازاتها الكبيرة. وليس لدينا أدنى شك في تأثيرهما على تشكل الكنائس في البلدان المجاورة.

استنتاجات عامة

توصلنا إلى النتائج التالية بعد دراساتنا النظرية والميدانية حول علاقات هندسة الكنائس الأرمنية البازيليكية بالكنائس البازيليكية السورية المماثلة في الحقبة المسيحية المبكرة وهي كالتالي:

١.- بولغ في مسألة انتشار العقيدة المسيحية في أرمينيا عن طريق سوريا وقُلّل من شأن كابادوكيا.

أصبح دور كابادوكيا حاسماً جداً في عام ٣٠١م عندما تنصّرت أرمينيا كأول دولة مسيحية في العالم القديم. ولم يكن كريكور المنوِّر ممثل المسيحية السريانية بل ممثل المسيحية الهيللينية. وكان مساعدوه - الذين ساهموا في نشر الدين المسيحي في أرمينيا - من مدينتي القيصرية وسيواس. وكان الطقس الكنسي في كنائس أرمينيا الأولى كابادوكيا. كذلك كان الكاثوليكوس أريستاكيس وفرتانيس وهوسيك ونرسيس بارتيف - الذين خلفوا كريكور المنور في القرن الرابع - من كابادوكيا حيث تعلّموا ورُسموا كمبشرّين.

٢.- كريكور المنوِّر هو مؤسس هندسة الكنائس الأرمنية. ويؤكد المؤرخون الأرمن المعاصرون مثل أكاتانكيغوس وزينوب كلاك وPavstos Püzant أن أولى الكنائس والأنصاب الأرمنية شيدت من قبل كريكور المنوِّر شخصياً.

٣.- كانت القاعات البازيليكية الكبيرة ذات الأبهاء الثلاثة موجودة في أرمينيا حتى قبل اعتناق العقيدة المسيحية الجديدة. ففي مدينة أركيشتينخيللي الأورارتية (التي أصبحت أول عاصمة أرمنية فيما بعد) قاعة في القصر الملكي شيدت في عام ٧٧٦ قبل الميلاد لها مسقط بازيليكي كلاسيكي يحتوي على أبهاء ثلاثة. وقد استُمر في بناء بازيليكات ذات الأبهاء الثلاثة في أرمينيا الهيللينية أيضاً كقاعة القصر الملكي في تراسخاناكرد ذات الأبهاء الثلاثة التي شيدت في القرن الأول الميلادي. وقد انتقل هذا المسقط إلى هندسة الكنائس الأرمنية في الحقبة المسيحية المبكرة وأول بازيليك مؤرخ من هذا النوع (٣٣٠ - ٣٣٨م) شيد من قبل الملك الأرمني خسروف كوداك في قلعة دبيل - الذي حسب الدراسة الحديثة - كان كنيسة.

٤.- شيدت الكنائس البازيليكية ذات البهو الواحد في أرمينيا انطلاقاً من مساقط المعابد الوثنية الأرمنية التي تعود إلى الحقبة ما قبل المسيحية. وهنا يكمن الفرق الرئيس بين نشأة الكنائس الأرمنية والسورية ذات البهو الواحد التي نشأت من هندسة الأبنية السكنية.

٥.- هناك تأثير للفن الزخرفي السوري على بعض الكنائس الأرمنية القليلة التي شيدت في الحقبة المسيحية المبكرة بين القرنين ٤-٥م. ويظهر هذا التأثير على المداخل الرئيسة للكنائس وسواكف الشبابيك والركائز وتيجان الركائز الجدارية. إلا أن هذه العناصر الزخرفية لم تنقل كما هي بل جرى تطويرها انطلاقاً من المعايير والإرث الزخرفي المحلي.

٦.- تُعدّ بازيليك Yereruk الكنيسة الأرمنية الوحيدة التي تعود بقدمها إلى الحقبة القروسطية المبكرة – التي تحمل تأثير فن العمارة السورية البيّن من حيث مسقطها وتفاصيلها المعمارية وعناصرها الزخرفية. إلا أن هذا التأثير لا يعني أنه جرت عملية نقل كاملة لأن هذه الكنيسة والأبنية البازيليكية السورية المشابهة تختلف في الواقع من حيث شكلها ومقاييسها وفن عمارتها.

٧.- تُعدّ بازيليك Yereruk حالة استثنائية في هندسة العمارة الكنسية الأرمنية في الحقبة القروسطية المبكرة وتختلف بشكل كامل عن بقية البازيليكات الأرمنية ذات الأبهاء الثلاثة. وليس لدى الباحثين أي أساس لتعميم تأثير فن العمارة السورية على هندسة عمارة جميع الكنائس الأرمنية العائدة إلى الحقبة المسيحية المبكرة انطلاقاً من مثال بازيليك Yereruk فقط.

٨.- هناك اختلاف مبدئي في فن البناء المعمول به في الحقبة القروسطية المبكرة في كل من أرمينيا وسوريا، لأن الجدران في الأبنية السورية كانت ذات طبقة واحدة (نادرا طبقتين) ودون استخدام ملاط، بينما الأبنية الأرمنية كانت ذات ثلاث طبقات باستعمال المادة الملاطية.

علاوة على ذلك لم تكن سقوف الأبنية البازيليكية السورية في المنطقة الشمالية من سوريا – التي تنتمي إلى الحقبة المسيحية المبكرة – ذات قبو سريري Barrel Vault بل استخدم أثناء تغطيتها الخشب والألواح الحجرية المستوية. أما الكنائس الأرمنية فإنها كانت ذات قبو سريري في هذه الحقبة والفترة التي تلتها بسبب استخدام سلسلة من الأقواس التي تتكيء على الركائز. ويُعدّ فن البناء بين هاتين المدرستين مختلفا لدرجة أن اشتراك عمال سوريين في تشييد الكنائس الأرمنية نظرية لا تحتمل البرهان.

٩.- تختلف مساقط وقياسات ومظهر الكنائس الأرمنية وزخرفتها بشكل جذري عن تلك الكنائس البازيليكية السورية التي شيدت في الحقبة ذاتها أي في الفترة المسيحية المبكّرة. وحتى الكنائس المشابهة في كلتي البلدين شيدت ببرنامج خاص وانطلاقا من هندسة عمارة الكنائس المحلية.

١٠.- تعتبر هندسة العمارة السورية في الحقبة المسيحية المبكرة – كالأرمنية – مدرسة خلاقة متميزة تنفرد بين جميع المدارس المعمارية.

جدوَل الصور

تعود جميع صور الكنائس البازيليكية في كل من أرمينيا وسوريا إلى المؤلف . واستخلصت جداول مساقط الكنائس البازيليكية الأرمنية من أرشيف ((لجنة حماية المواقع الأثرية في جمهورية أرمينيا)). أما جداول مساقط الكنائس البازيليكية السورية وأشكال إعادة إنشائها فإنها استعيرت من كتابي الباحث الفرنسي جورج تشالنكو :

(1) - [Villages antiques de la Syrie du nord] II. Paris -1958.
(2) - [Eglises des villages de la Syrie du nord. planches] Paris- 1979.

Considérations Générales
Sur les affinités architecturales arméno-syriennes
(sur l'exemple des basiliques)

En résumant notre étude relative aux relations paléochrétiennes arméno-syriennes, nous en sommes venu aux conclusions suivantes:

1- On a surestimé le rôle de la Syrie dans la question de la diffusion du christianisme en Arménie et sous-estimé celui de la Cappadoce.

Lorsqu'en 301 l'Arménie accepta le christianisme comme religion d'Etat, le rôle de la Cappadoce fut décisif: Grégoire l'Illuminateur était non pas le représentant de la chrétienneté assyrienne, mais celui de la chrétienneté hellénique. Et ses assistants, qui sont venus en Arménie pour propager le christianisme, provenaient de Césarée et de Sébaste. De même, le rite pratiqué dans les premières églises arméniennes était cappadocien.
Les catholicos ayant succédé à Grégoire l'Illuminateur: Vrtanes, Houssik, Nersès avaient été formés et éduqués en Cappadoce.

2- Grégoire l'Illuminateur a été le fondateur de l'architecture religieuse arménienne.

Les informations fournies par les historiens Agathange, Zenob de Glak, Faust de Byzance indiquent que l'auteur des premières compositions des églises et constructions commémoratives arméno-chrétiennes était Grégoire l'Illuminateur.

3- Il existait en Arménie, avant l'introduction du christianisme des salles monumentales à trois nefs.

L'auditorium royal de la ville ourartienne d'Arguishtihinili (construite en 776 avan J.-C.) qui devint plus tard Armavir, capitale de l'Arménie, possédait une construction de basilique à trois nefs.
En Arménie hellénistique aussi, des basiliques à trois nefs furent construites, comme par exemple, l'auditorium à trois nefs du I-er siècle de la ville de Draskhanakert. Cette conception fut transmise à l'architecture arménienne des débuts du christianisme. Le premier exemple de basilique à trois nefs est la salle de Dvine construite par le roi Khosrov Kotak dans les années 330-338 qui, selon les dernières recherches archéologiques, a été une église.

4- Les basiliques à nef unique ont été construites en Arménie sur l'exemple des temples païens arméniens pré-chrétiens.
C'est ici que réside la différence entre les origines des églises à nef unique arméniennes et syriennes, parce qu' en Syrie elles furent conçues sur l'exemple de l'architecture des maisons d'habitation.

5- Il existe dans le décor de certaines églises arménniennes des IV^e-V^e siècles une influence de l'art paléochrétien syrien.

Ceci a trouvé son expression dans les chapiteaux et les bases des piliers, les portails et les chambranles des fenêtres. Cependant, ces éléments de décor ne constituent pas une répétition ou une copie littérales des Syriens, mais sont des remaniements des traditions et décors locaux.

6- La seule construction arménienne du haut Moyen Age, qui a visiblement subi dans sa conception et ses détails l'influence de l'architecture syrienne, est la basilique d'Erérouk.

Cependant cette influence n'a pas engendré une identité absolue de composition ou de décor. Erérouk et les basiliques syriennes similaires se différencient par leurs formes et leurs proportions, aussi bien que par leurs techniques de construction et leurs principes artistiques de création.

7- La basilique d'Erérouk est unique dans l'architecture du haut Moyen Age en Arménie et se différencie fondamentalement des autres églises à trois nefs arméniennes.

Par conséquent, les scientifiques qui étendent l'influence de l'art syrien sur la totalité de l'architecture religieuse arménienne ne sont aucunement fondés à le faire.

8- Il existe une différence de principe entre les techniques de construction appliquées en Arménie et en Syrie pendant la période du haut Moyen Age.

Le assises des murs de pierre sont à parement unique en Syrie (rarement à deux), sans mortier, tandis que le parement arménien est à trois couches avec du mortier de chaux. Dans les basiliques syriennes des débuts du christianisme, il n'existe pas de couverture de voûte. On utilisait des couvertures en bois ou des dalles de pierre. Durant la même période et par la suite, on a appliqué en Arménie les méthodes de construction des arcades à

piliers et voûtes. La différence de la technique de construction est telle qu'elle exclut la participation des maîtres bâtisseurs syriens à la construction des églises arméniennes.

9- Le style, les solutions planimétriques, spatiales et volumétriqes des basiliques arméniennes sont fondamentalement différentes de celles de Syrie.

Même les églises du même type ont été construites selon des plans et des normes particulières à l'architecture religieuse de chaque pays.

10- L'architecture paléochrétienne est en Syrie, comme en Arménie, l'œuvre d'écoles indépendantes.

Elle a été créée sur la base de l'art hellénistique pré-chrétien local, elle s'est formée dès le IV[e] siècle, et par ses acquisitions, elle a indiscutablement influencé la formation et le développement de l'architecture chrétienne tout entière.

TABLE DES PLANCHES

Vues photographiques-d'après l'archives Chahé Der-Kevorkian.
Les planches des dessins des basiliques de la Syrie d'après les livres G. Tchalenko "Villages antiques de la Syrie du Nord", t. II, Paris, 1958 et "Eglises de village de la Syrie du Nord. Planches", Paris, 1979.
Les planches des dessins des basiliques de l'Armenie d'après l'archive du Direction pour la protection des monuments historiques de la Republique d'Armenie.

Գ Ր Ա Կ Ա Ն ՈՒ Թ Յ ՈՒ Ն
مصادر البحث

بالأرمنية
ՀԱՅԵՐԵՆ ԼԵԶՎՈՎ

1. *Ագաթանգեղոս*, Պատմություն Հայոց, Երևան, 1977:
2. *Ալպագո-Նովելլո Ա.*, Թանահատի բազիլիկան և պայտաձև կամարի խնդիրը հայկական վաղմիջնադարյան ճարտարապետության մեջ, «Պատմա-բանասիրական հանդես», 1972, No. 3:
3. Ակնարկ հայ ճարտարապետության պատմության, Երևան, 1964:
4. *Առաքելյան Բ.*, Հայկական պատկերաքանդակները IV-VII դարերում, Երևան, 1948:
5. *Բարխուդարյան Ս.*, Միջնադարյան հայ ճարտարապետներ և քարգործ վարպետներ, Երևան, 1968:
6. Զաքարիա Սարկավագի Պատմագրությունը, հ. 3, Վաղարշապատ, 1870:
7. *Զենոբ Գլակ*, Պատմութիւն Տարօնոյ, Վենետիկ, 1889:
8. *Թորամանյան Թ.*, Պատմական հայ ճարտարապետություն: Ա. Տեկորի տաճար, Թիֆլիս, 1911:
9. *Թորամանյան Թ.*, Նյութեր հայկական ճարտարապետության պատմության, հ. 1, Երևան, 1942, հ. 2, Երևան, 1948:
10. *Թորամանյան Թ.*, Նյութեր հայկական ճարտարապետության պատմության, Երևան, 1942:
11. *Հասրաթյան Մ. Մ.*, Ծիծեռնավանք, «Պատմա-բանասիրական հանդես», 1980, No 2:
12. *Հասրաթյան Մ. Մ.*, Ամարասի ճարտարապետական համալիրը, «Լրաբեր հաս. գիտ.», 1975, No 5:
13. *Հասրաթյան Մ. Մ.*, Հայ-բյուզանդական ճարտարապետական առնչությունները վաղ միջնադարում (միանավ բազիլիկների օրինակով), «Պատմա-բանասիրական հանդես», 1993, No 1-2:
14. *Հասրաթյան Մ. Մ.*, Հայաստանի արտաքուստ շեշտված աբսիդով միանավ հուշարձանները, «Լրաբեր հաս. գիտ.», 1976, No 11:
15. *Հասրաթյան Մ. Մ.*, Լուսակերտի ճարտարապետական երկու հուշարձան, «Լրաբեր. հաս. գիտ.», 1972, No 2:
16. *Հասրաթյան Մ. Մ.*, Տաշիրի սրահավոր միանավ հուշարձանները, «Լրաբեր հաս. գիտ.», 1974, No. 3:
17. *Հասրաթյան Մ. Մ.*, Վաղ միջնադարյան Հայաստանի ճարտարապետները, «Պատմա-բանասիրական հանդես», 1985, No 2:
18. *Հարությունյան Վ.*, Դվինի V-VII դարերի ճարտարապետական հուշարձանները, Երևան, 1950:
19. *Հարությունյան Վ.*, Հայկական ճարտարապետության պատմություն, Երևան, 1993:
20. Հեղինակների կոլեկտիվ, Ակնարկ հայ ճարտարապետության պատմության, Երևան, 1964:
21. *Հովսեփյան Արք. Գ.*, Նյութեր և ուսումնասիրություններ հայ արվեստի և մշակույթի պատմության, պրակ 2, Նյու Յորք, 1944:
22. Հովհաննես Դրասխանակերտցու Պատմություն Հայոց, Թիֆլիս, 1912:

23. *Խաչատրյան Ա.*, Հայկական ճարտարապետության հուշարձաններ, Բեյրութ:
24. *Սահինյան Ա.*, Քասաղի բազիլիկայի ճարտարապետությունը, Երևան, 1955:
25. *Սեբեոս*, Պատմություն, Երևան, 1939:
26. Կանոնագիրք Հայոց, Երևան, 1964:
27. *Տիրացյան Գ.*, Ուրարտու և Հայաստան (Նյութական մշակույթի ժառանգորդության հարցի շուրջը), «Պատմա-բանասիրական հանդես», 1971, No 1:
28. *Ղազար Փարպեցի*, Պատմություն Հայոց, Տփխիս, 1904:
29. *Քալանթարյան Ա., Ղաֆադարյան Կ. Կ.*, Դվինի վաղ միջնադարյան մոնումենտալ ճարտարապետության որոշ հարցեր, «Պատմա-բանասիրական հանդես», 1990, No 1:
30. *Ղաֆադարյան Կ. Գ.*, Դվինում պեղված ճարտարապետական երկու հուշարձան, «Պատմա-բանասիրական հանդես», 1973, No 4:
31. *Ղաֆադարյան Կ. Գ.*, Արգիշտիխինիլի քաղաքի ճարտարապետութ- յունը, Երևան, 1984:
32. *Ղաֆադարյան Կ.*, Դվին քաղաքը և նրա պեղումները, հ. 1, Երևան, 1952:
33. *Ղաֆադարյան Կ.*, Երևան: Միջնադարյան հուշարձանները և վիմական արձանագրությունները, Երևան, 1975:
34. *Մելքոնյան Հ.*, Հայ-ասորական հարաբերությունների պատմությունից (III-V դարեր), Երևան, 1970:
35. *Մովսես Խորենացի*, Պատմություն Հայոց, հատված երրորդ, Կե, Երևան, 1968:
36. *Մովսես Կաղանկատվացի*, Պատմություն Աղվանից աշխարհի, Երևան, 1969:
37. *Մնացականյան Ստ.*, Զվարթնոցը և նույնատիպ հուշարձանները, Երևան, 1971:
38. *Յակոբսոն Ա. Լ.*, Հայաստանը և Սիրիան (ճարտարապետական համադրումներ), «Հայրենիքի ձայն», 1971, No. 44:
39. *Օրբելյան Ստ.*, Պատմութիւն Նահանգին Սիսական, Թիֆլիս, 1910:
40. *Օրմանյան Մ.*, Ազգապատում, Պէյրութ, 1959, հ. 1:

ՕՏԱՐ ԼԵԶՎՈՎ باللغات الأجنبية

41. *Ազատյան Շ.*, Շքամուտքերը 4-14 -րդ դդ. Հայաստանի մոնումենտալ ճարտարապետության մեջ, Երևան, 1987 (ռուսերեն):
42. *Բրունով Ն.*, Ակնարկներ ճարտարապետության պատմության, Մոսկվա-Լենինգրադ, 1935, հ. 2 (ռուսերեն):
43. *Երեմյան Ա.*, Հռիփսիմեի տաճարը, Երևան, 1955 (ռուսերեն):
44. *Խալփախչյան Հ.*, Հայաստանի ճարտարապետությունը, «Ճարտարապետության համընդհանուր պատմություն», Մոսկվա, 1958 (ռուսերեն):
45. *Հասրաթյան Մ. Մ.*, Ծիծեռնավանք, Մոսկվա, 1990 (ռուսերեն, անգլերեն):
46. *Տեր-Մարտիրոսով Ֆ.*, Հայաստանի դասական անտիկ հուշարձան, «Բանբեր Երևանի համալսարանի», 1993, No 3 (ռուսերեն):

47. *Տեր-Մինասյան Ա.*, Հայաստանի վաղ միջնադարյան միանավ եկեղեցիները, Ստեճախոսության սեղմագիր, Լենինգրադ, 1991 (ռուսերեն):
48. *Տոկարսկի Ն. Մ.*, Զվարթնոց, Երևան, 1964 (ռուսերեն):
49. *Տոկարսկի Ն. Մ.*, Հին Հայաստանի ճարտարապետությունը, Երևան, 1946 (ռուսերեն):
50. *Տոկարսկի Ն.*, Հայկական ճարտարապետության էջերով, Երևան, 1973 (ռուսերեն):
51. *Տոկարսկի Ն.*, Հայաստանի IV-XIV դարերի ճարտարապետությունը, Երևան, 1961 (ռուսերեն):
52. *Մառ Ն.*, Երերույքի բազիլիկը, Երևան, 1968 (ռուսերեն):
53. *Մարտիրոսյան Հ.*, Արգիշտիխինիլի, Երևան, 1974 (ռուսերեն):
54. *Մնացականյան Ստ.*, Հայաստանի և Բյուզանդիայի V-VII դարերի խաչաձև գմբեթավոր հորինվածքները, Երևան, 1989 (ռուսերեն):
55. *Մնացականյան Ստ.*, Հայաստանի և Բյուզանդիայի խաչագմբեթ տաճարների ծագումնաբանության հարցի շուրջը, «Պատմա-բանասիրական հանդես», 1978, No 1 (ռուսերեն):
56. *Յակոբսոն Ա. Լ.*, Ակնարկ Հայաստանի V-XVII դարերի ճարտարապետության պատմության, Մոսկվա-Լենինգրադ, 1950 (ռուսերեն):
57. *Յակոբսոն Ա. Լ.*, Հայաստան և Սիրիա, ճարտարապետական համադրություններ, «Վիզանտիյսկի վրեմեննիկ», Մոսկվա, 1976, (ռուսերեն):
58. *Յակոբսոն Ա. Լ.*, Հայաստանի և Բյուզանդիայի վաղմիջնադարյան ճարտարապետական առնչությունները, «Պատմա-բանասիրական հանդես», 1987, No. 4, (ռուսերեն):
59. *Յակոբսոն Ա. Լ.*, Վաղմիջնադարյան ճարտարապետության զարգացման օրինաչափությունները, Լենինգրադ, 1983 (ռուսերեն):
60. *Օրբելի Հ.*, Հայկական արվեստ, Նոր հանրագիտարանային բառարան, h. 2, Մոսկվա, 1911 (ռուսերեն):
61. *Շելով-Կովեդյաև Ֆ.*, Դիտողություններ Հայաստանի հունարեն վիմագրության մասին, «Պատմա-բանասիրական հանդես» 1986, No 1 (ռուսերեն):
62. *Butler H. C.*, Early Churches in Syria, Princeton, 1929:
63. *Butler H. C.*, Ancient Architecture in Syria, Division II, Section A, «Southern Syria», part 4, Bosra:
64. *Cuneo P.*, La basilique de Tsitsernakavank dans le Karabagh, «Revue des Etudes Armenuenne», T IV, Paris, 1967:
65. *Cuneo P.*, Le Basiliche Paleocristiani Armene, «Corsi di cultura sull'arte ravennate e bizantina», Ravenna, 1972.
66. *Cuneo P.*, Le Basiliche di Tux, Xncorgin, Pašvack, Hogeacvank, Roma, 1973.
67. *Cuneo P.*, L'architettura armena ad IV dal XIX secolo, Roma, 1988.
68. *Grabar A.*, Martyrium, Paris, 1946:
69. *Hasratian M. M.*, Les églises à nef unique avec abside saillante dans l'Arménie paléochrétienne, «Études Arméniennes. In Memorian Haig Berbérian», Lisboa, 1986:

70. *Hasratian M. M.*, Les églises à nef unique avec portique de l'Arménie paléochrétienne, «Atti del Primo Simposio Internazionale di Arte Armena. 1975», Venezia, 1978.
71. *Hasratian M.*, Essai sur l'architecture arménienne, Moskou, 1985.
72. *Khatchatrian A.*, L'architecture arménienne, «Vostan», T. 1, No 1, Paris, 1948-1949:
73. *Khatchatrian A.*, L'architecture arménienne du IV[e] au VI[e] siecles, Paris, 1971:
74. *Krautheimer R.*, Early Christian and Byzantine Architecture, London, 1965:
75. *Mattern I.*, Villes mortes de Haute Syrie, Beyrouth, 1944.
76. *Pabudjian P.*, Relation des armeniens et des syriens du premier siecle avant Y.C. au septieme siecle apres Y.C., «Armenien Studies», Beyrouth, 1973:
77. *Sahinian A.*, Recherche scientifiques sous les voûtes de la cathédrale d' Etchmiadzine, «Revue des Etudes Arméniennes», T 3, Paris, 1966:
78. *Strzygovski J.*, L'Ancien Art Chretien de Syrie, Paris, 1936:
79. *Strzygowski J.*, Die Baukunst der Armenier und Europa, Wien, 1918.
80. *Tchalenko G.*, Village antiques de la Syrie du Nord, Paris, 1953:
81. *Thierry J.-M., P. Donabedian*, L'art arménien, Paris, 1987.

الفهرس

كتب أخرى للمترجم – المؤلف

١.- (قتل أمة)

تأليف: هنري مورغنطاو – سفير الولايات المتحدة الأميريكية في الدولة العثمانية بين عامي ١٩١٣ – ١٩١٦

ترجمة: عن الإنكليزية

توزيع: دار طلاس – حلب – عام ١٩٩٠

٢.- (المشانق العربية والمذابح الأرمنية في المحاكم الاستثنائية العسكرية التركية بين عامي ١٩١٩ – ١٩٢١)

ترجمة: عن الأرمنية

توزيع: دار طلاس – حلب – عام ١٩٩٢

٣.- (كفاح الأرمن من أجل عروبة لواء الاسكندرونة)

تأليف: أليشان بايراميان – أرمينيا

ترجمة: عن الأرمنية

توزيع: دار طلاس – حلب عام ١٩٩٢

٤.- (دور الأطباء الأتراك في المجازر الأرمنية في الحرب العالمية الأولى)

تأليف: البروفسور واهاكن داداريان – الولايات المتحدة الميركية

توزيع: دار الحوار – اللاذقية – عام ١٩٩٥

٥.- (الهوية القومية التركية والقضية الأرمنية)

تأليف: الكاتب التركي تانير أكجام – اسطنبول

ترجمة: عن التركية

توزيع: دا طلاس – حلب عام ١٩٩٥

٦.- (صفحات وثائقية من جريدة "التقدم" الحلبية عن الأحوال الأرمنية والعربية في الدولة العثمانية والبلاد الشامية)

دراسة: المجموعة الكاملة للجريدة الصادرة بين عامي ١٩٠٨ – ١٩٤٧

٧- (النظام النقدي في الدولة الأموية والعباسية وسك النقود العربية في أرمينيا وتداولها في الامبراطورية العربية)

تأليف: اختصاصيين أرمن مرموقين

ترجمة: عن الأرمنية

توزيع: دار طلاس - حلب عام ١٩٩٧

٨- (المستندات الألمانية والنمساوية الرسمية حول المجازر الأرمنية)

تأليف: البروفسور واهاكن داداريان - الولايات المتحدة الاميركية

ترجمة: عن الانكليزية

توزيع: دار طلاس - حلب عام ١٩٩٧

٩- (المصادر التركية والغربية حول الدولة العثمانية والمجازر الأرمنية)

تأليف البروفسور واهاكن دادريان

الترجمة: عن الانكليزية

دار الحوار - اللاذقية

١٠- (طورانيا العظمى: ماذا يخطط الأتراك للمستقبل)

المؤلف: زاريوانت - الولايات المتحدة الأميركية

الترجمة: عن الأرمنية

دار الحوار - اللاذقية

١١- (الدليل الموسع للأوابد السورية) باللغة الأرمنية

دراسة: د. الكسندر كشيشيان - حلب

منشورات مطرانية الأرمن بحلب

كتب قيد الطبع بالعربية

١٢.- (تاريخ المجازر الأرمنية) تأليف البروفسور واهاكن دادريان

١٣.- (الإمارات العربية في أرمينيا البقرادونية)

البروفسور آرام ديرغيفونتيان - أرمينيا -

١٤.- (علاقات الكنيسة بالدولة الأرمنية في حقبة الهيمنة العربية على أرمينيا)

د. مانوئيل جينباشيان - سترازبورغ

١٥.- (مدن أرمينيا وعلاقتها التجارية مع العالم القديم والخلافة العربية)

البروفسور هاكوب مانديان - أرمينيا

الطبعة الأولى ١/٨/٢٠٠٢

التنضيد الطباعي **مطبعة مطرانية الأرمن**

المراجعة والتدقيق **د. ألكسان كشيشيان**

طبع هذا الكتاب في مطبعة مطرانية الأرمن الأرثوذكس بحلب **(أريوبلك)**

دار النشر "المشرق"

Dr. Alexander Keshishian
SYRIA - Aleppo P.O.Box 3913